



الجامعة الإسلامية العالمية في القاهرة

كلية الدراسات الإسلامية

قسم التفسير وعلوم القرآن

"دراسة تحليلية لمقاصد وأهداف الجزء الثامن والعشرين"

إعداد

الباحث: عبد الرزاق عبد الكريم السرحان

إشراف

الدكتورة: هبة عوف

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

قدمت هذه الرسالة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التفسير و علوم القرآن

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ

وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ

أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ ﴿١﴾ (الإسراء ٩٤)

شكر و تقدير

- اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، اللهم لك الشكر على نعم لا نحصيها فكل الشكر لك، شكراً لك ربي أن جعلتني من الباحثين في كتابك الكريم، فلك الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

ثم نأتي لشكر الخلق، فإنني أتقدم بالشكر الجزيل للجامعة الإسلامية في القاهرة، التي أتاحت لطلاب العلم المجال للدراسة والبحث، رفع الله مقامها، و أدامها منارة للعلم والعلماء، وجزى الله خيراً كلّ القائمين عليها رئاسة وإدارةً وكادراً.

- كما أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل للدكتورة / هبة عوف / أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعة الأزهر، التي تفضلت بالإشراف على رسالتي فكانت نعم الموجه والمعلم، أسأل الله أن يرفع درجاتها في الدنيا والآخرة وأن يحفظها بما يحفظ به عباده الصالحين.

- والشكر موصول لأستاذي الكريمين اللذين شرفاني بقبول لجنة تحكيم هذه الرسالة:

الدكتور: /الحسين عبدالفتاح الشافعي/ و الدكتورة: / صباح طنطاوي /

فأسأل الله لهما الأجر والثواب.

شكراً لوالديّ الكريمين، وإخوتي وأخواتي وزوجتي وولداي، ولكل من دعا لي بظهر الغيب، أسعدكم الله جميعاً في الدنيا والآخرة.

وفي الختام: شكراً لكل من قدم لي عوناً أو نصحاً وإرشاداً من قريب أو بعيد لإنجاز هذه الرسالة، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله الأمين، خصّه الله بجوامع الكلم وأنزل إليه القرآن المبين، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحابه أجمعين، وبعد:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾}

[الأحزاب ٧٠-٧١]، لقد منّ الله علينا نحن المسلمين بهذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أنزله الله دستور حياة بما فيه من الحكم والأحكام، والمواعظ والآداب، والبلاغة والإعجاز، فكان بحق معجزة خالدة للنبي صلى الله عليه وسلم منذ نزوله إلى يومنا هذا، وسيبقى معجزة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أنزله الله تعالى تبياناً لكل شيء وهدى وموعظة، وحثّ الأمة على تدبر معانيه وفهم ألفاظه وتطبيق أحكامه، ليسعدوا في الدارين، فقال عز وجل: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ

قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [سورة محمد ٢٤]، وقال: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ

عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾} [النساء ٨٢]، ولذلك اتجه علماء

الأمة إلى بيان وتفسير القرآن الكريم حتى يكون أوضح وأبين لجميع الناس، وإن خير عمل يشتغل به الباحثون وأعظم عمل يقومون به هو البحث في كتاب الله ودراسة آياته واستنباط حكمه وأحكامه، ومما يُتْلَج الصدر أن يرى المسلم في زماننا اليوم اتجاه كثير من الباحثين والعلماء إلى تفسير كتاب الله تعالى تفسيراً موضوعياً وتحليلياً، وهدفهم بذلك

الغوص في كتاب الله لتدبر معانيه وإظهارها للناس متقربين إلى الله بذلك، ومن هذا المنطلق رأيت أن يكون بحثي لنيل درجة الماجستير بالجامعة الإسلامية العالمية بالقاهرة بعنوان: "دراسة تحليلية لمقاصد وأهداف الجزء الثامن والعشرين من القرآن الكريم" وذلك لما تضمنه هذا الجزء بسوره الكريمة من مواضيع مهمة، راجياً من الله تعالى التوفيق والسداد...إنه نعم المجيب.

أسباب اختياري للموضوع:

١- لأن كل بحث يتصل بكتاب الله تعالى قُرْبَةً وَبِرّاً.
٢- الرغبة في دراسة الجزء الثامن والعشرين من القرآن الكريم بسوره التسع وآياته الكريمة المنسجمة المترابطة، والتي تدور حول تربية القرآن للفرد والأسرة والمجتمع، ودراستها دراسة وافية ليجد القارئ فيها ضالته ويستفيد من الإرشادات الإلهية والمقاصد العامة في هذه السور مجتمعة.

٣- لأن دراسة مقاصد وأهداف السور وسيلة لتدبر كتاب الله.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا البحث في اشتغال هذه السور التسع بشكل عام على مواضيع مهمة (عقدية وأخلاقية وتربوية) يحتاجها مسلمو العصر أشد الاحتياج، ومن هذه المواضيع:

- ١- وجوب الولاء للمؤمنين والانتماء للدين، والتبرؤ من المعادين للدين.
- ٢- فضح صفات المنافقين واليهود لتحذر الأمة منهم.
- ٣- ذكر بعض القصص لأخذ العبرة والعظة منها، كقصة إبراهيم عليه السلام، وقصة امرأة نوح وامرأة لوط، وقصة امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران.
- ٤- تعليم الأمة آداب المجالس، وتذكيرهم بيوم التغابن استعداداً للحساب.
- ٥- الاهتمام بقضية الأسرة وأحكامها، وضرورة حمايتها من عذاب الله.
- ٦- توجيهات للمؤمنين بعدم الانشغال بالمال والأولاد عن ذكر الله، وإرشادهم إلى التجارة الرباحة مع الله سبحانه.

٧- تكرار الأمر بالتقوى، تأكيداً للمسلم على أهميتها وأنها سبب السعادة في الدارين.

مصطلحات الدراسة ومنهجي في البحث:

* عمدة بحثي السور القرآنية في الجزء الثامن والعشرين وهي: (المجادلة - الحشر الممتحنة - الصف - الجمعة - المنافقون - التغابن - الطلاق - التحريم).

* سأدرس- بمشيئة الله - في كل سورة من هذه السور التسع ما يلي:

أولاً: بين يدي السورة، وهو التعريف بالسورة من حيث اسمها وسبب تسميتها، وسبب نزولها إن وجد، وموضوعها، وفضلها، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها.

ثانياً: قسّمت كل سورة إلى مقاطع ووضعت لكل مقطع عنواناً رئيساً، ثم درست هذه المقاطع دراسة إجمالية، وركزت على مناسبة كل آية لما قبلها وما بعدها، ومناسبة بداية السورة مع خاتمتها، فعلم المناسبة يساعد في إظهار المقصد، ووقفت على بعض أسماء الله الحسنى بشيء من التفسير والبيان لما في ذلك من دور في فهم المقصد.

ثالثاً: استخرجت مقاصد السورة كاملة وتوجيهاتها.

رابعاً: بعد أن أنهيت الدراسة الإجمالية لكل السور ذكرت المقاصد المشتركة والأهداف العامة للجزء الثامن والعشرين.

* سأسلك بمشيئة الله المنهج الإجماليّ لدراسة آيات السور التسع، معتمداً على كتب التفسير القديم منها والمعاصر.

* عزوت الآيات إلى سورها في متن الرسالة تفادياً لإثقال الحواشي.

* خرّجت الأحاديث، فإن كان الحديث في البخاري أو مسلم اكتفيت بذكر ذلك، وإن كان في غيرهما ذكرت أقوال العلماء فيه.

الدراسات السابقة:

حسب اطلاعي لا توجد دراسة جمعت هذا الجزء كاملاً بسوره التسع، وهناك رسائل اختصّت بسورة واحدة، فهي ليست دراسة للسور التسع كاملة والربط بينها بآياتها المنسجمة ومواضيعها المترابطة كما سيخرج بحثي بمشيئة الله، ومن هذه الرسائل:

- ١- (سورة المجادلة، دراسة تحليلية) رسالة ماجستير للباحث: فيصل راجح، وأقرت في جامعة الإيمان - اليمن عام ٢٠٠٥م.
- ٢- (سورة الحشر، دراسة تحليلية) رسالة ماجستير للباحث: قيس عبد الله المشهداني، وقد أقرت في جامعة الإيمان - اليمن عام ٢٠٠٤م.
- ٣- (سورة الطلاق، دراسة وتحليل) رسالة ماجستير للباحث: كلام الدين رحيم الدين، وقد أقرت في جامعة المدينة العالمية- ماليزيا عام ٢٠١٣م.

خطة البحث

سوف يخرج هذا البحث _ إن شاء الله _ في مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب.

المقدمة: وفيها (أسباب اختياري للموضوع، وأهميته، ومصطلحات الدراسة ومنهجي في البحث، والدراسات السابقة).

التمهيد: وفيه (تعريف التفسير لغة واصطلاحاً، وفضله وشرفه، وطرقه ومصادره، وأقسامه باعتبار أساليبه وطريقة البحث فيه).

الباب الأول بعنوان: السور الثلاث الأولى من الجزء الثامن والعشرين، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول بعنوان : سورة المجادلة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول بعنوان: بين يدي السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها .

ثانياً: سبب نزولها.

المطلب الثاني: أولاً: موضوعها.

ثانياً: فضلها.

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها.

المبحث الثاني بعنوان : الدراسة الإجمالية للسورة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول : البسملة، أولاً: فضلها

ثانياً: تفسيرها

ثالثاً: هل هي آية من كل سورة أم لا ؟

المطلب الثاني: الظهار وكفارته، وتهديد الله للكافرين، الآيات (١-٦).

المطلب الثالث: إحاطة علم الله بكل شيء، وأدب مناجاته صلى الله عليه وسلم،
الآيات (٧-١٣).

المطلب الرابع: موالاة الكفار وعاقبتها، الآيات (١٤-٢٢).

المبحث الثالث بعنوان: مقاصد سورة المجادلة وتوجيهاتها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سعة علم الله وإحاطته بكل شيء.

المطلب الثاني: الولاء و البراء.

المطلب الثالث: النهي عن إيذاء الناس حسياً أو معنوياً.

الفصل الثاني بعنوان: سورة الحشر، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول بعنوان: بين يدي السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها.

ثانياً: سبب نزولها.

ثالثاً: الظروف التي نزلت فيها.

المطلب الثاني: أولاً: موضوعها.

ثانياً: فضلها.

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها.

المبحث الثاني بعنوان: الدراسة الإجمالية للسورة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إجلاء بني النضير، وحكم الفيء، الآيات (١-٧).

المطلب الثاني: فضل المهاجرين والأنصار، وخذلان المنافقين لليهود، الآيات (٨-١٧).

المطلب الثالث: تقوى الله، وكتابه، وأسماءه الحسنى، الآيات (١٨-٢٤).
المبحث الثالث بعنوان: مقاصد سورة الحشر وتوجيهاتها، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: قوة الله وقدرته وعظمته.

المطلب الثاني: الأمر بالتفكر، والاستعداد للجزاء.

المطلب الثالث: الأمر بمحبة السلف الصالح، وتطهير القلب من الأدران.

الفصل الثالث بعنوان: سورة الممتحنة، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول بعنوان: بين يدي السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها.

ثانياً: سبب نزولها.

المطلب الثاني: أولاً: موضوعها.

ثانياً: الظروف التي نزلت فيها.

ثالثاً: فضلها.

رابعاً: مناسبتها لما قبلها.

المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: النهي عن موالاة الكفار، ثم ذكر قصة إبراهيم عليه السلام،

الآيات (١-٧)

المطلب الثاني: أحكام علاقة المسلمين مع غيرهم، وأحكام النساء المهاجرات،

الآيات (٨-١٣).

المبحث الثالث بعنوان: مقاصد سورة الممتحنة وتوجيهاتها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: النهي عن موالاة الكفار و موادّتهم.

المطلب الثاني: عدل الإسلام.

المطلب الثالث: تربية النفوس.

الباب الثاني بعنوان : السور الثلاث الثانية من الجزء الثامن والعشرين، وفيه ثلاثة

فصول:

الفصل الأول بعنوان : سورة الصف، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول بعنوان : بين يدي السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها .

ثانياً: سبب نزولها.

المطلب الثاني: أولاً: موضوعها.

ثانياً: فضلها.

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها.

المبحث الثاني بعنوان: الدراسة الإجمالية للسورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : تسبيح الله، والجهاد دفاعاً عن الدين،

ثم ذكر لقصة موسى وعيسى عليهما السلام، الآيات (١-٩).

المطلب الثاني : أسس التجارة الربحية، الآيات (١٠-١٤).

المبحث الثالث بعنوان: مقاصد سورة الصف وتوجيهاتها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحث على الجهاد ونصرة دين الله.

المطلب الثاني: العاقبة للحق وأهله.

المطلب الثالث: النهي عن الكذب في الأقوال والأفعال.

الفصل الثاني بعنوان: سورة الجمعة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول بعنوان: بين يدي السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها .

ثانياً: سبب نزولها.

المطلب الثاني: أولاً: موضوعها.

ثانياً: فضلها.

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها.

المبحث الثاني بعنوان: الدراسة الإجمالية للسورة، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: تسبيح الله، ومهمة رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم ضرب مثل لليهود،
الآيات (٨-١).

المطلب الثاني: من أحكام صلاة الجمعة، الآيات (٩-١١).
المبحث الثالث بعنوان: مقاصد سورة الجمعة وتوجيهاتها، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: تميّز الأمة الإسلامية.

المطلب الثاني: وجوب العمل بالعلم، والأمر بذكر الله تعالى.
الفصل الثالث بعنوان: سورة المنافقون، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول بعنوان: بين يدي السورة، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها .

ثانياً: سبب نزولها.

المطلب الثاني: أولاً: موضوعها.

ثانياً: فضلها.

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها.

المبحث الثاني بعنوان: الدراسة الإجمالية للسورة، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: خصال المنافقين والرد عليهم، الآيات (٨-١).
المطلب الثاني: توجيهات للمؤمنين، الآيات (٩-١١).
المبحث الثالث: مقاصد سورة المنافقون وتوجيهاتها، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: فضح صفات المنافقين.
المطلب الثاني: تحذير المؤمنين من صفات المنافقين.

الباب الثالث بعنوان: السور الثلاث الأخيرة من الجزء الثامن والعشرين، وفيه أربعة

فصول:

الفصل الأول بعنوان: سورة التغابن، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول بعنوان: بين يدي السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها .

ثانياً: فضلها.

المطلب الثاني: أولاً: موضوعها.

ثانياً: مناسبتها لما قبلها.

المبحث الثاني بعنوان: الدراسة الإجمالية للسورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: من مظاهر قدرة الله وعلمه، ثم تذكير بقصة قوم كفروا بربهم،

وإنكار المشركين للبعث وعقابهم، الآيات (١-١٣).

المطلب الثاني: توجيهات للمؤمنين، الآيات (١٤-١٨).

المبحث الثالث بعنوان: مقاصد سورة التغابن وتوجيهاتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان عظمة الله وقدرته وحكمته.

المطلب الثاني: بيان رحمته سبحانه وتعالى بالمؤمنين.

الفصل الثاني بعنوان: سورة الطلاق، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول بعنوان: بين يدي السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها .

ثانياً: فضلها.

المطلب الثاني: أولاً: موضوعها.

ثانياً: مناسبتها لما قبلها.

المبحث الثاني بعنوان: الدراسة الإجمالية للسورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: من أحكام الطلاق والعدة والسكنى والنفقة، الآيات (١-٧).

المطلب الثاني: تحذير المعاندين، ووعد المؤمنين، والتذكير بقدرة الله، الآيات (٨-١٢).

المبحث الثالث: مقاصد سورة الطلاق وتوجيهاتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان أحكام الطلاق.

المطلب الثاني: الأمر بتقوى الله، والتزام حدوده.

الفصل الثالث بعنوان: سورة التحريم، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول بعنوان: بين يدي السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها .

ثانياً: سبب نزولها.

المطلب الثاني: أولاً: موضوعها.

ثانياً: فضلها.

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها.

المبحث الثاني بعنوان: الدراسة الإجمالية للسورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قصة النبي صلى الله عليه وسلم وبعض أزواجه،

ونداء للمؤمنين والكافرين، الآيات (١ - ٨).

المطلب الثاني: أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين.

ثم ضرب مثلين لنساء كافرات ومثلين لنساء مؤمنات، الآيات (٩-١٢).

المبحث الثالث: مقاصد سورة التحريم وتوجيهاتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان مكانة النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: الأمر باتقاء عذاب الله وعقوبته.

الفصل الرابع بعنوان: المقاصد والأهداف العامة للجزء الثامن والعشرين، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول بعنوان: بيان عظمة الله تعالى، ومكانة نبيّه صلى الله عليه وسلّم في الجزء الثامن والعشرين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عظمة الله وقدرته وسعة علمه.

المطلب الثاني: مكانة النبيّ صلى الله عليه وسلّم، وصحابته الكرام.

المبحث الثاني بعنوان: التشريعات والأحكام في الجزء الثامن والعشرين، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التشريعات والأحكام في حق الفرد:

أولاً: آداب المجالس وحفظ الأسرار.

ثانياً: الولاء و البراء.

ثالثاً: الأمر بالتقوى.

رابعاً: الحذر من أساليب الشيطان.

المطلب الثاني: التشريعات والأحكام في حق الأسرة:

أولاً: حكم الظّهار.

ثانياً: أحكام الطلاق.

ثالثاً: حكم من حرّم على نفسه امرأته أو طعاماً.

رابعاً: لا تحلّ مؤمنة لمشرك.

خامساً: وجوب تعليم المسلم لأسرته وتربيتهم.

المطلب الثالث: التشريعات والأحكام في حق المجتمع:

أولاً: علاقة المسلمين مع الكفار.

ثانياً: حكم الفيء.

ثالثاً: أحكام صلاة الجمعة.

رابعاً: الأمر بالجهاد.

خامساً: اليهود والمنافقون.

المبحث الثالث بعنوان: الأساليب التربويّة في الجزء الثامن والعشرين، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الترغيب والترهيب.

المطلب الثاني: ضرب المثل للاعتبار بمن سبق.

المطلب الثالث: بثُّ الأمل في النفوس.

المطلب الرابع: النساء في الجزء الثامن والعشرين.

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج التي تمَّ التوصل إليها من خلال دراسة هذه السور، مع توصيات

الباحث.

الفهارس العامة :

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث الشريفة.

٣- فهرس الأعلام.

٤- فهرس المراجع.

٥- فهرس الموضوعات.

التمهيد

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، قِيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا وإمامنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيّه وأمينه على وحيه، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

إن أعظم العلوم وأشرفها هو علم التفسير، لأن موضوعه كلام الله ربّ العالمين، وهو الوسيلة التي تُعين المسلم على تدبر كتاب الله وفهم معانيه. **بدايةً ما هو التفسير؟**

التفسير في اللغة: هو الإيضاح والبيان، ومنه قوله تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا

جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [الفرقان ٣٣]، أي بياناً وتفصيلاً، وهو مأخوذ من

الفسر وهو الإبانة والكشف^(١) وفي لسان العرب "الفسر البيان، فسّر الشيء يفسره بالكسر ويفسره بالضم فسرّاً، وفسّره أبانه والتفسير مثله، قال ابن الأعرابي^(٢): التفسير والتأويل

والمعنى واحد، وقوله عزّ وجلّ: {وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} الفسر كشف المغطى، والتفسير

كشف المراد عن اللفظ المُشكّل، والتأويل: رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر، واستفسرته كذا أي: سألته أن يفسره لي"^(٣) ومن هذا تبين أن التفسير يُستعمل لغة في

الكشف الحسيّ وفي الكشف عن المعاني المعقولة، واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول.^(٤)

(١) يُنظر: التفسير والمفسرون، للدكتور محمد السيد حسين الذهبي، المتوفى ١٣٩٨هـ، الناشر: مكتبة وهبة_ القاهرة،

عدد الأجزاء: ٣، والجزء الثالث هو نقول وجدت في أوراق المؤلف بعد وفاته ونشرها د. محمد البلتاجي، ١٢/١

(٢) ابن الأعرابي: إمام اللغة، أبو عبدالله محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي مولاهم، الأحوال النسابة...، ولد بالكوفة سنة خمسين ومائة، له مصنفات كثيرة أدبية، وتاريخ القبائل، وكان صاحب سنة واتباع، توفي بسلاماً سنة إحدى وثلاثين ومائتين. يُنظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى: ٧٤٨هـ،

تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ، عدد الأجزاء: ٢٥، ٧٥/٩

(٣) يُنظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي،

المتوفى ٧١١هـ، الناشر: دار صادر_بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ، ١٥ جزء، ٥٥/٥

(٤) يُنظر: التفسير والمفسرون ١٢/١

أما التفسير في الاصطلاح: فيرى بعض العلماء أن التفسير ليس من العلوم التي يتكلف لها حدّ، لأنه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية، ويكتفى في إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله أو أنه المبيّن لألفاظ القرآن ومفهوماتها، ويرى بعض آخر منهم أن التفسير من قبيل المسائل الجزئية أو القواعد الكلية أو الملكات الناشئة من مزاولة القواعد فيتكلف له التعريف فيذكر في ذلك علوماً أخرى يحتاج إليها في فهم القرآن كاللغة والصرف والنحو والقراءات وغير ذلك، وإذا نحن تتبعنا أقوال العلماء الذين تكلفوا الحد للتفسير وجدناهم قد عرّفوه بتعاريف كثيرة يمكن إرجاعها كلها إلى واحد منها، فهي وإن كانت مختلفة من جهة اللفظ إلا أنها متّحدة من جهة المعنى وما تهدف إليه^(١) وقد عرّفه أبو حيان في البحر المحيط فقال: " التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتماتٍ لذلك، فقولنا: "علم" هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا: "يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن" هذا هو علم القراءات، وقولنا: "ومدلولاتها" أي مدلولات تلك الألفاظ وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: " وأحكامها الإفرادية والتركيبية" هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب وعلم البيان وعلم البديع، "ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب" شمل بقوله التي تحمل عليها ما لا دلالة عليه بالحقيقة وما دلالاته عليه بالمجاز فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً ويصدّ عن الحمل على الظاهر صادّ فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر وهو المجاز، وقولنا: "وتتماتٍ لذلك" هو معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ما انبهم في القرآن ونحو ذلك".^(٢) وعرفه الزركشي بأنه " علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه،

(١) يُنظر: التفسير والمفسرون ١٢/١

(٢) يُنظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المتوفى ٧٤٥هـ، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر-بيروت، طبعة عام ١٤٢٠هـ، ١٠ أجزاء، ٢٦/١

واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"^(١)، وعرفه بعضهم بأنه "علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"^(٢). هذا هو التفسير لغة واصطلاحاً، هذا العلم الذي يُعد أشرف علم، فشرفه وفضله ومكانته لا تخفى على أحد، إذ هو الوسيلة لمعرفة القرآن الكريم وفهمه وتدبره، وقد قال الأصبهاني رحمه الله عن شرف هذا العلم: "أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن، بيان ذلك: أن شرف الصناعة إما بشرف موضوعها مثل الصياغة فإنها أشرف من الدباغة لأن موضوع الصياغة الذهب والفضة وهما أشرف من موضوع الدباغة الذي هو جلد الميتة، وإما بشرف غرضها مثل صناعة الطب فإنها أشرف من صناعة الكناسة لأن غرض الطب إفادة الصحة وغرض الكناسة تنظيف المستراح، وإما لشدة الحاجة إليها، كالفقه فإن الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الطب إذ ما من واقعة من الكون في أحد من الخلق إلا وهي مفتقرة إلى الفقه لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين بخلاف الطب فإنه يحتاج إليه بعض الناس في بعض الأوقات، إذا عُرف ذلك فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث، أما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، لا يخلق على كثرة الردّ، ولا تتقضي عجائبه، وأما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة التي لا تفتنى، وأما من جهة شدة الحاجة إليه فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى"^(٣) وقال مجاهد رحمه الله: "أحب الخلق إلى الله

(١) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المتوفى ٧٩٤هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، ٤ أجزاء، ١٣/١

(٢) يُنظر: التفسير والمفسرون ١٣/١

(٣) يُنظر: الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المتوفى ٩١١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ٤ أجزاء، ١٩٩/٤

تعالى أعلمهم بما أنزل"^(١) وقال الزركشي: "وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم علماء، كلٌ منهم مخصوص بنوع من العلم كعلي رضي الله عنه بالقضاء، وزيد بالفرائض، ومعاذ بالحلال والحرام، وأبي بالقراءة، فلم يُسمَّ أحد منهم بحراً إلا عبد الله بن عباس لاختصاصه دونهم بالتفسير والتأويل"^(٢) ولفضل هذا العلم وشرفه يجب على علماء الأمة أن يشتغلوا بهذا العلم وتعليمه للناس ففيه صلاح الدين والدنيا والآخرة، ولقد أقبل الصحابة والتابعون على كتاب الله وتدارسوه وفهموا معانيه فنالهم الخير الكثير، وأجمل بقول ابن كثير رحمه الله حين قال: "فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك وطلبه من مظانّه، وتعلم ذلك وتعليمه، كما قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا^ط فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ } [آل عمران ١٨٧]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [آل عمران ٧٧]، فذمّ الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله إليهم وإقبالهم على الدنيا وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله، فعليها المسلمون أن تنتهي عما ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به من تعلّم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهمه"^(٣).

(١) يُنظر: تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المتوفى ٦٧١هـ، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ١٠ و ٢ للفهارس، ٢٦/١

(٢) يُنظر: البرهان في علوم القرآن ٨/١

(٣) يُنظر: تفسير ابن كثير لأبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المتوفى ٧٧٤هـ،

تحقيق: سامي محمد سلامة، الطبعة الثانية ١٤٢٠، ٨ أجزاء، ٦/١

- طرق التفسير ومصادره:

طرق التفسير ومصادره تنقسم إلى قسمين: ١- التفسير بالمأثور، ٢- التفسير بالرأي.

١- التفسير بالمأثور: المراد به ما جاء في القرآن الكريم نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نُقل عن أصحابه رضي الله عنهم من ذلك، واختلفوا فيما نُقل عن التابعين رحمهم الله تعالى هل هو من التفسير بالمأثور أم لا، وعلى هذا فإنهم يُعرّفون التفسير بالمأثور بأنه: التفسير الذي يعتمد على صحيح المنقول والآثار الواردة في الآية فيذكرها، ولا يجتهد في بيان معنى من غير دليل، ويتوقف عما لا طائل تحته ولا فائدة في معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح.^(١)

٢- التفسير بالرأي: والمراد بالرأي هنا الاجتهاد، وعليه فالتفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانتها في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر^(٢)، وقد يبذل المفسر جهده وتتوافر فيه شروط المفسر فيُحمد تفسيره، وقد يكون صاحب هوى أو لا تتوفر فيه شروط المفسر فيُذمّ تفسيره، وبهذا يظهر أن التفسير بالرأي ينقسم إلى قسمين، الأول: التفسير بالرأي المحمود، الثاني: التفسير بالرأي المذموم.^(٣)

* التفسير بالرأي المحمود: وهو التفسير المستمدّ من القرآن ومن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان صاحبه عالماً باللغة العربية، خبيراً بأساليبها عالماً بقواعد الشريعة وأصولها.^(٤)

(١) يُنظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، أستاذ الدراسات القرآنية،

كلية المعلمين بالرياض، الناشر: مكتبة التوبة، ص ٧١

(٢) يُنظر: التفسير والمفسرون ١/١٨٣

(٣) يُنظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه ص ٧٨

(٤) يُنظر: المرجع السابق ص ٧٩

* التفسير بالرأي المذموم: هو التفسير بمجرد الرأي والهوى، فهو تفسير لا يستند إلى نصوص الشريعة، وأكثر الذين فسروا القرآن بمجرد الرأي هم أهل البدع والمذاهب الباطلة، فقد اعتقدوا معتقدات باطلة وآراء زائفة ليس لها سند ولا دليل ثم أرادوا أن يستدلوا لها من القرآن الكريم فلم تطاوعهم النصوص على ما ذهبوا إليه ففسروها بآرائهم وحملوها ما لا تتحمل، وهذا النوع من التفسير حرام لا يجوز.^(١)

– التفسير باعتبار أساليبه وطريقة البحث فيه:

ينقسم التفسير باعتبار أساليبه وطريقة البحث فيه إلى أربعة أقسام:

١- التفسير التحليلي.

٢- التفسير الإجمالي.

٣- التفسير المقارن.

٤- التفسير الموضوعي.

أولاً: التفسير التحليلي: وهو التفسير الذي يتتبع فيه المفسر الآيات حسب ترتيب المصحف سواء تناول جملة من الآيات متتابعة أو سورة كاملة أو القرآن الكريم كله، ويبيّن ما يتعلق بكل آية من معاني ألفاظها ووجوه البلاغة فيها وأسباب نزولها وأحكامها ومعناها ونحو ذلك.^(٢) ويتميز هذا الأسلوب بمزايا منها:

١- أنه أقدم أساليب التفسير فقد كان التفسير في نشأته الأولى يتناول الآيات المتتابعة ولا يتجاوزها المفسر إلى غيرها حتى يعرف معناها، ويبيّن هذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه بقوله: "كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن"^(٣) وروى أبو عبدالرحمن السلمي رحمه الله: "حدثنا الذين كانوا يُقرئونا القرآن أنهم

(١) يُنظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه ص ٨٠-٨١

(٢) يُنظر: المرجع السابق ص ٥٧

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، المتوفى ٣١٠هـ،

تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٢٤ جزء، ٨٠/١، وقال

أحمد شاكر: إسناده صحيح.

كانوا يستقروّن من النبيّ صلى الله عليه وسلم فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا ما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً".^(١)

وهي الطريقة التي تلقى التابعون بها التفسير عن الصحابة، كما قال مجاهد: "عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها".^(٢)

٢- أن هذا الأسلوب هو الغالب على المؤلفات في التفسير، وأشهر التفاسير وأهمها قديماً وحديثاً ألفت على هذا الأسلوب كتفسير الطبري والخازن والثعلبي والواحدي والبغوي وابن عطية والشوكاني وابن كثير وغيرهم.

٣- يتفاوت المفسرون في هذا اللون من التفسير بين الإيجاز والإطناب، فمن التفاسير ما جاء في مجلد واحد بما فيه النص القرآني الكريم كله، ومنها ما جاء في أكثر من ثلاثين مجلداً.

٤- يظهر التباين جلياً بين المفسرين في هذا الأسلوب من حيث الاتجاهات والمناهج فمنهم من التزم في تفسيره بالتفسير المأثور والنقل عن أئمة السلف والالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة، ومنهم من التزم بمناهج المذاهب الأخرى، ومنهم من أفصح لنفسه فتوسّع في التاريخ والقصص والإسرائيليات، ومنهم من اعتنى بالبلاغة ووجوه البيان، ومنهم من توسّع كثيراً في آيات الأحكام، ومنهم من اعتنى بالآيات الكونية والتفسير العلمي، ومنهم من استنرد في المسائل النحوية، ومنهم من توسّع في علم الكلام والفلسفة ومصطلحات الصوفيّة وغير ذلك.^(٣)

ثانياً: التفسير الإجمالي: يعتمد المفسر في هذا الأسلوب إلى بيان المعنى العام للآية دون التعرض للتفاصيل كالإعراب واللغة والبلاغة والفوائد وغيرها، ومن أمثلته: تفسير الشيخ

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٨٠/١، وقال أحمد شاكر: هذا إسناد صحيح متصل.

(٢) يُنظر: تفسير الطبري ٩٠/١

(٣) يُنظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه ص ٥٨-٥٩

عبدالرحمن بن سعدي، وتفسير المكي الناصري، وتجده كذلك في تفسير المراغي وأبي بكر الجزائري تحت عنوان "المعنى الإجمالي".^(١)

ثالثاً: التفسير المقارن: يعتمد المفسر بهذا الأسلوب إلى قولين في التفسير ويقارن بينهما مع ترجيح ما يراه راجحاً.^(٢)

رابعاً: التفسير الموضوعي: يعتمد هذا الأسلوب على دراسة لفظة أو جملة أو موضوع في القرآن، وهو أقسام:

١- أن يكون عرض الموضوع من خلال القرآن كله، كموضوع (صفات عباد الرحمن في القرآن).

٢- أن يكون عرض الموضوع من خلال سورة، كموضوع (الأخلاق الاجتماعية في سورة الحجرات).

٣- أن يستعرض المفسر لفظة أو جملة قرآنية ويبين معانيها في القرآن كلفظة (الأمة في القرآن).^(٣)

ولا يمكن الفصل بين أنواع التفسير فصلاً رياضياً بحيث تنقطع وشائج القربى بينها ويكون لكل نوع أسلوبه ونتائجه، وذلك لأن مجال البحث واحد وهو كلام الله سبحانه وتعالى، والغاية التي يهدف إليها المفسر واحدة أيضاً، وهي الكشف عن مراد الله سبحانه وتعالى من الآيات على قدر الطاقة البشرية، إلا أن مناهج المفسرين للوصول إلى الغاية هي التي تختلف بعض الشيء، وحتى هذا الاختلاف في المنهج ليس اختلاف تباين وانفصال وتضاد، بل هو اختلاف تنوع وتعاضد وترادف، وبعض أنواع التفسير تعتبر أساساً للانطلاق منه إلى غيره فلا يستغني عنه المفسر الباحث في أي نوع من أنواع التفسير، فالتفسير التحليلي لا يستغني عنه الباحث في التفسير الإجمالي أو المقارن، وذلك لأن

(١) يُنظر: فصول في أصول التفسير، للدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، تقديم د. محمد صالح الفوزان،

الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ، عدد الأجزاء ١، ٣٣/١

(٢) يُنظر: المرجع السابق ٣٣/١

(٣) يُنظر: المرجع السابق ٣٣/١ - ٣٤

التفسير التحليلي ينصبّ على معرفة دلالة الكلمة اللغوية ودلالاتها الشرعية، والتعرف على الرابط بين الكلمات في الجملة وبين الجمل في الآية، وبين الآيات في السورة، وكذلك التعرف على القراءات وأثرها على دلالة الآية ووجوه الإعراب ودورها في الأساليب البيانية وإعجاز القرآن الكريم، وغيرها من الوجوه التي تساعد على إجلاء المعنى وتوضيح المراد، فالذي يريد تفسير الآيات تفسيراً إجمالياً لا يستطيع أن يعبر عن موضوع الآيات التي يريد التعبير عنها بأسلوبه الخاص لتقريب المعاني وإبراز جوانب الهداية منها ما لم يلمّ بتفاصيل ما تقدم من أمور التفسير التحليلي لاستجلاء المعنى المراد ثم صياغته بأسلوب يتناسب مع المدارك الثقافية للمخاطبين، وكذلك بالنسبة لمن يتناول الآيات وتفسيرها بأسلوب التفسير المقارن، فالحكم على الشيء فرع من تصوّره، لا بد أن يحيط بأقوال المفسرين الذين كتبوا في تفسير الآيات ليدرك المفسر الذي لم يخرج عن روح النص والغرض الأساسي من الآيات الكريمة، عن المفسر الذي تعسف في تأويل هذه الآيات وحملها ما لم تحتل، أو لم يدرك المرمى اللغوي للكلمة القرآنية فانحرف بها عن دلالتها وأولها غير تأويلها الصحيح فأبعد في التأويل ووقع في محاذير، ولكي يحكم على صواب منهج المفسر أو خطئه، وإجادته في التفسير أو تخبطه فيه لا بد أن يكون على دراية وافية بمعاني الآيات الكريمة، فلا بد له من الرجوع إلى التفسير التحليلي، وقد يستخدم للتعبير عن حكمه على التفاسير التي يقارن بينها أسلوب التفسير الإجمالي للآيات، أما الباحث في التفسير الموضوعي فاعتماده على جميع الأنواع المتقدمة من التفسير أمر أساسي في كتابته ومنهجه، ولا غنى له عن أحد الأنواع.^(١)

(١) يُنظر: مباحث في التفسير الموضوعي، للأستاذ الدكتور مصطفى مسلم، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، عدد

الباب الأول: السور الثلاث الأولى من الجزء الثامن والعشرين، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: سورة المجادلة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بين يدي السورة.

المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة.

المبحث الثالث: مقاصد سورة المجادلة وتوجيهاتها.

المبحث الأول: بين يدي السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها.

ثانياً: سبب نزولها.

المطلب الثاني: أولاً: موضوعها.

ثانياً: فضلها.

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها.

المطلب الأول

أولاً: اسمها وترتيبها:

سميت هذه السورة في كتب التفسير وفي المصاحف وكتب السنة "سورة المجادلة" بكسر الدال أو بفتحها، وتسمى سورة "قد سمع" وهذا الاسم مشتهر به في الكتاتيب في تونس، وسميت في مصحف أبي بن كعب "سورة الظهار"، ووجه تسميتها سورة المجادلة لأنها افتتحت بقضية مجادلة امرأة أوس بن الصامت لدى النبي صلى الله عليه وسلم في شأن مظاهرة زوجها، ولم يذكر المفسرون ولا شارحوا كتب السنة ضبطه بكسر الدال أو فتحها، وذكر الخفاجي في "حاشية البيضاوي" عن "الكشف" أن كسر الدال هو المعروف...، وكسر الدال أظهر لأن السورة افتتحت بذكر التي تجادل زوجها، فحقيقة أن تضاف إلى صاحبة الجدل وهي التي ذكرها الله بقوله: {الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة ١]. وأما

فتح الدال فهو مصدر مأخوذ من فعل تجادل كما عبّر عنها بالتحاور في قوله (والله يسمع تحاوركما) [المجادلة ١].^(١) وسورة المجادلة مدنية، قال القرطبي في قول الجميع إلا رواية عن عطاء أن العشر الأول نزلت بمكة، وقال ابن عباس: نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله... وهذه السورة أول النصف الثاني من القرآن باعتبار عدد السور فهي الثامنة والخمسون منها، وهي أول العشر الأخير من القرآن باعتبار عدد أجزائها، وليس فيها آية إلا وفيها ذكر الجلالة مرة أو مرتين أو ثلاثاً، وجملة ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون^(٢)، آياتها اثنتان وعشرون عند الجمهور، وإحدى وعشرون عند المكيين، وكلماتها

(١) يُنظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بم عاشور التونسي، المتوفى ١٣٩٣هـ، الناشر:

الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٣٨٤هـ، عدد الأجزاء: ٣٠، ٥/٢٨

(٢) يُنظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني

البخاري القنوجي، المتوفى ١٣٠٧هـ، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر - صيدا - بيروت، عام النشر:

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ١٥، ٧/١٤

أربعمئة وثلاث وسبعون، وحروفها ألف وسبعمائة واثنان وتسعون^(١)، هي السورة المائة وثلاث في عداد نزول القرآن، نزلت بعد سورة المنافقون وقبل سورة التحريم، والذي يظهر أن سورة المجادلة نزلت قبل سورة الأحزاب لأن الله تعالى قال في سورة الأحزاب: {وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ} [الأحزاب:٤]، وذلك يقتضي أن تكون هذه الآية نزلت بعد إبطال حكم الظهار بما في سورة المجادلة لأن قوله (ما جعل) يقتضي إبطال التحريم بالمظاهرة، وإنما أبطل بآية سورة المجادلة، وقال السخاوي: نزلت سورة المجادلة بعد سورة المنافقين وقبل سورة الحجرات^(٢)، وهي السورة الثامنة والخمسون في ترتيب المصحف، بعد سورة الحديد وقبل سورة الحشر.

ثانياً: سبب نزولها:

عن عروة قال: قالت عائشة رضي الله عنها: ((تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليّ بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول: يا رسول الله، أبلى شبابي ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سنّي وانقطع ولدي ظاهر منّي، اللهم إني أشكو إليك، قال: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ} [المجادلة: ١])^(٣) وفي البخاري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((الحمد لله الذي توسع لسمع الأصوات كلها، لقد جاءت المجادلة فكلمت رسول الله صلى الله

(١) يُنظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المتوفى ٨١٧هـ، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية_ لجنة إحياء التراث الإسلامي_ القاهرة، ٦ أجزاء، ٤٥٦/١

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير ٦/٢٨

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب المكاتب، باب تفسير سورة المجادلة، ح ٣٧٩١، ٥٢٣/٢، قال الذهبي: صحيح.

عليه وسلم وأنا في جانب البيت لا أدري ما تقول فأنزل الله: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي
تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة ١].^(١)

^(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى (وكان الله سميعا بصيرا) النساء ١٣٤، ١١٧/٩

المطلب الثاني

أولاً: موضوعها:

موضوع هذه السورة كغالب السور المدنية بيان الأحكام التشريعية، فقد بُدئت ببيان سماع الله صوت امرأة هي خولة بنت ثعلبة تجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن مصيرها من زوجها أوس بن الصامت الذي ظاهر منها قائلاً لها: "أنت عليّ كظهر أمي" وحكم الظهار في الجاهلية تحريم الزوجة تحريماً مؤبداً، فبدّل الله هذا الحكم وجعل حكم الظهار التحريم المؤقت الذي يزول بإخراج كفارة الظهار والمنصوص عليها في الآيات الأولى من هذه السورة: عتق رقبة، فصيام شهرين متتابعين، فإطعام ستين مسكيناً. وأعقب ذلك الحكم بإذلال وخزي الذين يعادون الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وإحصاء أعمالهم وشهادته عليهم، ثم ذكرت أدب التناجي في المجالس وهو الكلام سرّاً بين اثنين فأكثر أمام الآخرين، وحرمة إذا كان تناجياً بالإثم والعدوان كما كان يفعل اليهود والمنافقون، وأخبرت بأن الله يعلم سرّ الحديث الدائر بين اثنين فأكثر، وفضحت خبث اليهود ومكرهم وخداعهم حينما كانوا يُحيّون النبيّ صلى الله عليه وسلم بتحية ظاهرها السلام وباطنها الأذى والسبّ قائلين: السّام عليك يا محمد أي الموت، وأردفت ذلك ببيان التفسّح في المجالس وطلب مغادرتها، وأشادت بالمؤمنين الذين يمتثلون أوامر الله ورسوله، وامتدحت العلماء منهم خاصة، وأوجبت تقديم الصدقة عند مناجاة النبيّ صلى الله عليه وسلم، ثم رفعت الحكم تخفيفاً على المؤمنين وتيسير لقاء نبيّهم، وجعلت محلّه الاشتغال بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله، ثم أبانت مخازي المنافقين الذين يوالون اليهود ويحبونهم ويفشون أسرار المؤمنين لهم ويحلفون الأيمان الكاذبة ويُعادون الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم ويخالفون أمرهما، فهم مهزومون مخذولون، والمؤمنون أعزّة منصورون، ثم خُتمت السورة الكريمة بأمر المؤمنين بتجنّب الخونة الذين يوالون أعداء الأمة - ولو كانوا أقرب الناس إليهم - وينافقون ويتذبذبون بين هؤلاء وهؤلاء لإضعاف كيان أمتهم وتفريق جمعهم، أما الأمة المتماسكة المتحابّة فهي أمة الإيمان الحقّ وأهل

الجنة خالدين فيها أبداً، والتفريق بين الفريقين، موقف الإيمان وموقف الكفر والنفاق، يبين أن الحب ينبغي أن يكون لله والبغض لله، وأن اكتمال الدين يتطلب معاداة أعداء الله.^(١)

ثانياً: فضلها:

هي من السور المفصل التي أوتيها النبي صلى الله عليه وسلم نافلة ففُضِّل بها على سائر الأنبياء^(٢): فعن واثلة بن الأسقع^(٣) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أُعطي مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المئين، ومكان الإنجيل المئاني، وفُضِّلْتُ بالمُفَصَّل))^(٤) والمفصل ما يلي المئاني من قصار السور، وسمي مفصلاً لكثرة الفصول التي بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم، وقيل: لقلة النسخ فيه.^(٥)

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها :

ذكر الله في مطلع سورة الحديد صفات الله الجليلة ومنها الظاهر والباطن، والعالم بما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو مع خلقه أينما كانوا، وذكر في مطلع هذه السورة ما يدل على ذلك وهو سماع قول المجادلة التي تشتكي إلى الله. كما أن السورة السابقة ختمت ببيان فضل الله، وافتتحت هذه السورة بما يُشير إلى

(١) يُنظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ، ٣٠ جزء، ٦/٢٨-٧

(٢) يُنظر: موسوعة فضائل سور وآيات القرآن - القسم الصحيح، للشيخ محمد بن رزق بن طرهوني، الناشر: دار ابن القيم للنشر والتوزيع - الدمام، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، عدد الأجزاء: ٢، ١٣٤، ١٧١/٢

(٣) واثلة بن الأسقع بن عبد العزيز بن عبد ياليل الليثي الكناني، صحابي جليل، من أهل الصفة، خدم النبي ثلاث سنين، ثم نزل البصرة وكانت له بها دار، شهد فتح دمشق، وسكن قرية البلاط على ثلاثة فراسخ منها، حضر المغازي في البلاد الشامية، وتحول إلى بيت المقدس فأقام، وكف بصره وعاش ١٠٥ سنين وقيل ٩٨، وهو آخر الصحابة موتاً في دمشق، له ٧٦ حديثاً، ووفاته بالقدس أو بدمشق (٨٣هـ). يُنظر: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي المتوفى: ١٣٩٦هـ، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢ م، ١٠٧/٨

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث واثلة بن الأسقع، ح ١٦٩٨٢، ١٨٨/٢٨، والبيهقي في شعب الإيمان، فصل في فضائل السور والآيات، تخصيص خواتيم سورة البقرة بالذكر، ح ٢١٩٢، ٧١/٤، وأبو داود الطيالسي، واثلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم، ح ١١٠٥، ٣٥١/٢، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ١٤٨٠

(٥) يُنظر: البرهان في علوم القرآن ٢٤٥/١

هذا الفضل، وقد ذكر في المجادلة {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ} [المجادلة ٧]، وهي تفصيل لإجمال قوله تعالى في السورة السابقة {وَهُوَ مَعَكُمْ

أَيْنَ مَا كُنْتُمْ^ج وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٥٨﴾} [الحديد ٥٨].^(١)

^(١) يُنظر: التفسير المنير ٢٨/٥-٦

المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول : البسملة، أولاً: فضلها.

ثانياً: تفسيرها.

ثالثاً: هل هي آية من كل سورة أم لا ؟

المطلب الثاني: الظهار وكفارته، وتهديد الله للكافرين، الآيات (١-٦).

المطلب الثالث: إحاطة علم الله بكل شيء، وأدب مناجاته صلى الله عليه وسلم، الآيات (٧-١٣).

المطلب الرابع: موالاة الكفار وعاقبتها، الآيات (١٤-٢٢).

المطلب الأول

البسملة (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

أولاً: فضلها:

إن البسملة فيها ما فيها من الخير والبركة والحفظ من الشيطان الرجيم، فعن أبي تميمه يحدث عن رديف النبي صلى الله عليه وسلم قال: عثر بالنبي صلى الله عليه وسلم حماره، فقلت: تعس الشيطان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاضم وقال: بقوتي صرعته، وإذا قلت: بسم الله، تصاغر حتى يصير مثل الذباب))^(١) ولذلك شرع الله التسمية عند كل عمل مباح أو مشروع، فهي تُستحب عند الأكل والشرب فقد قال صلى الله عليه وسلم لربيبة عمر بن أبي سلمة: ((يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك))^(٢) وأوجبها سبحانه عند الذبح فقال: {فَكُلُوا

مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَايَتِهِ مُؤْمِنِينَ} [الأنعام ١١٨]، وتُستحب عند الجماع لما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً))^(٣)، وعند وضع الميت في قبره لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا وضعتُم موتاكم في القبور فقولوا: بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم))^(٤)، وعند التألم والمرض كما جاء في حديث عثمان بن أبي العاص^(٥) أنه شكا إلى

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند البصريين، حديث رديف النبي صلى الله عليه وسلم، ح ٢٠٥٩٢، ١٩٩/٣٤، قال الأرنبوط: حديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الأشرية، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، ح ٢٠٢٢، ١٥٩٩/٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أتى أهله، ح ٦٣٨٨، ٨٢/٨.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبدالله بن عمر، ح ٤٩٩٠، ٤٢/٩، قال الأرنبوط: رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٥) عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبدالله بن همام الثقفي، أبو عبدالله، نزيل البصرة، أسلم في وفد ثقيف فاستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف وأقره أبوبكر ثم عمر، ثم استعمله عمر على عمان والبحرين =

رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ضع يدك على المكان الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شرّ ما أجد وأحاذر))^(١) وكذلك عند قراءة القرآن وركوب الدابة والخروج من المنزل والدخول إليه وغير ذلك، فالبسملة خير وبركة وجرز من الشيطان وذكرٌ للرحمن يجب على المسلم أن يجعلها عنواناً له في كل أعماله يبتدئ بها، عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أغلق بابك واذكر اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله، وخمر إناءك ولو بعود تعرضه عليه واذكر اسم الله، وأوك سقاءك واذكر اسم الله)).^(٢)

ثانياً: تفسيرها:

(بسم الله) متعلق الباء محذوف وهو أقرأ أو أتلو لأنه المناسب لما جعلت البسملة مبدأً له، فمن قدره متقدماً كان غرضه الدلالة بتقديمه على الاهتمام بشأن الفعل، ومن قدره متأخراً كان غرضه الدلالة بتأخيره على الاختصاص مع ما يحصل في ضمن ذلك من العناية بشأن الاسم، والإشارة إلى أن البداية به أهمّ لكون التبرّك حصل به، وبهذا يحصل رجحان تقدير الفعل متأخراً في مثل هذا المقام، ولا يعارضه قوله تعالى: {أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ

الَّذِي خَلَقَ} [العلق ١]، لأن المقام مقام القراءة، فكان الأمر بها أهمّ، وأما الخلاف بين أئمة النحو في كون المقدر اسماً أو فعلاً، فلا يتعلق بذلك كثير فائدة، والباء للاستعانة أو المصاحبة ورجح الثاني الزمخشري، واسم: أصله سَمَوْتُ حُذِفَتْ لامه، ولما كان في الأسماء بنوا أوائلها على السكون زادوا في أوله الهمزة إذا نطقوا به لتلا يقع الابتداء بالساكن، وهو اللفظ الدال على المسمى، ومن زعم أن الاسم هو المسمى كما قاله أبو عبيدة وسيبويه والباقلاني وابن فورك وحكاه الرازي عن الحشوية والكرامية والأشعرية فقد غلط غلطاً بيّناً

= سنة خمس عشرة، ثم سكن البصرة حت مات بها في خلافة معاوية، قيل سنة خمسين وقيل إحدى وخمسين، وكان

هو الذي منع ثقفا عن الردة. يُنظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٣٧٣/٤-٣٧٤

(١) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء، ح ٢٢٠٢، ١٧٢٨/٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ح ١٤٤٣٤، ٣٢١/٢٢، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وجاء بما لا يعقل مع عدم ورود ما يوجب المخالفة للعقل لا من الكتاب ولا من السنة ولا من لغة العرب، بل العلم الضروريّ حاصل بأن الاسم الذي هو أصوات مقطّعة وحروف مؤلفة غير المسمى الذي هو مدلوله، والبحث مبسوط في علم الكلام، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ((إن الله تسعاً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة)) وقال الله عز وجل: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف ١٨١]، وقال تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ} [الإسراء ١١٠].^(١) و(الله) هو علم لذات الواجب الوجود، لم يُطلق على غيره، وأصله إله حُذفت الهمزة وعوّضت عنها أداة التعريف فلزمت، وكان قبل الحذف من أسماء الأجناس يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق، كالنجم والصعق، فهو قبل الحذف من الأعلام الغالبة وبعده من الأعلام المختصة.^(٢) ومعنى لفظ الجلالة (الله): هو الإله المعبود ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وأخبر أنه الله الذي له جميع معاني الألوهية، وأنه هو المألوه المستحق لمعاني الألوهية كلها، التي توجب أن يكون المعبود وحده، المحمود وحده، المشكور وحده، المُعَظَّم المُقَدَّس ذو الجلال والإكرام، واسم (الله) هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلاء^(٣) (الرحمن الرحيم) اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمّت كل مخلوق، وكتب الرحمة الكاملة للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة المتصلة بالسعادة الأبدية، ومن عداهم محروم من هذه الرحمة الكاملة لأنه هو الذي دفع الرحمة

(١) يُنظر: فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، المتوفى ١٢٥٠هـ، الناشر: دار ابن كثير_ دار الكلم الطيب_ دمشق_بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: ٦ ، ٢١/١، والحديث أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا، ح ٧٣٩٢، ١١٨/٩، وأخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، ح ٢٦٧٧، ٢٠٣٦/٤.

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢١/١

(٣) يُنظر: تفسير أسماء الله الحسنى، لأبي عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، المتوفى ١٣٧٦هـ، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الناشر: الجامعة الإسلامية_المدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٢

وأباها بتكذيبه للخبر وتوليّه عن الأمر، فلا يلومنّ إلا نفسه.^(١) و (الرحمن) يختصّ بالله سبحانه ولا يجوز إطلاقه في غيره، وقال بعض أهل التفسير: الرحمن الذي رحم كافة خلقه بأن خلقهم وأوسع عليهم في رزقه، و (الرحيم) خاص في رحمته لعباده المؤمنين بأن هداهم إلى الإيمان، وهو يثيبهم في الآخرة الثواب الدائم الذي لا ينقطع.^(٢)

(بسم الله الرحمن الرحيم) أي أبدأ بتسمية الله وذكره وتسبيحه قبل كلّ شيء مستعيناً به في جميع أموري، فإنه الربّ المعبود واسع الرحمة الذي وسعت رحمته كلّ شيء، المنعم بجلال النعم ودقائقها، المتفضّل بدوام الفضل والرحمة والإحسان.^(٣)

ثالثاً: هل هي آية من كلّ سورة أم لا؟

اتفق العلماء على أن التسمية بعض آية من سورة النمل {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [النمل ٣٠]، واختلفوا هل هي آية من كلّ سورة أم لا، فقراء مكة والكوفة على أنها آية من الفاتحة ومن كلّ سورة، وعليه الشافعي وأصحابه رحمهم الله ولذا يجهرون بها في الصلاة، وقالوا: قد أثبتتها السلف في المصحف مع الأمر بتجريد القرآن عما ليس فيه.^(٤) ومن أدلتهم:

١- عن أنس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ غفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: ((أنزلت عليّ أنفاً سورة فقراً {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ، إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ

﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخَرُ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عزّ وجلّ، عليه خير كثير، هو

(١) يُنظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي ص ٢٠٠

(٢) يُنظر: تفسير أسماء الله الحسنى، لإبراهيم بن السري بن سهل أبي إسحاق الزجاج، المتوفى ٣١١هـ، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار الثقافة العربية، عدد الأجزاء: ١، ص ٢٨

(٣) يُنظر: التفسير المنير ٤٦/١

(٤) يُنظر: تفسير النسفي، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، المتوفى ٧١٠هـ، حققه وخرج

أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له: محي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٣، ٢٦/١

حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيُختلج العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك))^(١) قال النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: "في هذا الحديث فوائد منها أن البسملة في أوائل السور من القرآن، وهو مقصود مسلم بإدخال الحديث هنا"^(٢) أي في باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة.

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)).^(٣)

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا قرأتم {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} فاقروا {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، فإنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني و بسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها)).^(٤) وقرأ المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست من الفاتحة ولا من غيرها من السور، وإنما كتبت للفصل والتبرك والابتداء بها، وهو مذهب أبي حنيفة ومن تابعه رحمهم الله، ولذا لا يجهر بها في الصلاة عندهم.^(٥) ومن أدلتهم:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يُغفر له {تبارك الذي بيده الملك} [الملك ١])^(٦) واستدلوا بأن سورة الملك ثلاثون آية بدون البسملة.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، ح ٤٠٠، ٣٠٠/١

(٢) يُنظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١١٣/٤

(٣) أخرجه أبو داود، أبواب تفريع استفتاح الصلاة، باب من جهر بها، ح ٧٨٨، ٢٠٩/١، وصححه الألباني في الجامع الصغير رقم ٤٨٦٤

(٤) أخرجه الدارقطني، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة والجهر بها، ح ١١٩٠، ٨٦/٢، وقال عنه الألباني في السلسلة الصحيحة: إسناده صحيح، رقم ١١٨٤، ١٧٩/٣-١٨٠

(٥) يُنظر: تفسير النسفي ٢٦/١

(٦) أخرجه أبو داود، باب في عدد الآي، ح ١٤٠٠، ٥٧/٢، وقال الألباني: حديث حسن، وأخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب فضائل القرآن، باب ذكر فضائل سور وآي متفرقة، ح ٢٠٧٥، ٧٥٣/١، وقال: حديث صحيح الإسناد.

٢- كما استدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها الطويل عن بدء الوحي ((...فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقاريء، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: {أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾} [العلق]).^(١)

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدني ما سأل، فإذا قال العبد: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} قال الله: أثني عليّ عبدي، وإذا قال: {مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ} قال: مجدني عبدي، وقال مرة: فوض إليّ عبدي، فإذا قال: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} ﴿١﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٢﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٣﴾} قال: هذا لعبدي ولعبدني ما سأل))^(٢) واستدلوا بأنه لم يذكر التسمية في بداية الفاتحة.

وبعد عرض أدلة الفريقين، فالأرجح ما عليه الشافعي رحمه الله ومن قال بقوله، لأن الصحابة أجمعوا على كتابتها في أول كل سورة، فدلّ هذا على أنها آية قرآنية من كل سورة، ومحال أن يكتبوا ما بين دفتي المصحف ما ليس قرآنًا، أما من قال أنها ليست آية من كل سورة، ففي حديث عائشة رضي الله عنها {أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} قال القرطبي: أي اقرأ ما أنزل إليك من القرآن مفتتحاً باسم ربك وهو أن تذكر التسمية في ابتداء كل سورة^(٣)، وقد تكون البسملة نزلت بعد ذلك، كما قال الإمام النووي: ترتيب أي

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ح ٣، ٧/١.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وأنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ

ما تيسر له من غيرها، ح ٣٩٥، ٢٩٦/١.

(٣) يُنظر: تفسير القرطبي ١١٩/٢٠.

السور في النزول لم يكن شرطاً، وقد كانت الآية تنزل فتوضع في مكان قبل التي نزلت قبلها، ثم تنزل الأخرى فتوضع قبلها إلى أن استقرّ الأمر في آخر عهده صلى الله عليه وسلم على هذا الترتيب".^(١)

(١) يُنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، المتوفى ٨٥٢هـ، الناشر: دار المعرفة_بيروت عام ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: ١٣، ٧١٩/٨

المطلب الثاني

الظهار وكفّارته، وتهديد الله للكافرين، الآيات (١-٦)

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ
تَحَاوُرُكُمْ^ج إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾} الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا
هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ^ط إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ^ج وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ
الْقَوْلِ وَزُورًا^ج وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾} وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ
يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ^ج مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا^ج ذَلِكَمُ تَوَعُّظٌ بِهِ^ج
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾} فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ
أَنْ يَتَمَاسَا^ط فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا^ج ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ^ج وَتَلَكَ حُدُودُ اللَّهِ^ط وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾} إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ^ج وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ^ج
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾} يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا^ج
أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ^ج وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾}

التفسير الإجمالي للآيات:

قال سيد قطب رحمه الله: "تبدأ السورة بصورة عجيبة من صور هذه الفترة الفريدة في
تاريخ البشرية، فترة اتصال السماء بالأرض في صورة مباشرة محسوسة، ومشاركتها في
الحياة اليومية لجماعة من الناس مشاركة ظاهرة {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ
فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرُكُمْ^ج إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

بَصِيرٌ{[المجادلة ١]}، فنشهد السماء تتدخل في شأن يوميّ لأسرة صغيرة فقيرة مغمورة لتقرر حكم الله في قضيتها، وقد سمع سبحانه للمرأة وهي تحاور رسول الله فيها، ولم تكد تسمعها عائشة رضي الله عنها وهي قريبة منها، وهي صورة تملأ القلب بوجود الله وقربه وعطفه ورعايته^(١) قوله: (التي تجادلك في زوجها) أي تراجعك الكلام في شأنه، (وتشتكي إلى الله) معطوف على (تجادلك) والمجادلة هذه الكائنة منها مع رسول الله أنه كلما قال لها: قد حرمت عليه، قالت: والله ما ذكر طلاقاً، ثم تقول: أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي، وإن لي صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إني أشكو إليك، فهذا معنى (وتشتكي إلى الله) قال الواحدي: قال المفسرون: نزلت هذه الآية في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت، وكان به لم فاشتد به لومه ذات يوم فظاهر منها ثم ندم على ذلك، وكان الظاهر طلاقاً في الجاهلية، وقيل: هي خولة بنت حكيم، وقيل: اسمها جميلة، والأول أصحّ، وقيل: هي بنت خويلد، قال الماوردي: إنها نسبت إلى تارة إلى أبيها وتارة إلى جدّها وأحدهما أبوها والآخر جدّها، فهي خولة بنت ثعلبة بن خويلد، وجملة (والله يسمع تحاوركما)..أي: والله يعلم تراجعكما في الكلام، (إن الله سميع بصير) يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر، ومن جملة ذلك ما جادلته به هذه المرأة^(٢)، قال القشيري في هذه الآية: "لما صدقت في شكواها إلى الله، وأيست من استكشاف ضرّها من غير الله، أنزل الله في شأنها (قد سمع الله)، تضرّعت إلى الله، ورفعت قصتها إلى الله، ونشرت غصتها بين يدي الله، فنظر إليها الله وقال (قد سمع الله)، ويقال: صارت فرجة ورخصة للمسلمين إلى القيامة في مسألة الظهار، وليعلم العالمون أن أحداً لا يخسر على الله".^(٣)

(١) يُنظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، المتوفى ١٣٨٥هـ، الناشر: دار الشروق_ بيروت،

القاهرة، الطبعة السابعة عشر، عدد الأجزاء: ٦، ٦/٣٥٠٣-٣٥٠٤

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢١٨-٢١٧/٥

(٣) يُنظر: لطائف الإشارات، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، المتوفى ٤٦٥هـ، تحقيق: إبراهيم البسيوني،

الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب_مصر، الطبعة الثالثة، ٥٤٨/٣

ولمّا أتمّ تعالى الخبر عن إحاطة العلم، استأنف الإخبار عن حكم الأمر المجادل بسببه، فقال ذاماً للظهار وكاسياً له ثوب العار^(١) {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ} ومعنى الظهار: أن يقول لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي..، (ماهن أمهاتهم) أي: ما نساؤهم بأمهاتهم فذلك كذب منهم، وفي هذا توبيخ للمظاهرين وتبكييت لهم.. ثم بيّن سبحانه لهم أمهاتهم على الحقيقة (إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم) أي: ما أمهاتهم إلا النساء اللائي ولدنهم، ثم زاد سبحانه في توبيخهم وتقريعهم فقال: (وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً) أي: وإن المظاهرين ليقولون بقولهم هذا منكراً من القول أي: فظيماً من القول ينكره الشرع، والزور: الكذب..، (إن الله لعفو غفور) أي بليغ العفو والمغفرة إذ جعل الكفارة عليهم مخصصة لهم من هذا القول المنكر.^(٢) ولمّا هجن سبحانه الظهار وأثبت تحريمه على أبلغ وجه وآكده، وكان ما مضت عليه العوائد لا بد أن يبقى منه بقايا، أتبع ذلك بيان حكم هذه الواقعة وما لعله يقع من نظائرها^(٣) فقال: {وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} فنلاحظ في الآية الثانية قوله تعالى: {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نِسَائِهِمْ} وفي هذه الآية: {وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ} وذلك "لأن الأول خطاب للعرب وكان طلاقهم في الجاهلية الظهار، فقيده بقوله (منكم)، وبقوله: (وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً) ثم بيّن أحكام الظهار للناس عامة فعطف عليه فقال: (والذين يظاهرون) فجاء في

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي،

المتوفى ٨٨٥هـ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، عدد الأجزاء: ٢٢، ٣٤٢/١٩

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢١٨/٥

(٣) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والصور ٣٤٨/١٩

كل آية ما اقتضاه معناه".^(١) والمعنى: والذين يقولون ذلك المنكر والزور (ثم يعودون لما قالوا) أي: ما قالوا بالتدارك والتلافي كما في قوله: {أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ} [النور ١٧]، أي: إلى مثله...، فتحرير رقبة: فالواجب عليهم إعتاق رقبة...، والظاهر أنها تُجزئ أي رقبة كانت، وقيل: يشترط أن تكون مؤمنة كالرقبة في كفارة القتل، وبالأول قال أبو حنيفة وأصحابه، وبالتالي قال مالك والشافعي واشترطا أيضاً سلامتها من كل عيب، وقوله (من قبل أن يتماساً) المراد: الاستمتاع بالجماع أو اللمس أو النظر إلى الفرج بشهوة...، والإشارة بقوله (ذلكم) إلى الحكم المذكور، وهو مبتدأ وخبره (توعظون به) أي: إن غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار، (والله بما تعملون خبير) لا يخفى عليه شيء من أعمالكم فهو مجازيكم عليها.^(٢) وقال العلماء في هذه الآية: هذه ناسخة لما كانوا عليه، لأن الظهار كان عندهم طلاقاً فنُسَخَ ذلك، وجعلت فيه الكفارة، قال أبو قلابة: كان الظهار طلاق الجاهلية، فكان الرجل إذا ظاهر من امرأته لم يرجع فيها أبداً.^(٣)

ثم يكمل سبحانه وتعالى في بيان كفارة الظهار لمن لم يجد رقبة يحررها، فيقول: {فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا} ^ط فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ^ح ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ^ج وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ^ف وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٠﴾} أي: فمن لم يجد الرقبة في ملكه ولا تمكن من قيمتها فعليه صيام شهرين متتابعين أي: متواليين لا يفطر فيهما فإن أفطر استأنف إن كان الإفطار لغير عذر...، ومعنى (من قبل أن يتماساً) فقد ذكر فيما تقدّم...، (فمن لم يستطع) يعني صيام شهرين متتابعين (فإطعام ستين مسكيناً) أي: فعليه أن يطعم ستين مسكيناً، كل مسكين مدان وهي نصف صاع، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه، وقال الشافعي وغيره:

(١) يُنظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/٤٥٦-٤٥٧

(٢) يُنظر: فتح القدير ٥/٢١٨-٢١٩

(٣) يُنظر: الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، المتوفى ٣٣٨هـ، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، الناشر: مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، عدد الأجزاء:

لكل مسكين مُدٍّ واحد، والظاهر من الآية أن يطعمهم حتى يشبعوا مرة واحدة أو يدفع إليهم ما يشبعهم، ولا يلزمه أن يجمعهم مرة واحدة بل يجوز له أن بعض الستين في يوم واحد وبعضهم في يوم آخر، والإشارة بقوله (ذلك) إلى ما تقدم ذكره من الأحكام، وهو مبتدأ وخبره مقدّر أي: ذلك واقع لتؤمنوا بالله ورسوله، ويجوز أن يكون اسم الإشارة في محلّ نصب، والتقدير: فعلنا ذلك لتؤمنوا، أي: لتصدقوا أن الله أمر به وشرّعه، أو لتطيعوا الله ورسوله في الأوامر والنواهي وتقفوا عند حدود الشرع ولا تتعدوها ولا تعودوا إلى الظهار الذي هو منكر من القول وزور، (وتلك حدود الله) فلا تجاوزوا حدوده التي حدّها لكم، فإنه قد بينّ لكم أن الظهار معصية وأن كفارته المذكورة توجب العفو والمغفرة، (وللكافرين) الذين لا يقفون عند حدود الله ولا يعلمون بما حدّه الله لعباده (عذاب أليم) وهو عذاب جهنم، وسمّاه كفراً تغليظاً وتشديداً.^(١)

ولما ذكر حدوده، ولوّح بالعطف على غير معطوف عليه إلى بشارة حافظها، وصرّح بتهديد متجاوزيها، أتبع ذلك تفصيل عذابهم الذي منه بشارة المؤمنين بالنصر عليهم، فقال مؤكداً لأجل إنكارهم لأن يُغلبوا على كثرتهم وقوتهم وضعف حزبه وقتلتهم^(٢)، فقال: {إِنَّ

الَّذِينَ تَحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ^ج وَقَدْ أَنْزَلْنَا

ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ^ع وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٢٠﴾} محادة الله ورسوله: مخالفتها

ومعصيتهما خصوصاً في الأمور الفظيعة، كمحادة الله ورسوله بالكفر، ومعاداة أولياء الله، وقوله: (كتبوا كما كتبت الذين من قبلهم) أي: أذلوا وأهينوا كما فعل بمن قبلهم، جزاء وفاقاً، وليس لهم حجة على الله، فإن الله قد قامت حجته البالغة على الخلق، وقد أنزل من الآيات البينات والبراهين ما يبين الحقائق ويوضح المقاصد، فمن اتبعها وعمل عليها، فهو من المهتدين الفائزين، (وللكافرين) بها (عذاب مهين) أي: يهينهم ويذلهم، كما تكبروا عن

(١) يُنظر: فتح القدير ٢١٩/٥-٢٢٠

(٢) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والصور ٣٥٥/١٩

آيات الله، أهانهم الله وأذلهم.^(١) ونلاحظ في الآية الرابعة قوله: {وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} وفي هذه الآية {وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ} وذلك "لأن الأول متصل بضده وهو الإيمان فتوعدهم على الكفر بالعذاب الأليم الذي هو جزاء الكافرين، والثاني متصل بقوله (كبتوا) وهو الإذلال والإهانة، فوصف العذاب بمثل ذلك فقال (مهيين)".^(٢) وما أحسن قول القشيري رحمه الله تعقيباً على هذه الآية: "وقد أجرى الله سنته بالانتقام من أهل الإجرام، فمن ضيّع للرسول سنة، وأحدث في دينه بدعة، انخرط في هذا السلك ووقع في هذا الذل".^(٣)

ومتى يكون هذا العذاب المهيين؟ إنه سيكون يوم يجمعهم الله بقدرته وقد أحصى عليهم كل صغير وكبير ارتكبوه، فيقول سبحانه: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا} أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ يوم يبعثهم الله فينبئهم بما عملوا، أي: يخبرهم بما عملوه في الدنيا من الأعمال القبيحة توبيخاً لهم وتبكيئاً، ولتكميل الحجة عليهم، (أحصاه الله ونسوه) أي: أحصاه الله جميعاً ولم يفته منه شيء، والحال أنهم قد نسوه ولم يحفظوه، بل وجدوه حاضراً مكتوباً في صحائفهم، (والله على كل شيء شهيد) لا يخفى عليه شيء من الأشياء بل هو مطلع وناظر.^(٤)

(١) يُنظر: تفسير السعدي، لأبي عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن حمد آل سعدي، المتوفى

١٣٧٦هـ، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، عدد الأجزاء: ١، ٨٤٥/١

(٢) يُنظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥٧/١

(٣) يُنظر: لطائف الإشارات ٥٥٠/٣

(٤) يُنظر: فتح القدير ٢٢٢/٥-٢٢٣

المطلب الثالث

إحاطة علم الله بكل شيء، وأدب مناجاته صلى الله عليه وسلم، الآيات (٧-١٣)

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^ط مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا^ط ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ^ج إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُمْ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُمْ عَنْهُ وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا^ط فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّجُوا بِالْبَرِّ وَالْتَّقْوَى^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ^ج وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ^ط وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ^ج وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ^ج ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ^ج فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ

تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيَّ حُجُوكُمْ صَدَقْتِ^ج فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ^ج وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ



التفسير الإجمالي للآيات:

ولما كان الإخبار عن إحاطة علمه وشمول قدرته على أنه بديهيّ التصور يحتاج عند من
جرّ الهوى إلى الشرك المقتضي للنقض إلى دليل منه فقد كان العرب ينكرون أن يسع
الناس كلهم إله واحد، قال تعالى دالّاً على ذلك بدليل شهوديّ ليفيد الإنسان بما يراه من
المحسوسات قاصراً الخطاب على أعلى الخلق إشارة إلى أنه لا يفهم ذلك حقّ فهمه
غيره^(١) فيقول {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^ط مَا
يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا
أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا^ط ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ^ج إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^٧} أي ألم تعلم أيها النبيّ وكل مخاطب أن
علم الله واسع شامل محيط بكل شيء في الأرض والسماء، بحيث لا يخفى عليه شيء
مما فيهما، فما يوجد من تناجي أشخاص ثلاثة أو خمسة إلا هو معهم بعلمه، ومطلع
عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم، ولا يوجد من نجوى أقل من ذلك العدد أو أكثر منه
مهما كان الرقم عشرات ومئات أو ألوفاً أو ملايين إلا وهو عليم بهم، في أي زمان وفي
أي مكان، يعلم السر والجر، لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه شيء من تناجيهم في
السر والعلن، لأن علم الله تعالى محيط بكل شيء، لا يحده زمان ولا يحجبه مكان، يسمع
كلامهم، ويبصر ويرى مكانهم حيثما كانوا، وأينما كانوا، ورسله أيضاً مع ذلك تكتب ما
يتناجون به، مع علم الله به، وسمعه له.. ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة، إن الله بكل
شيء عليم أي ثم يخبر الله عباده المتناجين وغيرهم بجميع أعمالهم يوم القيامة، ليعلموا

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٦٠/١٩-٣٦١

أن الله عالم بهم، وليكون إعلامه لمن يتتاجون بالسوء والمكر توبيخاً لهم وتكبيتاً، وإلزاماً للحجة، والله تعالى واسع العلم بكل الأشياء والأعمال، لا تخفى عليه خافية من الأمور، ويجازيهم عليها.^(١) قال ابن كثير رحمه الله: "وقد حكى غير واحد: الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علم الله تعالى، ولا شك في إرادة ذلك، ولكن سمعه أيضاً مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم فهو سبحانه مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء، وقال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم".^(٢)

ولما كان هذا الدليل أيضاً تتعذر الإحاطة به، قال دالاً عليه بأمر جزئي واقع بعلم المحدث عنه حقيقة، فإن عاند بعده سقط عنه الكلام إلا بحدّ الحسام^(٣) فقال: {أَلَمْ تَرِ

إِلَى الَّذِينَ هُوتُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُتُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا

فَبِئْسَ الْمَصِيرُ} قال ابن عباس ومجاهد: "نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتتاجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم من أقرابنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو مصيبة أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى يقدم أصحابهم وأقرباؤهم، فلما طال ذلك وكثر شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم ألا يتتاجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم، فأنزل الله هذه الآية"^(٤)، (ويتتاجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) ومعنى الإثم: ما هو إثم في

(١) يُنظر: التفسير المنير ٢٨/٢٨-٢٩

(٢) يُنظر: تفسير ابن كثير ٤٢/٨

(٣) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٦٧/١٩

(٤) يُنظر: أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، المتوفى ٤٦٨هـ، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح _ الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، ص ٤١٠-٤١١، وذكره ابن كثير في تفسيره ٧٣/٨

نفسه كالكذب والظلم، والعدوان: ما فيه عدوان على المؤمنين، ومعصية الرسول: مخالفته.^(١) (وإذا جاءوك حيّوك بما لم يحيّك به الله) قال القرطبي: "ولا خلاف بين النقلة أن المراد بها اليهود، كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون: السّام عليك، يريدون بذلك السلام ظاهراً وهم يعنون الموت باطناً"^(٢) وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: السّام عليك، وقالوا في أنفسهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) فأنزل الله عز وجلّ (وإذا جاءوك حيّوك ..) فقرأ إلى قوله (وإليه المصير)^(٣)، وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها: استأذن رهط من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: السّام عليك، فقالت عائشة: بل السّام عليكم واللعنة، قال: ((يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله، قالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: "فقد قلت: وعليكم"))^(٤) (ويقولون في أنفسهم) أي: فيما بينهم، (لولا يعذبنا الله بما نقول) أي: هلاً يعذبنا الله بذلك، ولو كان محمداً نبياً لعذبنا بما يتضمن قولنا من الاستخفاف به، وقيل المعنى: لو كان نبياً لاستجيب له فيما حيث يقول: وعليكم، ووقع علينا الموت عند ذلك.^(٥) قال ابن العربي^(٦): "كانوا يقولون لو كان محمد نبياً لما أمهلنا الله بسبّه والاستخفاف به، وجعلوا أن الباري تعالى حليم لا يعاجل من سبّه فكيف بمن سبّ نبيّه"^(٧)، (حسبهم جهنم) أي كافيهم جهنم عقاباً غداً، (فبئس المصير) أي: المرجع.^(٨)

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٢٤/٥

(٢) يُنظر: تفسير القرطبي ٢٩٢/١٧

(٣) أخرجه الإمام أحمد، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ح ٧٠٦١ ٦٣٤/١١، قال الأرنؤوط وغيره: حديث حسن لغیره وهذا إسناد حسن.

(٤) أخرجه الإمام أحمد، عن عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، ح ٢٤٠٩٠، ١٠٩/٤، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح وأخرجه الترمذي، أبواب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في التسليم على أهل الذمة، ح ٢٧٠١، ٦٠/٥

(٥) يُنظر: فتح القدير ٢٢٤/٥

(٦) ابن العربي: محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر بن العربي، قاضٍ من حفاظ الحديث، ولد في إشبيلية (٤٦٨هـ) ورحل إلى المشرق وبرع في الأدب، وصنف كتباً في الحديث والأصول والتفسير والأدب والتاريخ، وولي قضاء إشبيلية، مات بقرب فارس ودفن فيها (٥٤٣هـ) من كتبه: أحكام القرآن، العواصم من القواصم، وهو غير محي الدين بن عربي. يُنظر: الأعلام للزركلي ٢٣٠/٦

(٧) يُنظر: تفسير القرطبي ٢٩٢/١٧

(٨) يُنظر: المصدر السابق ٢٩٤/١٧

ولمّا نهى الله عن النجوى وذمّ على فعلها وتوعد عليه فكان ذلك موضع أن يُظن أن النهي عام لكل نجوى وإن كانت بالخير، استأنف قوله منادياً بالأداة التي يكون ما بعدها له وقع عظيم، معبراً بأول أسنان الإيمان باقتضاء الحال له^(١)، فقال: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾} فقد نهى الله المؤمنين أن

يكون تتاجيهم مثل تتاجي الكفار، وبدأ بالإثم لعمومه ثم بالعدوان لعظمته في النفوس، إذ هي ظلمات العباد، ثم ترقى إلى ما هو أعظم وهو معصية الرسول عليه الصلاة والسلام، وفي هذا طعنٌ على المنافقين إذ كان تتاجيهم في ذلك.^(٢) (وتتاجوا بالبر) يعني طاعة الله وما يقربكم منه، (والتقوى) وباتقائه بأداء ما كلفكم به من فرائضه واجتناب معاصيه، (واتقوا الله الذي إليه تحشرون) وخافوا الله الذي إليه مصيركم وعنده مجتمعكم، في تضييع فرائضه والتقدم على معاصيه أن يعاقبكم عليه عند مصيركم إليه.^(٣)

ولمّا شدّد سبحانه في أمر النجوى وكان لا يفعلها إلا أهل النفاق فكان ربما ظنّ ظانٌّ أنه يحدث عنها ضرر لأهل الدين، قال سارّاً للمخلصين وغامّاً للمنافقين ومبيناً أن ضررها إنما يعود عليهم^(٤)، فقال: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَلَيْسَ بِضَارٍّ لَهُمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ^ع وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾} يبين

سبحانه أن ما يفعله المنافقون واليهود من التتاجي هو من جهة الشيطان (إنما النجوى) يعني بالإثم والعدوان ومعصية الرسول من الشيطان لا من غيره، أي من تزيينه وتسويله، (ليحزن الذين آمنوا) أي لأجل أن يوقعهم في الحزن بما يحصل لهم من التوهم أنها مكيدة يكادون بها، (وليس بضارٍّ لهم شيئاً) أي: وليس الشيطان أو التتاجي الذي يزيينه الشيطان بضارٍّ المؤمنين شيئاً من الضرر (إلا بإذن الله) أي بمشيئة الله وقيل بعلمه، (وعلى الله

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٧٠/١٩-٣٧١

(٢) يُنظر: البحر المحيط في التفسير ١٢٦/١٠

(٣) يُنظر: تفسير الطبري ٢٤١/٢٣

(٤) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٧٢/١٩-٣٧٣

فليتوكل المؤمنون) أي يكون أمرهم إليه ويفوضونه في جميع شؤونهم ويستعينون بالله من الشيطان ولا يبالون بما يزينه من النجوى.^(١)

ولما ذكر ما يحزن من السرّ لكونه اختصاصاً عن المجلس بالمقال فينشأ عنه ظنّ الكدر وتباعد القلوب، أتبعه الاختصاص بالمجلس الذي هو مباحة الأجسام اللازم لها من الظن ما لزم من الاختصاص بالسرّ في الكلام فينشأ عنه الحزن، معلماً لهم بكمال رحمته وتمام رأفته بمراعاة حسن الأدب بينهم وإن كان من أمور العادة دون أحكام العبادة^(٢) فقال:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ} وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا

الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾} أمر الله سبحانه بحسن الأدب مع

بعضهم بعضاً بالتوسعة في المجلس وعدم التضايق فيه، قال قتادة ومجاهد والضحاك: كانوا يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فأمرُوا أَنْ يَفْسَحَ بعضهم لبعض، وقال الحسن ويزيد بن أبي حبيب^(٣): هو مجلس القتال إذا اصطَفُوا للحرب كانوا يتحاشون على الصف الأول فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في القتال لتحصيل الشهادة، (فافسحوا يفسح الله لكم) أي: فوسّعوا يوسّع الله لكم في الجنة أو في كل ما تريدون التفسّح فيه من المكان والرزق وغيرهما.^(٤) والأرجح أن الآية عامة في كل مجلس، قال القرطبي: "الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والأجر، سواء كان مجلس حرب أو ذكر أو مجلس يوم الجمعة فإن كل واحد أحقّ بمكانه الذي سبق إليه"^(٥) وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يقيمن

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٢٥/٥

(٢) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٧٥/١٩

(٣) يزيد بن أبي حبيب، أبو رجاء: مفتي أهل مصر في صدر الإسلام، وأول من أظهر علوم الدين والفقه بها، قال

الليث: يزيد عالمنا وسيدنا،.. كان حجة حافظاً للحديث، توفي عام ١٢٨ هـ. يُنظر: الأعلام ١٨٣/٨-١٨٤

(٤) يُنظر: فتح القدير ٢٢٥/٥-٢٢٦

(٥) يُنظر: تفسير القرطبي ٢٩٧/١٧

أحدكم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه" ^(١) وعن ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((أنه نهى أن يُقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر، ولكن تفسّحوا وتوسّعوا، وكان ابن عمر يكره أن يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه)) ^(٢)، (وإذا قيل انشزوا) عن النبي صلى الله عليه وسلم (فانشزوا) فإن له حوائج فلا تمكثوا، وقال قتادة: أجيئوا إذا دعيتم إلى أمر بمعروف، وهذا هو الصحيح لأنه يعمّ،.. (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) أي في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن، والعالم على من ليس بعالم، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "مدح الله العلماء في هذه الآية" والمعنى: أنه يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم (درجات) أي درجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به، وقيل: كان أهل الغنى يكرهون أن يزاحمهم من يلبس الصوف فيستبقون إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فالخطاب لهم. وبين في هذه الآية الرفعة عند الله تعالى بالعلم والإيمان لا بالسبق إلى صدور المجالس، وقيل: أراد بالذين أوتوا العلم الذين قرؤوا القرآن، وقال يحي بن يحي عن مالك: (يرفع الله الذين آمنوا منكم) الصحابة، (والذين أوتوا العلم درجات) يرفع الله بها العالم والطالب للحق ^(٣)، وعموم الآية تنثي على المؤمنين العلماء وهذا ما رجحه القرطبي حين قال "قلت: والعموم أوقع في المسألة وأولى بمعنى الآية فيرفع المؤمن بإيمانه أولاً ثم بعلمه ثانياً" ^(٤)، وفي هذه الآية فضيلة عظيمة للعلم وأهله، وقد دلّ على فضله وفضلهم آيات قرآنية وأحاديث نبوية، (والله بما تعملون خبير) لا يخفى عليه شيء من أعمالكم من خير أو شرّ فهو مجازيكم بالخير خيراً وبالشّرّ شراً. ^(٥)

وبعد بيان أدب الإسلام في المناجاة والمجالسة، أمر تعالى المؤمنين بتقديم صدقة قبل مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا يتنافسون في القرب من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لسماع أحاديثه، وكانوا يكثرون من هذه المناجاة وكان يشق على

(١) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه، ح ٢١٧٧، ١٧١٤/٤

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب (إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس..)، ح ٦٢٧٠، ٦١/١

(٣) يُنظر: تفسير القرطبي ٢٩٩/١٧

(٤) يُنظر: المرجع السابق ٣٠٠/١٧

(٥) يُنظر: فتح القدير ٢٢٦/٥-٢٢٧

النبي صلى الله عليه وسلم وقد يستثقله الحاضرون، فأراد الله أن يحدّ من هذه المناجاة ويخفف عن نبيه فأمر بتقديم الصدقة قبل المناجاة تعظيماً للنبي صلى الله عليه وسلم وإعظام مناجاته، ولنفع الفقراء بتلك الصدقات المقدّمة قبل المناجاة، ولتمييز المنافقين الذين يحبون المال عن المؤمنين المخلصين^(١) فقال: {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُودِكُمْ صَدَقَةً^ج ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ^ج فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾}

المناجاة: المسارعة، والمعنى: إن أردتم مسارعة الرسول في أمر من أموركم فقدموا بين يدي مساررتكم له صدقة^(٢)، قال مقاتل بن حيان: نزلت في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك من طول جلوسهم ومناجاتهم، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية وأمر بالصدقة عند المناجاة، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً، وأما أهل الميسرة بخلوا، واشتدّ على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فنزلت الرخصة^(٣) والإشارة بقوله (ذلك) إلى ما تقدم من تقديم الصدقة بين يدي النجوى، (خير لكم وأطهر) لما فيه من طاعة الله، وتقييد الأمر يكون امتثاله خيراً لهم من عدم الامتثال، وأطهر لنفوسهم يدل على أنه أمر نذب لا أمر وجوب (فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم) يعني من كان لا يجد تلك الصدقة المأمور بها بين يدي النجوى، فلا حرج عليه في النجوى بدون صدقة^(٤) وعن سلمة بن كهيل قال في قوله تعالى: (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُودِكُمْ صَدَقَةً) أول من عمل بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم نسخت.^(٥) قال القشيري: "لما كان الإذن

(١) يُنظر: التفسير المنير ٤٦/٢٨

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٢٧/٥

(٣) يُنظر: أسباب نزول القرآن ص ٤١٣، وذكر مثله السيوطي في الدر ٨٣/٨ وعزاه لابن أبي حاتم

(٤) يُنظر: فتح القدير ٢٢٧/٥

(٥) يُنظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٧٠٠

في النجوى مقروناً ببذل المال امتنعوا وتركوا، وبذلك ظهرت جواهر الأخلاق ونقاوة الرجال".^(١)

ولما دلّ ختم الآية على التخفيف وكان يدّعي مدّعون عدم الوجدان كذباً فيحصل لهم حرج، وكان تعالى شديد العناية بنجاة هذه الأمة دلّ على لطفه بهم بنسخه بعد فرضه، فقال موبّخاً لمن يشحّ على المال نادباً إلى الخروج عنه من غير إيجاب^(٢) فقال: {ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ جُحُوتِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ

عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ^ج وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ }^(٣) { أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجَوَاكُمْ صَدَقَاتٍ أَي: أَخَفْتُمْ الْفَقْرَ وَالْعِيْلَةَ لِأَنْ

تقدّموا ذلك، والإشفاق: الخوف من المكروه، والاستفهام للتقرير، وقيل المعنى: أبخلتم؟ وجمع الصدقات هنا باعتبار المخاطبين، قال مقاتل بن حيان: إنما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ، وقال الكلبي: ما كان ذلك إلا ليلة واحدة، وقال قتادة: ما كان إلا ساعة من النهار، (فإذ لم تفعلوا) ما أمرتم به من الصدقة بين يدي النجوى، وهذا خطاب لمن وجد ما يتصدق به ولم يفعل، وأما من لم يجد فقد تقدّم الترخيص له بقوله: (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ)، وتاب الله عليكم بأن رخص لكم في الترك.. فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة،

والمعنى: إذا وقع منكم التثاقل عن امتثال الأمر بتقديم الصدقة بين يدي النجوى فاثبتوا على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله فيما تؤمرون به وتتهون عنه.^(٣) قال البقاعي: "ولما خصّ أشرف العبادات البدنيّة وأعلى المناسك الماليّة عمّ فقال حاثاً على زيادة النور والبرهان اللذين تقع المشاكلة في الأخلاق فتكون المناجاة عن أعظم إقبال

(١) يُنظر: لطائف الإشارات ٣/٣٥٣-٣٥٤

(٢) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٨٣/١٩

(٣) يُنظر: فتح القدير ٢٢٧/٥

وإنفاق فقال: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} ^(١) والله خبير بما تعملون لا يخفى عليه من ذلك شيء فهو مجازيكم. ^(٢)

^(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٨٤/١٩

^(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٢٧/٥

المطلب الرابع

موالاة الكفار وعاقبتها، الآيات (١٤-٢٢)

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ
وَتَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ^ط إِنَّهُمْ
سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ
عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ^ج أُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ ^ط هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ ^ط كَمَا
تَحْلِفُونَ لَكُمْ ^ط وَتَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ^ج أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ
عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ^ج أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ^ج أَلَا إِنَّ حِزْبَ
الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ^ج أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ
﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ^ج إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ
قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ
كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ^ج أُولَئِكَ كَتَبَ فِي
قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ^ط وَيَدْخُلُهُمُ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا ^ج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ^ج أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ^ج أَلَا إِنَّ
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ }

التفسير الإجمالي للآيات:

قال السدي ومقاتل: نزلت في عبدالله بن نبتل المنافق، كان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره إذ قال: ((يدخل عليكم الآن رجل قلب جبار وينظر بعيني شيطان، فدخل عبدالله بن نبتل، وكان أزرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "علام تشتمني أنت وأصحابك؟" فحلف بالله ما فعل ذلك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "فعلت" فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبّوه، فأنزل الله هذه الآيات)).^(١)

لما أخبر "سبحانه" بإحاطة علمه ردعاً لمن يغترّ بطول حلمه، دلّ على ذلك باطلاعه على نفاق المنافقين الذي هو أبطن الأشياء، فقال معجباً مرهباً معظماً للمقام بتخصيص الخطاب بأعلى الخلق صلى الله عليه وسلم تنبيهاً على أنه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره^(٢) فقال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ

وَتَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} ألم تر إلى الذين تولّوا قوماً أي: والوهم، قال قتادة: هم المنافقون تولّوا اليهود، وقال السدي ومقاتل: هم اليهود تولّوا المنافقين، ويدل على الأول بقوله: (غضب الله عليهم) فإن المغضوب عليهم هم اليهود، ويدل على الثاني قوله: (ما هم منكم ولا منهم) فإن هذه الآية صفة المنافقين، كما قال الله فيهم في سورة النساء: {مُذَبَذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ}

[النساء ١٤٣].. (ويحلفون على الكذب) أي: يحلفون أنهم مسلمون، أو يحلفون أنهم ما نقلوا الأخبار إلى اليهود... (وهم يعلمون) أي: والحال أنهم يعلمون بطلان ما حلفوا عليه وأنه كذب لا حقيقة له^(٣)، وبعد أن بيّن سبحانه حالهم الفاسدة في موالاتهم لليهود وكذبهم بيّن جزاءهم فقال: {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

(١) يُنظر: أسباب نزول القرآن ص ٤١٣، والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب العين، سعيد بن جبیر عن ابن عباس، ح ١٢٣٠٧، ٧/١٢، والإمام أحمد، مسند بني هاشم، مسند عبدالله بن عباس، ح ٣٢٧٧، ٥/٣١٦-٣١٧، قال الأرئؤوط: إسناده حسن.

(٢) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والصور ٣٨٥/١٩

(٣) يُنظر: فتح القدير ٢٢٩/٥

أي: أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة، وهي موالاة الكفار ونصحهم، ومعاداة المؤمنين وغشهم^(١)، إنهم ساء ما كانوا يعملون: لما أخبر الله بعذابهم علّله بما دلّ على أنه واقع في أتمّ مواقعه فقال مؤكداً تقبيحاً على كل من يستحسن أفعالهم (إنهم ساء) أي بلغ الغاية في السوء.^(٢) وهل هناك أقبح من موالاة أعداء الله؟ قال القشيري: "من وافق مغضوباً عليه أشرك نفسه في استحقاق غضب مَنْ هو الغضبان، فمن تولّى مغضوباً عليه من قبل الله استوجب غضب الله وكفى بذلك هواناً وخسراناً."^(٣)

وبعد أن بيّن سبحانه سوء عملهم وكذبهم أكد ذلك بقوله: {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} اتخذوا أيمانهم جنة: ترساً ووقاية، يتقون بها من لوم الله ورسوله والمؤمنين، فبسبب ذلك صدوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله، وهي الصراط الذي من سلكه أفضى به إلى جنات النعيم. ومن صد عنه فليس إلا الصراط الموصل إلى الجحيم، (فلهم عذاب مهين) حيث استكبروا عن الإيمان بالله والانقياد لآياته، أهانهم بالعذاب السرمدي، الذي لا يفتر عنهم ساعة ولا هم ينظرون.^(٤) وما أجمل قول القشيري حين قال في هذه الآية: "من استتر بجنة طاعته لتسلم له دنياه فإن سهام التقدير من ورائه تكشفه من حيث لا يشعر، فلا دينه يبقى ولا دنياه تسلم".^(٥) وبعد أن بيّن أنّ هذه الأيمان لن تنفعهم استأنف بأن أموالهم وأولادهم التي يتفخرون بها هي أيضاً لن تنفعهم ولن تغني عنهم من عذاب الله من شيء، فقال: {لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً: أي لن تغني عنهم من عذابه شيئاً

(١) يُنظر: تفسير ابن كثير ٥٢/٨

(٢) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٨٨/١٩

(٣) يُنظر: لطائف الإشارات ٥٥٤/٣

(٤) يُنظر: تفسير السعدي ٨٤٧/١

(٥) يُنظر: لطائف الإشارات ٥٥٤/٣

من الإغناء، قال مقاتل: قال المنافقون: إن محمداً يزعم أنه يُنصر يوم القيامة، لقد شقينا إذاً، فوالله لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا إن كانت قيامة فنزلت الآية، (أولئك أصحاب النار) لا يفارقونها (هم فيها خالدون) لا يخرجون منها.^(١) ولما كان إفسادهم لذات البين سرّاً، وحلفهم على نفي ذلك جهراً مع الإلزام بقبول ما ظهر من ذلك منهم مع علمه سبحانه وتعالى بأنه كذب غائظاً موجعاً، وكان ربما توهم متوهم أنه تعالى كما ألزم قبولنا لما ظهر منهم في دار العمل يأمر قبولهم في دار الجزاء، قال نافياً لذلك ومعزياً للمؤمنين بأنهم يفعلون ذلك معه سبحانه بعد كشف الغطاء وتحقيق الأمور، لأن الإنسان يُبعث على ما مات عليه لأن ذلك جبلته التي لا ينفك عنها ولا ينفعهم ذلك ذاكرةً ظرف الخلود وإظهار التعذيب^(٢) فقال: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا تَحْلِفُونَ لَكُمْ^ط وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ^ج إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾} يوم يبعثهم الله فيحلفون له كما يحلفون لكم: أي يحلفون لله يوم القيامة على الكذب كما يحلفون لكم في الدنيا، وهذا من شدة شقاوتهم ومزيد الطبع على قلوبهم، فإن يوم القيامة قد انكشفت الحقائق وصارت الأمور معلومة بضرورة المشاهدة، فكيف يجترئون على أن يكذبوا في ذلك الموقف؟ ويحلفون على الكذب ويحسبون أنهم على شيء أي يحسبون أنهم بتلك الأيمان الكاذبة على شيء مما يجلب لهم نفعاً أو يدفع ضرراً، كما كانوا يحسبون ذلك في الدنيا، ألا إنهم هم الكاذبون: أي الكاملون في الكذب المتهاكون عليه، البالغون فيه إلى حدٍّ لم يبلغ إليه بإقدامهم عليه وعلى الأيمان الفاجرة في موقف القيامة وبين يدي الرحمن.^(٣)

قال سيد قطب رحمه الله: "يُصوّر مشهدهم يوم القيامة في وضع مزرٍ مهين وهم يحلفون لله كما يحلفون للناس، مما يشير إلى أن النفاق قد تأصل في كياناتهم حتى ليصاحبهم إلى يوم القيامة وفي حضرة جلال الله الذي يعلم خفايا القلوب وذوات الصدور".^(٤)

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٣٠/٥

(٢) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٩١-٣٩/١٩

(٣) يُنظر: فتح القدير ٢٣٠/٥

(٤) يُنظر: في ظلال القرآن ٣٥١٣/٦

ولمّا كان هذا الانهماك فيما لا يغني مما يحصل لسامعه غاية العجب من وقوع عاقل فيه مرّة من الدهر فضلاً عن ملازمته، أخبر عن الحامل لهم عليه فقال مستأنفاً: (١)

{اَسْتَحُوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطٰنُ فَاَنْسَهُمْ ذِكْرَ اللّٰهِ ۚ اُولٰٓئِكَ حِزْبُ الشَّيْطٰنِ ۚ اَلَا

اِنَّ حِزْبَ الشَّيْطٰنِ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ } {١٩}

واستعلى واستولى... (فأنسأهم ذكر الله) أي أوامره والعمل بطاعته فلم يذكروا شيئاً من ذلك، وقيل: زواجه في النهي عن معاصيه، وقيل: لم يذكره بقلوبهم ولا بالسنتهم، والإشارة بقوله (أولئك) إلى المذكورين الموصوفين بتلك الصفات، (حزب الشيطان) أي جنوده وأتباعه ورهطه، (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) أي الكاملون في الخسران حتى كأن خسار غيرهم بالنسبة إلى خسارهم ليس بخسران، لأنهم باعوا الجنة والهدى بالضلالة وكذبوا على الله وعلى نبيه وحلفوا الأيمان الفاجرة في الدنيا والآخرة (٢)، ولمّا بين ما أوصلهم إليه نسيان الذكر من الخسار، بين أنه أوقعهم في العداوة، فقال معللاً الخسار والنسيان والتحزب، وأكد تكذيباً لحالفهم على نفي ذلك مُظهراً موضع الإضمار للتنبيه على الوصف الموقع في الهلاك (٣) {اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَلَمْ يَنْتَهِوْا عَنْ اَعْمٰلِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ اِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ ۚ اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ } (٤)

{المحاذة: المشاقّة والمعاداة والمخالفة.. (أولئك في الأذلين) أي: أولئك المحادون لله

ورسوله المتصفون بتلك الصفات المتقدّمة من جملة من أدله الله من الأمم السابقة واللاحقة، لأنهم لمّا حادّوا الله ورسوله صاروا من الذلّ بمكان (٤) (في الأذلين) هم من جملة المغلوبين وفي جملة من هم أدلّ خلق الله تعالى، لا ترى أحداً أدلّ منهم سواء في الدنيا بالقتل والأسر والطرْد من الديار كما حصل للمشركين واليهود، وفي الآخرة بالخزي والنكال والعذاب كما قال تعالى: {رَبَّنَا اِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ اُخْزِيْتَهُ ۖ وَمَا

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٩٢/١٩

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٣٠/٥

(٣) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٩٤/١٩

(٤) يُنظر: فتح القدير ٢٣٠/٥

لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ {آل عمران ١٩٢}، وهذا إنذار بهزيمة أعداء الله.^(١) ولما أنزلهم بالحضيض الأسفل علّل ذلك بما يدلّ على أنه سبحانه لا شريك له بإتمام كلماته بنصر أوليائه على ضعفهم، وخذلان أعدائه على قوتهم^(٢) فقال: {كَتَبَ اللَّهُ لَا غَلِبَ لَنَا وَأَنْزَلْنَاكَ عَلَى رُسُلِنَا إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} {الن ١٠١} كتب الله لأغلبن أنا ورسلي: أي كتب في اللوح المحفوظ وقضى في سابق علمه (لأغلبن أنا ورسلي) بالحجة والسيف، قال الزجاج: معنى غلبة الرسل نوعين: من بُعث بالحرب فهو غالب في الحرب، ومن بُعث منهم بغير الحرب فهو غالب بالحجة^(٣)، (إن الله قوي عزيز) فهو تعالى كامل القوة عظيم القدرة شامل العزّة، العزيز الذي له العزّة كلّها، عزّة القوة وعزّة الغلبة وعزّة الامتناع.^(٤) ولما ظهر بهذا كالشمس أن من والاه سبحانه كان فائزاً، ومن عاداه كان خاسراً كانت نتيجته قطعاً التحذير من موالاته أعداء الله في سياق النفي المفيد للمبالغة في النهي عنه والزجر عن قربانه^(٥) فقال: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} {الت ٢٢} ذكر الواحدي: قال ابن جريج: حدثت أن أبا قحافة سبّ النبي صلى الله عليه وسلم فصكّه أبو بكر صكّة شديدة سقط منها، ثم ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أوفعلته؟ قال: نعم، قال: فلا تعد

(١) يُنظر: التفسير المنير ٥٨/٢٨

(٢) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٩٥/١٩

(٣) يُنظر: فتح القدير ٢٣٠/٥

(٤) يُنظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي ص ٢١٤

(٥) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٩٦/١٩

إليه)) فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لو كان السيف قريباً منّي لقتلته، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد.^(١)

لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله: الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح له، (يوادّون) أي يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله وشاقّهما... (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) أي ولو كان المحادّون آباء الموادّين أو أبناءهم... إلخ، فإن الإيمان يزجر عن ذلك ويمنع منه، ورعايته أقوى من رعاية الأبوة والبنوة والأخوة والعشيرة^(٢)، وقدّم أولاً الآباء لأنه يجب طاعتهم، ثم ثنى بالأبناء لأنهم أعلق بالقلب، ثم ثلث بالإخوان لأنهم الناصرون بمنزلة العضد من الذراع، ثم ربّع بالعشيرة لأن بها يُستغاث وعليها يُعتمد، أفاده السمين.^(٣) أولئك كتب في قلوبهم الإيمان: أي الذين لا يوادّون من حادّ الله ورسوله، ومعنى كتب في قلوبهم الإيمان: خلقه، وقيل: أثبته، وقيل: جعله، وقيل: جمعه، والمعاني متقاربة، وأيدهم بروح منه: أي قواهم بنصر منه على عدوهم في الدنيا، وسمي نصره روحاً لأنه به يحيا أمرهم... ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها على الأبد، رضي الله عنهم: أي قبل أعمالهم وأفاض عليهم آثار رحمته العاجلة والآجلة، ورضوا عنه: أي فرحوا بما أعطاهم عاجلاً وآجلاً، أولئك حزب الله: أي جنده الذين يمنتثلون بأوامره ويقاثلون أعداءه وينصرون أوليائه، وفي إضافتهم إلى الله سبحانه تشريف لهم وتعظيم وتكريم فخيم، ألا إن حزب الله هم المفلحون: أي الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة، الكاملون في الفلاح، الذين صار فلاحهم هو الفرد الكامل حتى كأن فلاح غيرهم بالنسبة إلى فلاحهم ك: لا فلاح.^(٤) واستدل بهذه الآية من منع تعزية الكافر، وأخرج ابن أبي حاتم عن مالك أنه سئل عن مجالسة القدرية وكلامهم فنهى عن ذلك وتلا هذه الآية^(٥) قال القشيري: "من جنح إلى

(١) يُنظر: أسباب نزول القرآن ص ٤١٤، وقال عنه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف: حديث غريب.

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٣١/٥

(٣) يُنظر: فتح البيان في مقاصد القرآن ٣٣/١٤

(٤) يُنظر: فتح القدير ٢٣١/٥

(٥) يُنظر: الإكليل في استنباط التنزيل، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المتوفى ٩١١هـ، تحقيق: سيف

سيف الدين عبد القادر الكاتب، الناشر: دار الكتب العملية_بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، عدد الأجزاء: ١٠، ص ٢٥٧

منحرف عن دينه أو داهن مبتدعاً في عهده، نزع الله نور التوحيد من قلبه فهو في خيانتته جائر على عقيدته، وسيزوق قريباً وبال أمره.^(١)

وهكذا نرى أن سورة المجادلة ابتدأت بقصة المجادلة وسماع الله لها، وانتهت برضاه سبحانه عن المؤمنين الصادقين وحزبه المتقين، وقد قال السيوطي رحمه الله: "في أولها ذكر من سمع الله من أوليائه، وفي آخرها ذكر من رضي الله عنه من أحبائه".^(٢)

(١) يُنظر: لطائف الإشارات ٥٥٥/٣

(٢) يُنظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المتوفى ٩١١ هـ، قرأه وتممه: د. عبد الحسن بن عبد العزيز العسكر، الناشر: مكتبة دار المناهج للنشر والتوزيع_الرياض، الطبعة الاولى ١٤٢٦ هـ، عدد الأجزاء: ١، ص ٧٠

المبحث الثالث: مقاصد سورة المجادلة وتوجيهاتها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سعة علم الله تعالى وإحاطته بكلّ شيء.

المطلب الثاني: الولاء والبراء.

المطلب الثالث: النهي عن إيذاء الناس حسياً أو معنوياً.

المطلب الأول

سعة علم الله تعالى وإحاطته بكل شيء

سورة المجادلة هي السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي ذكر فيها لفظ الجلالة في كل آية من آياتها، وذلك لاستشعار رقابة الله على العبد، واستشعار عظمته وقدرته وسعة علمه، ويبعث الهيبة والخوف من الله في النفوس، وتجلى ذلك في عدة آيات من السورة:

١- فقد سمع الله شكوى المجادلة التي جادلت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت حالها إلى الله، فسمع قولها وعلم حالها، ومن أجل ذلك قالت عائشة رضي الله عنها: ((الحمد لله الذي توسع لسمع الأصوات كلها، لقد جاءت المجادلة فكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في جانب البيت لا أدري ما تقول)) فأُنزل الله {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} ^(١) فأُنزل الله حكم الظهار وكفارته وكشف كربتها.

٢- بين أنه العليم بكل ما في السماوات والأرض و يعلم السر وأخفى، ويعلم تناجي المتناجين {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا..} [المجادلة ٧].

٣- علمه سبحانه بكل عمل يعمله الإنسان، صغيراً كان هذا العمل أم كبيراً، ثم يجازيه به يوم القيامة {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا} أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ [المجادلة ٦].

٤- علمه سبحانه بما في النفوس وإحاطته بما تخفي الصدور، فاليهود الذين كانوا يأتون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون: السام عليك، وهم يقصدون الموت، ففضحهم الله وأخزاهم.

(١) سبق تخريجه ص ١٣

٥- علمه سبحانه بالنجوى والتسارر بين المنافقين واليهود، فأخبر تبارك وتعالى بأن نجواهم إنما هي من الشيطان، هدفهم بها إدخال الحزن على قلوب المؤمنين.

٦- علمه بكذب المنافقين في حلفهم ظانين أن الله لا يعلم ما يسرون وما يعلنون {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا تَحْلِفُونَ لَكُمْ^ط وَتَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ^ج أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَذِبُونَ} [المجادلة ١٨].

٧- علمه جلّ وعلا بما في قلوب المناجين لرسوله صلى الله عليه وسلم من أسئلة لا طائل منها، ومشقة رسول الله بذلك، فشرع الصدقة قبل مناجاته تأدباً معه صلى الله عليه وسلم وليميز الخبيث من الطيب.

٨- علمه سبحانه بما يدخل المحبة في النفوس، ويربي الألفة في القلوب، فأمر المؤمنين بالتفصح في المجالس والتوسعة لبعضهم البعض.

٩- خُتِمت ست آيات في السورة بما يدل على سعة علم الله تعالى وإحاطته بكل شيء:
{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (١)، {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (٢)، {وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (٦)، {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (٧)، {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (١١)، {وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (١٣).

وكلّ هذا يدلّ على وجوب أن نستشعر رقابة الله علينا لنصل إلى مرتبة الإحسان، وحينها لا يرانا سبحانه حيث ينهاننا، ولا يفتقدنا حيث يأمرنا.

المطلب الثاني

الولاء و البراء

إن إيمان العبد لا يكمل إلا بالولاء و البراء والحب في الله والبغض في الله، وسورة المجادلة حذرت من موالاة أعداء الدين، كما فعل المنافقون في موالاتهم لليهود، فتوعدهم الله بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة لسوء فعلهم وقبح صنيعهم، فقال سبحانه {أَلَمْ تَرَ

إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَحَلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾} أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾} [المجادلة ١٤-١٥]، ثم ختم السورة أيضاً بمدح الصحابة رضي الله عنهم

حين عادوا أعداء الدين على الرغم من قرابتهم، وهذا هو الولاء والبراء تجلّى بأعظم صورة عندهم رضوان الله عليهم، فمن أحب الله وأبغض الله ثبتت الله الإيمان في قلبه وأيده ونصره وأدخله الجنة منعماً، ورضي عنه رضى لا سخط بعده، قال سبحانه: {لَا تَجِدُ قَوْمًا

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۖ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾} [المجادلة ٢٢]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: ((أي عرى الإيمان _ أظنه قال _ أوثق؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في

الله)).^(١) وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من أحبّ الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان)).^(٢).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، عن عكرمة عن ابن عباس، ح ١١٥٣٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٩٩٨.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ح ٤٦٨١، ٢٢٠/٤، قال الألباني: صحيح، وذكره في السلسلة الصحيحة رقم ٣٨٠.

المطلب الثالث

النهي عن إيذاء الناس حسياً أو معنوياً

الإسلام جعل للأخلاق مكانة عظيمة، بل إن أحد أهم أسباب البعثة هو الرقي بأخلاق الفرد والمجتمع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)).^(١) ومن يستعرض الأخلاق في الإسلام يرى أن كل خلق فيه نشر للحب والتآخي، أمر به الإسلام، وعلى العكس أيضاً كل خلق يكون سبباً في نشر البغضاء والتنافر نهى عنه الإسلام، فتكون النتيجة انضباط الفرد والمجتمع والرقى إلى مراقي الفلاح.

وقد تجلّى هذا المقصد في سورة المجادلة من خلال:

١- نهى سبحانه عن إيذاء الناس معنوياً بإدخال الحزن إلى قلوبهم عن طريق التناجي والتسارر، فهو شر يجر شراً، وهو بلا شك له أثر سيء في النفس ومدعاة للشك والريبة وسوء الظن، وسبب لإدخال الحزن وكسر القلوب ونشر بذور الفتنة، وكفى به شراً وإثماً أن الله ذكره في سورة المجادلة باعتباره صفة ملازمة لليهود والمنافقين، وعزاه للشيطان فقال: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [المجادلة: ١٠] وعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه)).^(٢)

٢- نهى سبحانه عن الظهار وعدّه كذباً وزوراً وبهتاناً، لما فيه من إيذاء المرأة وهضم لحقوقها وظلم لها، وفرض الكفارة المغلظة على المظاهر فقال سبحانه: {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي

(١) أخرجه البيهقي، كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الاخلاق ومعاليها، ح ٢٠٧٨٢، ٣٢٣/١٠، وصححه الألباني في

السلسلة الصحيحة رقم ٤٥

(٢) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنتين دون الثالث بغير رضاه، ح ٢١٨٤، ١٧١٨/٤

وَلَدَنَّهُمْ^ج وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا^ج وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ

{ [المجادلة ٢].

٣- أمر سبحانه بالتفصح في المجالس لما في ذلك من إشاعة المحبة والتآخي، فحين يدخل شخص إلى المجلس فإن المرجو من الجالسين الانفراج والفسحة له وأن يخلو له مجالاً حتى يجلس معهم كي لا يبقى في حيرة وخجل، وهذا الخلق والأدب أحد أهم عوامل تقوية روابط الأخوة والمحبة، ولهذا جاء في سورة المجادلة بصيغة الأمر (فافسحوا) وجعل لها سبحانه الأجر الكريم فمن وسع وسع الله له {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ

تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ^ط} [المجادلة ١١].

وهكذا تجلى هذا المقصد في سورة المجادلة، فديننا دين الأدب والأخلاق ونشر المحبة والابتعاد عن إيذاء الناس بشتى الأشكال والصور.

الفصل الثاني: سورة الحشر، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بين يدي السورة،

المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة.

المبحث الثالث: مقاصد سورة الحشر وتوجيهاتها.

المبحث الأول: بين يدي السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها.

ثانياً: سبب نزولها.

ثالثاً: الظروف التي نزلت فيها.

المطلب الثاني: أولاً: موضوعها.

ثانياً: فضلها.

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها.

المطلب الأول

أولاً: اسمها وترتيبها:

اشتهرت تسمية هذه السورة "سورة الحشر" وبهذا الاسم دعاها النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى الترمذي عن معقل بن يسار^(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر...))^(٢) الحديث، وفي صحيح البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر، قال: "قل بني النضير"^(٣) أي سورة بني النضير، فابن جبير سمّاها باسمها المشهور، وابن عباس يسمّيها سورة بني النضير، ولعله لم يبلغه تسمية النبي صلى الله عليه وسلم إياها "سورة الحشر" لأن ظاهر كلامه أنه يرى تسميتها "سورة بني النضير" لقوله لابن جبير "قل بني النضير" وتأول ابن حجر كلام ابن عباس رضي الله عنهما على أنه كره تسميتها بالحشر لئلا يظن أن المراد بالحشر يوم القيامة، وهذا تأول بعيد، وأحسن من هذا أن ابن عباس أراد أن لها اسمين، وأن الأمر في قوله "قل" للتخيير، فأما وجه تسميتها بالحشر فلوقوع لفظ الحشر فيها، ولكونها ذكر فيها حشر بني النضير من ديارهم أي قريتهم المسمّاة الزهرة قريباً من المدينة، فخرجوا إلى بلاد الشام إلى أريحا وأذرعات، وبعض بيوتهم خرجوا إلى خيبر، وبعض بيوتهم خرجوا إلى الحيرة، وأما وجه تسميتها "سورة بني النضير" فلأن قصة بني النضير ذكرت فيها. وهي سورة مدنيّة بالاتفاق، وهي الثامنة والتسعون في عداد نزول السور عند جابر بن زيد، نزلت بعد سورة البينة وقبل سورة العصر، وكان نزولها عقب إخراج بني النضير من بلادهم سنة أربع من

^(١) معقل بن يسار بن عبدالله المزني، صحابي جليل، أسلم قبل الحديبية، وشهد بيعة الرضوان، سكن البصرة وتوفي بها

(٦٥هـ) ونهر معقل في البصرة منسوب إليه، حفره بأمر عمر. يُنظر: الأعلام للزركلي ٢٧١/٧

^(٢) أخرجه الترمذي، أبواب فضائل القرآن، ح ٢٩٢٢، ١٨٢/٥، والإمام أحمد، مسند معقل بن يسار، ح ٢٠٣٠٦،

٣٣/٤٢١، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف فيه خلف بن طهمان ضعفه ابن معين وقال: خلط قبل موته بعشر سنين

وكان قبل ذلك ثقة، وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

^(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير ومخرج رسول الله إليهم في دية الرجلين وما أرادوا الغدر

برسول الله صلى الله عليه وسلم، ح ٤٠٢٩، ٨٨/٥

الهجرة، وعدد آياتها أربع وعشرون باتفاق العاديين^(١) وكلماتها أربعمئة وخمس وأربعون، وحروفها ألف وتسعمئة وثلاث عشرة.^(٢)

سورة الحشر هي التاسعة والخمسون في ترتيب المصحف، فهي بعد سورة المجادلة وقبل سورة الممتحنة.

ثانياً: سبب نزولها:

عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة التوبة، قال: "التوبة هي الفاضحة" ما زالت تنزل ومنهم ومنهم حتى ظنوا أنها لن تبقى أحداً منهم إلا ذكر فيها، قال: قلت: سورة الأنفال، قال: نزلت في بدر، قال: قلت سورة الحشر، قال: نزلت في بني النضير".^(٣)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت غزوة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكان منزلهم ونخلهم بناحية المدينة، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة يعني السلاح، فأنزل الله فيهم {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} إلى قوله {لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا [الحشر ٢]، فقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى صالحهم على الجلاء، فأجلاهم إلى الشام، وكانوا من سبط لم يصيبهم جلاء فيما خلا، وكان الله قد كتب عليهم ذلك، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي، وأما قوله: {لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} فكان جلاؤهم ذلك أول حشر في الدنيا إلى بلاد الشام.^(٤)

(١) يُنظر: التحرير والتنوير ٦٢/٢٨-٦٣

(٢) يُنظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤٥٨/١

(٣) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (الجلاء) الحشر ٣، ح ٤٨٨٢، ٤٧/٦، ١، ومسلم، كتاب التفسير، باب في

سورة براءة والأنفال والحشر، ح ٣٠٣١، ٤/٢٣٢٢

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحشر، ٥٢٥/٢، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

ثالثاً: الظروف التي نزلت فيها:

كان اليهود في المدينة يتحرقون على الإسلام والمسلمين، لكنهم لم يكونوا أصحاب حرب وضرب، ولكنهم بعد وقعة أحد تجرؤوا فكاشفوا بالعداوة والغدر، وأخذوا يتصلون بالمنافقين والمشركين من أهل مكة سرّاً، فبعد وقعة الرجيع وبئر معونة خرج إليهم صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه وكلمهم أن يعينوه في دية الكلابيين اللذين قتلتهما عمرو بن أمية الضمري، وكان ذلك حسب بنود المعاهدة، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، اجلس هنا حتى نقضي حاجتك، فجلس إلى جنب جدار من بيوتهم ينتظر وفاءهم بما وعدوا، ثم خلا اليهود بعضهم إلى بعض وسوّ لهم الشيطان الشقاء الذي كُتب عليهم فتآمروا بقتله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أيكم يأخذ هذه الرّحى ويصعد فيلقياها على رأسه يشدّخه بها؟ فقال أشقاهم عمرو بن جحاش: أنا، ونزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه بما همّوا به، فنهض مسرعاً وتوجه إلى المدينة ولحقه أصحابه وأخبرهم بما همّت به اليهود، ثم ما لبث رسول الله أن بعث محمد بن مسلمة إلى بني النضير يأمرهم بالخروج من جواره، فقرروا الرحيل لكن رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ بعث إليهم أن اثبتوا ولا تخرجوا من دياركم فإنّ معي ألفين يدخلون معكم حصنكم فيموتون دونكم، وهنا عادت الثقة إلى اليهود، وطمع رئيسهم حيي بن أخطب فيما قاله رأس المنافقين، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك، فلما بلغ رسول الله جواب حيي بن أخطب كبّر وكبّر أصحابه ثم نهض لمناجزة القوم، فاستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وسار إليهم وفرض عليهم الحصار، فقد دام ست ليال فقط، وقيل خمس عشرة ليلة، حتى قذف الله في قلوبهم الرعب فاندحروا وتهيئوا لإلقاء السلاح، وأرسلوا إلى رسول الله: نحن نخرج من المدينة، فأنزلهم على أن يخرجوا عنها بنفوسهم وذرايعهم، وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح، وكانت هذه الغزوة في ربيع الأول سنة أربع للهجرة، وأنزل الله في هذه الغزوة سورة الحشر بأكملها فوصف طرد اليهود، وفضح مسلك المنافقين.^(١)

(١) يُنظر: الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري، المتوفى ١٤٢٧هـ، الناشر: دار الهلال_بيروت، (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: ١، ص ٢٦٨-٢٧١ (بتصرف)

المطلب الثاني

أولاً: موضوعها:

سورة الحشر كسائر السور المدنية عنت بالأحكام التشريعية، مثل إجلاء يهود بني النضير من المدينة، وأحكام الفبي والغنائم، والأمر بالتقوى، كما أن فيها تحليلاً لعلاقة المنافقين باليهود، ثم بيان عظمة القرآن الكريم وإيراد بعض أسماء الله الحسنى.^(١)

ثانياً: فضلها:

١- أنها من السور المفصل التي أوتيتها النبي صلى الله عليه وسلم نافلة فُضِّل بها على سائر الأنبياء^(٢) فعن واثلة بن الأسقع^(٣) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المئين، ومكان الإنجيل المئاني، وفُضِّلْتُ بالمُفَصَّل))^(٤) والمفصل ما يلي المئاني من قصار السور، وسمي مُفَصَّلًا لكثرة الفصول بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم، وقيل لقلة النسخ.^(٥)

٢- عن العرياض بن سارية^(٦) رضي الله عنه أنه حدثه النبي صلى الله عليه وسلم ((كان يقرأ المُسَبِّحات قبل أن يرقد، ويقول: إن فيهن آية خير من ألف آية))^(٧) ويعني بالمسبحات: الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن.^(٨)

٣- عن معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ الثلاث آيات

(١) يُنظر: التفسير المنير ٦٣/٢٨

(٢) يُنظر: موسوعة فضائل سور وآيات القرآن ١٣٤ / ٢، ١٧١

(٣) سبق ترجمته ص ١٦

(٤) سبق تخريجه ص ١٦

(٥) يُنظر: البرهان في علوم القرآن ٢٤٥/١

(٦) العرياض بن سارية: صحابي جليل، من أعيان أهل الصفة، سكن حمص، وروى أحاديث، وهو ممن نزل فيه (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه..) التوبة ٩٣، توفي رضي الله عنه سنة خمس وسبعين.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٤٢٠/٣-٤٢٢

(٧) أخرجه الترمذي، أبواب فضائل القرآن، ح ٢٩٢١، ١٨١/٥، وقال حديث حسن غريب، وقال الألباني: حديث حسن.

(٨) يُنظر: تفسير القرطبي ٢٣٥/١٧

من آخر سورة الحشر، وكَلَّ الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة)).^(١)

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من وجوه ثلاثة:

١- ذكر في السورة السابقة (المجادلة) مَنْ حَادَّ الله ورسوله، ومن قتل من الصحابة أقرباءه يوم بدر، وفي أول هذه السورة ذكر من شاقَّ الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، و ما جرى بعد غزوة بني النضير من إجلاء اليهود، وقد حدثت بعد غزوة بدر.

٢- أخبر الله في السورة السابقة عن نصر الرسل {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا

وَرُسُلِي} [المجادلة ٢١]، وأفاد في أول هذه السورة إنجاز النصر على اليهود {فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ

مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا} وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ} [الحشر ٢].

٣- كشف الله في السورة المتقدمة حال المنافقين مع اليهود وموادة بعضهم بعضاً، وذكر في هذه السورة ما حلَّ بيهود بني النضير.^(٢)

(١) سبق تخريجه ص ٥٩

(٢) يُنظر: التفسير المنير ٢٨/٦٢-٦٣

المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إجلاء بني النضير، وحكم الفيء، الآيات (١-٧).

المطلب الثاني: فضل المهاجرين والأنصار، وخذلان المنافقين لليهود،

الآيات (٨-١٧).

المطلب الثالث: تقوى الله، وكتابه، وأسمائه الحسنى، الآيات (١٨-٢٤).

المطلب الأول

إجلاء بني النضير، وحكم الفيء، الآيات (١-٧)

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^ط وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ^ج مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ
يَخْرُجُوا^ط وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ
يَحْتَسِبُوا^ط وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ^ج يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ
فَاعْتَبِرُوا يَأَيُّوا^ط الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي
الدُّنْيَا^ط وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ^ط
وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ
تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ
اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يُسَلِّطُ رُسُلَهُ^ط عَلَى مَنْ يَشَاءُ^ج وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى
رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ
وَابْنِ السَّبِيلِ كَى لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ^ج وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ
فَاخْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾}.

التفسير الإجمالي للآيات: لما ختمت المجادلة بأنه معز أهل طاعته، ومذل أهل معصيته ومحادثته، علله بتنزهه عن النقائص تأييداً للوعد بنصرهم^(١) فقال سبحانه:

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٠٣/١٩

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^ط وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} إن جميع ما في السموات والأرض من الأشياء ينزه الله عن كل نقص، ويمجده ويقدسه، ويصلي له، ويوحده، إما تصريحاً باللسان وإما بالقلب، وإما بلسان الحال والمقال، إذعاناً لعظمته، وانقياداً وخضوعاً لجلاله، وهو المنيع الجنب القوي الغالب القاهر في ملكه، الحكيم في صنعه وقدره وشرعه، يضع الأشياء في موضعها الصحيح، وإن لم يدرك الإنسان في الحال حكمة الله وتدبيره.^(١) وهو العزيز الحكيم: اسم الله (العزيز) هو الذي له العزة كلها، عزة القوة وعزة الغلبة وعزة الامتناع، فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع المخلوقات، ودانت له الخليقة وخضعت لعزته^(٢) واسم الله (الحكيم) هو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره الذي أحسن كل شيء خلقه، فلا يخلق شيئاً عبثاً، ولا يشرع شيئاً سدى، له الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام الثلاثة التي لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده في شرعه وفي قدره وفي جزائه، فهو الحكيم الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات.^(٣)

ولما نزه نفسه الأقدس، دلّ على ذلك التترّج على العزة والحكمة بدليل شهوديّ من أنه أنفذ ما كتب من أنه يغلب هو ورسله، ومن أنه كبت الذين حادّوه وخيّب ظنّ الذين نافقوا فتولّوا اليهود من أهل الكتاب ليعتزّوا بهم فأذلّ اليهود وطردهم من مهبط الوحي وأخزى المنافقين الذين جعلوهم محطّ اعتمادهم وموضع ولايتهم وودادهم^(٤) فقال سبحانه: {هُوَ

الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ^ج مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا^ط وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَحْتَسِبُوا^ط وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ^ج تَخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى

(١) يُنظر: التفسير المنير ٢٨ / ٦٩

(٢) يُنظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي ص ٢١٤

(٣) يُنظر: المرجع السابق ص ١٨٦

(٤) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٩ / ٤٠٦

الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يٰٓأُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢٠﴾ (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل

الكتاب من ديارهم لأول الحشر) أي إنه سبحانه هو الذي قضى بإخراج يهود بني النضير من ديارهم في المدينة، في الحشر الأول، أي الجمع والإخراج والجلاء، فكان جلاؤهم أول حشر من المدينة، وآخر حشر إجلاء عمر لهم من خيبر إلى الشام، (ما ظننتم أن يخرجوا، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أي ما توقعتم أيها المسلمون أن بني النضير يخرجون من ديارهم، لعزتهم ومنعتهم، وكانوا أهل حصون مانعة، وعقار ونخيل واسعة، وأهل عدد وعدة، وفي هذا بيان عظمة النعمة، وتوقعوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله، وألا يتعرضوا لسوء، (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وقذف في قلوبهم الرعب) أي جاءهم أمر الله وبأسه وعقابه من جهة لم تخطر لهم ببال، وهو أنه سبحانه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم وإجلائهم، وكانوا لا يظنون مثل هذا الحدث، بل كانوا يرون أنفسهم أعز وأقوى، وألقى الله الخوف الذي يملأ الصدر.. (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) أي لما أيقنوا بالجلاء، دمرُوا منازلهم من الداخل لكيلا يستفيد منها المسلمون، ودمرها المؤمنون من الخارج، قال الزهري وعروة بن الزبير: لما صالحهم النبي صلى الله عليه وسلم على أن لهم ما أقلت الإبل، كانوا يستحسنون الخشب أو العمود، فيهدمون بيوتهم، ويحملون ذلك على إبلهم، ويخرب المؤمنون باقيها، (فاعتبروا يا أولي الأبصار) فاتعظوا أيها العقلاء بما حدث، واعلموا أن الله يفعل مثل ذلك بمن غدر وخالف أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.^(١)

وقد ثبت في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم: ((نُصرت بالرعب مسيرة شهر)).^(٢) قال السيوطي رحمه الله في قوله تعالى: {فَاعْتَبِرُوا يٰٓأُولِيَ الْأَبْصَارِ} "استدلّ به على حجّة القياس وأنه فرض كفاية على المجتهدين، فإن الاعتبار قياس الشيء بالشيء".^(٣)

(١) يُنظر: التفسير المنير ٧٠/٢٨

(٢) أخرجه البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "جعلت

لي الأرض مسجداً وطهوراً"، ح ٤٣٨، ٩٥/١

(٣) يُنظر: الإكلیل في استنباط التنزيل ص ٢٥٨

ولمّا دلّ على غاية الوهن منهم فكان موضع التعجب من الكف عن قتلهم، بيّن أن السبب في ذلك أمره الباهر، وعزّه القاهر، حتّى على ما ختم به الآية السابقة من الاعتبار والتدبر والاستبصار^(١) فقال: {وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا^ط

وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٢﴾} ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا:

أي لولا أن كتب الله عليهم الخروج من أوطانهم على ذلك الوجه وقضى به عليهم لعذبهم بالقتل والسبي في الدنيا كما فعل ببني قريظة^(٢) والفرق بين الجلاء والإخراج _ وإن كان معناه في الإبعاد واحد _ من وجهين: أحدهما أن الجلاء ما كان مع الأهل والولد، والإخراج قد يكون مع بقاء الأهل والولد، الثاني: أن الجلاء لا يكون إلا للجماعة والإخراج يكون لجماعة ولو واحد^(٣) (ولهم في الآخرة عذاب النار) لهم يوم القيامة عذاب جهنم.

وحين ذكر سبحانه جلاءهم وإذلالهم في الدنيا وعذابهم في الآخرة، بيّن السبب وعلّله فقال: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ^ط وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ ﴿٤﴾} الإشارة بقوله (ذلك) إلى ما تقدم ذكره من الجلاء في الدنيا والعذاب في

الآخرة، بأنهم شاقّوا الله ورسوله: أي بسبب المشاقّة منهم لله ورسوله بعدم الطاعة والميل مع الكفار ونقض العهد، ومن يشاقّ الله فإن الله شديد العقاب: اقتصرها هنا على مشاقّة الله لأن مشاقّته مشاقّة لرسوله^(٤). ومن كان هذا حاله فإن الله سيعاقبه أشد العقاب.

ولمّا دلّ سبحانه على عزّته وحكمته بما فعل ببني النضير الذين يقولون إنهم أشجع الناس وأشدّهم شكيمة بما لهم من الأصالة والاصطفاء على العالمين، مع التأييد بالكتاب والحكمة، وختم بأن من شاقّ رسوله فقد شاقّه، ومن شاقّه فقد شدّد عقابه، أتبعه بيان ما عاقبهم به من قطع الصحابة رضي الله عنهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم لنخلهم

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤١٢/١٩

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٣٤/٥

(٣) يُنظر: النكت والعيون = تفسير الماوردي، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي

الشهير بالماوردي، المتوفى ٤٥٠هـ، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية _

بيروت، عدد الأجزاء: ٦، ٥٠١/٥

(٤) يُنظر: فتح القدير ٢٣٤/٥

الذي هو أعزّ عليهم من أبنائهم، وهم ينظرون إليه لا يغنون شيئاً ولا منعة لديهم^(١) فقال: {مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} عن ابن عمر رضي الله عنهما: ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع، وهي البويرة، فأُنزل الله {مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ})).^(٢) قال مجاهد: إن بعض المهاجرين وقعوا في قطع النخل فنهاهم بعضهم وقالوا: إنما هي مغنم للمسلمين، وقال الذين قطعوا: بل هو غيظ للعدو، فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطع النخل وتحليل من قطعه من الإثم فقال: (ما قطعتم من لينة...)، وقال بنو النضير: يا محمد أأنت تزعم أنك نبي تريد الإصلاح؟ أفمن الإصلاح قطع النخل وقطع الشجر؟ وهل وجدت فيما أنزل عليك إباحة الفساد في الأرض؟ فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجد المسلمون في أنفسهم فنزلت الآية^(٣) ومعنى الآية: أي إن ما قمتم به من قطع النخل وإحراقه، أو تركه قائماً دون قطع، فهو بأمر الله ومشيتته، وقد أذن بذلك ليعز المؤمنين، وليذل الخارجين عن الطاعة، وهم اليهود، ويغيظهم في القطع والترك، فإنهم إذا رأوا المؤمنين يفعلون في أموالهم ما شاءوا، ازدادوا غيظاً وحنقاً، واللين: أنواع التمر سوى العجوة، والنخل الذي قطع وأحرق هو البويرة، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حاصرهم، أمر بقطع نخيلهم، إهانة لهم، وإرهاباً وإرعاباً لقلوبهم. وقد تم قطع النخل بأمر الله ومشيتته، ولإذلال اليهود الذين كفروا بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وكتبه.^(٤) قال سيد قطب رحمه الله: "وبذلك تستقرّ قلوب المؤمنين المتحرّجة وتشفي

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤١٦/١٩

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله (ما قطعتم من لينة)، ح ٤٨٨٤، ١٤٧/٦

(٣) رواه الطبري في تفسيره ٢٧١/٢٣، وأخرجه أبو داود في المراسيل، عن عبدالله بن أبي بكر، باب في قطع الشجر،

ح ٣٤٦، ٢٥٤/١

(٤) يُنظر: التفسير المنير ٧١/٢٨

صدورهم مما حاك فيها، وتطمئن إلى أن الله هو الذي أراد وهو الذي فعل والله فعّال لما يريد، وما كانوا هم إلا أداة لإنفاذ ما يريد".^(١)

ولما كان فتح حصون بني النضير دون قتال، وما غنمه المسلمون كان دون تعب ولا ركاب، خصّ الله سبحانه رسوله بهذا الفيء فقال: {وَمَا أَفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ

فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ

يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾} أي: أن ما ردّ الله على رسوله من أموال

بني النضير لم تركبوا لتحصيله خيلاً ولا إبلاً، ولا تجشمت لها مشقة، ولا لقيتم بها حرباً ولا مشقة، وإنما كانت من المدينة على ميلين، فجعل الله سبحانه أموال بني النضير لرسوله صلى الله عليه وسلم خاصة لهذا السبب، فإنه افتتحها صلحاً وأخذ أموالها وقد كان سألته المسلمون أن يقسم لهم فنزلت الآية، (ولكن الله يسلم رسوله على من يشاء) من أعدائه، وفي هذا بيان أن تلك الأموال كانت خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم دون أصحابه لكونهم لم يوجفوا عليها بخيلاً ولا ركاب، بل مشوا إليها مشياً ولم يقاسوا فيها شيئاً من شدائد الحروب، والله على كل شيء قدير يسلم من يشاء على من أراد، ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون^(٢) وعن عمر رضي الله عنه قال: ((كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مما لم يوجف المسلمون عليه بخيلاً ولا ركاب، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، ينفق على أهله منها نفقة سنته، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدّة في سبيل الله)).^(٣)

ولما نزع سبحانه أموالهم من أيدي الجيش بين مصرف غيرها مما كان مثلها بأن فُتح له صلى الله عليه وسلم دون قتال، فقال مستأنفاً جواباً لمن كأنه قال: هل يعمّ هذا الحكم كل شيء؟^(٤) فقال: {وَمَا أَفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى

(١) يُنظر: في ظلال القرآن ٣٥٢٣/٦

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٣٥/٥

(٣) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله (ما أفاء الله على رسوله)، ح ٤٨٨٥، ١٤٧/٦

(٤) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٢٧/١٩

فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٦﴾ { ما أفاء الله على رسوله من أهل

القرى، فله وللرسول، ولذي القربى واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، ففي هذه الآية بيان مصارف الفيء بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أن كل ما رده الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من كفار أهل القرى، كقريظة والنضير وفدك وخيبر، صلحاً من غير قتال، ولم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، يحكم به الله بما يشاء، ثم يكون ملكاً للرسول صلى الله عليه وسلم في حياته، ثم في مصالح المسلمين من بعده، فينفق منه على قرابة النبي صلى الله عليه وسلم وهم بنو هاشم وبنو المطلب الممنوعون من أخذ الصدقة أو الزكاة، فجعل لهم حقاً في الفيء، كما ينفق منه على اليتامى وهم الصغار الذين مات آبائهم قبل البلوغ، والمساكين الفقراء ذوي الحاجة والبؤس، وأبناء السبيل المنقطعين في أثناء السفر، وهم الغرياء الذين نفدت نفقتهم في سفرهم.

فيكون الفيء مقسوماً خمسة أقسام: سهم الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم، هو للرسول صلى الله عليه وسلم في حياته، ثم يصرف على مصالح المسلمين بعد وفاته، وسهم ذوي القربى أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، وسهم اليتامى، وسهم المساكين، وسهم ابن السبيل، والأربعة أخماس الباقية لمصالح المسلمين العامة. وعلة هذا التقسيم ما قال الله تعالى: (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) أي حكمنا بهذه القسمة بين هؤلاء المذكورين، لئلا يكون تداول الأموال محصوراً بين الأغنياء، ولا يصيب الفقراء منه شيء، فيغلب الأغنياء الفقراء، ويقسمونه بينهم. وهذا مبدأ إغناء الجميع، وتحقيق السيولة للكل. ^(١)

قال سيد قطب رحمه الله: "في قوله تعالى {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ} قاعدة كبرى من قواعد التنظيم الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع المسلم، فالملكية الفردية معترف بها في هذه النظرية ولكنها محددة بهذه القاعدة، قاعدة ألا يكون المال

(١) يُنظر: التفسير المنير ٨١/٢٨

دولة بين الأغنياء ممنوعاً من التداول بين الفقراء، فكل وضع ينتهي إلى أن يكون المال دولة بين الأغنياء وحدهم وضع يخالف النظرية الاقتصادية الإسلامية، كما يخالف هدفاً من أهداف التنظيم الاجتماعي، وجميع الارتباطات والمعاملات في المجتمع الإسلامي يجب أن تُنظم بحيث لا تخلق مثل هذا الوضع أو تُبقي عليه إن وُجد، ولقد أقام الإسلام بالفعل نظامه على أساس هذه القاعدة ففرض الزكاة، ثم جعل أربعة أخماس للمجاهدين فقراء وأغنياء، بينما جعل الفبيء كله للفقراء، وحرّم الاحتكار والربا وهما الوسيلتان الرئيستان لجعل المال دولة بين الأغنياء".^(١)

ثم لما بيّن سبحانه مصارف هذا المال أمرهم بالاعتداء برسوله صلى الله عليه وسلم فقال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا أي: ما أمركم به الرسول صلى الله عليه وسلم فافعلوه، وما منعكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير، وإنما ينهى عن شر، فإذا أعطاكم الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً من الفبيء مثلاً، فخذوه، فهو حلال، وإذا منعكم شيئاً منه، فلا تقربوه، فإنه يعمل بالوحي ولا ينطق عن الهوى. والآية توجب امتثال أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم ونواهيه أيضاً.^(٢) وكل شيء آتانا به من الشرع فقد أعطانا إياه وأوصله إلينا، وما أنفع هذه الآية وأكثر فائدتها، ثم لما أمرهم بأخذ ما أمرهم به الرسول وترك ما نهاهم عنه أمرهم بتقواه وخوفهم شدة عقابه فقال: {وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} فهو معاقب من لم يأخذ ما آتاه الرسول ولم يترك ما نهاه.^(٣)

(١) يُنظر: في ظلال القرآن ٣٥٢٤/٦-٣٥٢٥ (بتصرف)

(٢) يُنظر: التفسير المنير ٨٢/٢٨

(٣) يُنظر: فتح القدير ٢٣٦/٥

المطلب الثاني

فضل المهاجرين والأنصار، وخذلان المنافقين لليهود، الآيات (٨-١٧)

{لِّلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^٨ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ^٩ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا تَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصَرُّونَ} لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ^{١٠} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ^{١١} بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ^{١٢} تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى^{١٣} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ} كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا^{١٤} ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

كَمَثَلَ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَقِبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾

التفسير الإجمالي للآيات:

لَمَّا نَزَعَ سبحانه أموال الفيء وما كانت عليه في الجاهلية، وبين مصرف الفيء من القرى، وتهدد في المخالفة في ذلك، لصعوبته على النفوس فكان ذلك جديراً في التقبل بعد أن أفهم أن أموال بني النضير لمن سلطه الله عليهم وهو رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان من المعلوم من حاله صلى الله عليه وسلم الإيثار على نفسه والقناعة بما دون الكفاف، بين مصرف فيها بعد كفايته صلى الله عليه وسلم لأن بيان ذلك هو المقصود الأعظم لكونه حاصلًا حاضرًا الموطأ له بأموال أهل القرى^(١) فقال: {لِلْفُقَرَاءِ

الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} ^٢ أَوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾} قوله (للفقراء

المهاجرين) الذين هاجروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبة في الدين ونصرة لله، قال قتادة: هؤلاء المهاجرون هم الذين تركوا الديار والأموال والأهلين، ومعنى أُخرجوا من ديارهم أي كفار مكة أخرجوهم منها واضطروهم إلى الخروج، وكانوا مائة رجل، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً: أي يطلبون منه أن يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا و بالرضوان في الآخرة، وينصرون الله ورسوله بالجهاد للكفار، (أولئك هم الصادقون) أي الكاملون في الصدق الراسخون فيه.^(٢) وبقوله (أولئك هم الصادقون) استدلل بعض العلماء على إمامة

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٣٥/١٩

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٣٨-٢٣٩/٥

أبي بكر رضي الله عنه، لأن المهاجرين كانوا يقولون له: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلو لم تكن خلافته حقّة لزم كذبهم، وهو خلاف الآية.^(١)

ولمّا مدح المهاجرين وأعطاهم فطابت نفوس الأنصار بذلك، وكانوا في كل حال معه صلى الله عليه وسلم كالميت بين يدي الغاسل مهما شاء فعل ومهما أراد منهم صار إليه ووصل، أتبعه مدحهم جبراً لهم وشكراً لصنيعهم فقال عاطفاً على مجموع القصة^(٢)

{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} {٦} والذين

تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم، المراد بالدار: المدينة، وهي دار الهجرة، ومعنى تبوءهم الدار والإيمان أنهم اتخذوها مباءة "أي تمكنوا منها تمكناً شديداً".^(٣) قال ابن وهب: "سمعت مالكا وهو يذكر فضل المدينة على غيرها من الآفاق فقال: إن المدينة ثبتت بالإيمان والهجرة، وإن غيرها من القرى افتتحت بالسيف، ثم قرأ {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ

وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ}^(٤) ومعنى (من قبلهم) من قبل هجرة المهاجرين.. (يحبون من هاجر إليهم) وذلك لأنهم أحسنوا إلى المهاجرين وأشركوهم في أموالهم ومساكنهم (ولا يجدون في صدورهم حاجة) أي لا يجد الأنصار في صدورهم حسداً وغيظاً وحزاة (مما أوتوا) أي مما أوتي المهاجرون دونهم من الفيء، بل طابت أنفسهم بذلك.. وكان المهاجرون في دور الأنصار فلما غنم النبي صلى الله عليه وسلم

(١) يُنظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، المتوفى ٨٥٠هـ،

تحقيق الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، عدد الأجزاء ٦، ٢٥٨/٦

(٢) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٣٧/١٩

(٣) يُنظر: فتح القدير ٢٣٩/٥

(٤) يُنظر: أحكام القرآن، للقاضي محمد بن عبدالله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، المتوفى ٥٤٣هـ،

مراجعة وتحقيق: عبدالقادر محمد عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م،

عدد الأجزاء: ٤، ٢١٧/٤

بني النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين من إنزالهم إياهم في منازلهم، وإشراكهم في أموالهم، ثم قال: ((إن أحببتهم قسمت ما أفاء الله عليّ من بني النضير بينكم وبين المهاجرين، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم والمشاركة لكم في أموالكم، وإن أحببتهم أعطيتهم ذلك وخرجوا من دياركم، فرضوا بقسمة ذلك في المهاجرين وطابت نفوسهم))^(١) وقال عمر رضي الله عنه: "أوصي الخليفة بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، وأوصي الخليفة بالأنصار الذين تبوعوا الدار والإيمان من قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم، أن يقبل محسنهم ويعفو عن مسيئهم"^(٢) ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، والإيثار: هو تقديم الغير على النفس في حظوظ الدنيا رغبة في حظوظ الآخرة، يقال: آثرته بكذا أي خصصته به، والمعنى: ويقدمون المهاجرين على أنفسهم في حظوظ الدنيا ولو كان بهم خصاصة أي: حاجة وفقر.^(٣)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله؟)) فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدّخريه شيئاً، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبيّة، قال: فإذا أراد الصبيّة العشاء فنوميهن وتعالى فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لقد عجب الله عزّ وجلّ _ أو ضحك _ من فلان وفلانة))
فأنزل الله {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}.^(٤) ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون، أي من كفاه الله حرص نفسه وبخلها، وحفظ من ذلك، فأدى ما أوجبه الشرع عليه في مال من زكاة أو حق، فقد فاز ونجح، وظفر بكل المنى

(١) يُنظر: فتح القدير ٥٢٣٩، والحديث في فتح الباري لابن حجر، قوله (حديث بني النضير)، ح ٤٠٣٠، ٣٣٣/٧

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله (والذين تبوعوا الدار والإيمان)، ح ٤٨٨٨، ١٤٨/٦

(٣) يُنظر: فتح القدير ٢٣٩/٥

(٤) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله (ويؤثرون على أنفسهم)، ح ٤٨٨٩، ١٤٨/٦

والمطلوب.^(١) فقد تجلّى الإيثار في الأنصار رضي الله عنهم بأعظم صورته فاستحقوا مدح الله لهم، يقول سيد قطب رحمه الله: "وهذه كذلك صورة وضيئة صادقة تبرز أم الملامح المميزة للأنصار، هذه المجموعة التي تفردت بصفات وبلغت إلى آفاق لولا أنها وقعت بالفعل لحسبها الناس أحلاماً طائرة ورؤى مجنحة ومثلاً علياً قد صاغها خيال محلق".^(٢) ثم لما فرغ سبحانه من الثناء على المهاجرين والأنصار ذكر ما ينبغي أن يقوله من جاء بعدهم^(٣) فقال سبحانه: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} والذين جاءوا من بعدهم وهم التابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة، وقيل هم الذين هاجروا بعدما قوي الإسلام، والظاهر شمول الآية لمن جاء بعد السابقين من الصحابة المتأخر إسلامهم في عصر النبوة، ومن تبعهم بعد عصر النبوة إلى يوم القيامة، لأنه يصدق على الكل أنهم جاءوا بعد المهاجرين الأولين والأنصار، (يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان)...)، والمراد بالأخوة هنا: أخوة الدين، أمرهم الله أن يستغفروا لأنفسهم ولمن تقدّمهم من المهاجرين والأنصار، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا: أي غشاً وبغضاً وحسداً، أمرهم الله سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله أن ينزع من قلوبهم الغلّ للذين آمنوا على الإطلاق، فيدخل في ذلك الصحابة دخولاً أولياً لكونهم أشرف المؤمنين ولكون السياق فيهم، فمن لم يستغفر للصحابة على العموم ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف أمر الله به في هذه الآية، فإن وجد في قلبه غلاً لهم فقد أصابه نزغ من الشيطان، وحلّ به وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه وخير أمة نبيّه صلى الله عليه وسلم، وانفتح له باب من الخذلان يقدّ به على نار جهنم إن لم يتدارك نفسه باللجوء إلى الله سبحانه والاستغاثة به بأن ينزع عن قلبه ما طرّقه من الغلّ لخير القرون وأشرف هذه الأمة، فإن جاوز ما يجده من الغلّ إلى شتم أحد منهم فقد انقاد للشيطان بزمام، ووقع في غضب الله وسخطه،

(١) يُنظر: التفسير المنير ٨٤/٢٨

(٢) يُنظر: في ظلال القرآن ٣٥٢٦/٦

(٣) يُنظر: فتح القدير ٢٤٠/٥

وهذا الداء العضال إنما يُصاب به من ابتلي بمعلم من الرافضة أو صاحبٍ من أعداء خير الأمة الذين تلاعب بهم الشيطان وزين لهم الأكاذيب المختلفة والأقاصيص المفتراة والخرافات الموضوعة، وصرفهم عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المنقولة إلينا بروايات الأئمة الأكابر في كل عصر من العصور، فاشتروا الضلالة بالهدى.. وما زال الشيطان ينقلهم من منزلة إلى منزلة ومن رتبة إلى رتبة حتى صاروا أعداء كتاب الله وسنة رسوله وخير أمته وصالحى عبادته وسائر المؤمنين، وأهملوا فرائض الله وهجروا شعائر الدين، وسعوا في كيد الإسلام وأهله كل السعي، ورموا الدين وأهله بكل حجر ومدر، والله من ورائهم محيط^(١) وقال السيوطي رحمه الله في هذه الآية: "فيها الحث على الدعاء والترضي عن الصحابة وتصفية القلوب من بغض أحد منهم".^(٢)

ربنا إنك رؤوف رحيم: اسم الله (الرؤوف) أي شديد الرأفة بعباده، فمن رأفته ورحمته بهم أن يتم عليهم نعمه التي ابتدأهم بها، ومن رأفته بهم توفيقهم للقيام بحقوقه وحقوق عباده^(٣) واسم الله (الرحيم) ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، فالرحيم خاص في رحمته لعباده المؤمنين بأن هداهم إلى الإيمان وهو يثيبهم في الآخرة الثواب الدائم الذي لا ينقطع.^(٤)

ولما فرغ سبحانه من ذكر الطبقات الثلاث من المؤمنين، ذكر ما جرى بين المنافقين واليهود من المقابلة لتعجيب المؤمنين من حالهم فقال سبحانه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} أي: ألم تنظر إلى هؤلاء القوم من المنافقين كعبد الله بن

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٤٠/٥-٢٤١

(٢) يُنظر: الإكليل في استنباط التنزيل ص ٢٥٩

(٣) يُنظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي ص ١٩٨

(٤) يُنظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٢٨

أبي بن سلول وعبد الله بن نبتل ورفاعة بن زيد ووديعه بن مالك وسويد وداعس وأمثالهم حين بعثوا إلى يهود بني النضير: أن اثبتوا وتحصنوا، أو تمنعوا، فإننا لا نسلمكم، وإن قوتلتهم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، ولا نطيع في شأنكم، ومن أجلكم أحدا ممن يريد أن يمنعنا من الخروج معكم كمحمد وأتباعه، وإن طال الزمان، وإن قوتلتهم لننصرنكم على عدوكم. فكذبهم الله بقوله: (والله يشهد إنهم لكاذبون) أي لكاذبون فيما وعدوهم به من الخروج معهم، والنصرة لهم، إما لنيتهم ألا يفوا بما وعدوا به، وإما لأنهم لا يقع منهم ما قالوا، وقوله في مطلع الآية: (ألم تر) أسلوب يراد به التعجيب من حال المخبر عنه، وأن أمره في غاية الغرابة، وقد تبين لليهود كذب المنافقين، فلم ينصروهم وقت الحصار، وقذف الله الرعب في قلوب أولئك اليهود، فطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجلبهم، ويكف عن دمائهم، ففعل، فكان الرجل منهم يهدم بيته، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام.^(١) قال القرطبي: "وفي هذا دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جهة علم الغيب لأنهم أخرجوا فلم يخرجوا وقوتلوا فلم ينصروهم، كما قال الله تعالى: {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}."^(٢) ثم لما أجمل كذبهم فيما وعدوا به فصل ما كذبوا

به^(٣) فقال سبحانه: {لَيْنَ أَخْرَجُوا لَا تَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَيْنَ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ

وَلَيْنَ نَصَرُوهُمْ لِيُوَلِّبَ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ} أي وتالله لئن أخرج يهود

بني النضير من ديارهم، لا يخرج معهم المنافقون، ولئن قاتلهم المؤمنون لا يقاتلون معهم، ولئن أزرهم وقاتلوا معهم لفروا هاربين منهزمين، ثم لا يصير المنافقون واليهود منصورين بعد ذلك، بل يذلهم الله ويخذلهم، ولا ينفعهم نفاقهم.. وكان الواقع مطابقا لما أخبر به القرآن، فإن المنافقين لم يخرجوا مع من أخرج من اليهود، وهم بنو النضير ومن معهم، ولم ينصروا اليهود الذين قوتلوا، وهم بنو قريظة وأهل خيبر.^(٤) ولما كان ربما قيل: إن تركهم لنصرهم إنما هو لخوف الله أو غير ذلك مما يحسن وقعه، علل بما ينفي ذلك

(١) يُنظر: التفسير المنير ٩٧-٩٦/٢٨

(٢) يُنظر: تفسير القرطبي ٣٤/٨

(٣) يُنظر: فتح القدير ٢٤٣/٥

(٤) يُنظر: التفسير المنير ٩٧/٢٨

ويظهر أن محطّ نظرهم المحسوسات كالبهائم، فقال مؤكداً له لأجل أن أهل النفاق ينكرون ذلك، وكذا من قرب حاله منهم^(١) فقال: {لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ

اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ}  لأنتم أشدّ رهبة في صدورهم من الله أي:

لأنتم يا معاشر المسلمين أشدّ خوفاً وخشية في صدور المنافقين أو صدور اليهود أو صدور الجميع، (من الله) أي رهبة من الله... ذلك بأنهم قوم لا يفقهون أي: ماذكر من الرهبة الموصوفة بسبب عدم فقههم لشيء من الأشياء، ولو كان لهم فقه لعلموا أن الله سلطكم عليهم فهو أحق بالرهبة منه دونكم.^(٢) ولما أخبر برهبتهم دلّ عليها بقوله^(٣) {لَا

يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ} بِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ

شَدِيدٌ} تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ} 

لا يقاتلونكم جميعاً يعني لا يبرز اليهود والمنافقون مجتمعين لقتالكم ولا يقدرّون على ذلك، إلا في قرى محصّنة بالدروب والدُور، أو من وراء جدُر أي من خلف الحيطان التي يستترون بها لجبنهم ورهبتهم.. (بأسهم بينهم شديد) أي بعضهم غليظ فظّ على بعض، وقلوبهم مختلفة ونيّاتهم متباينة^(٤) (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) أي إن عداوتهم وحريهم فيما بينهم شديدة، وقاسية، تظنهم متوحدين وهم متفرقون، فاجتماعهم إنما هو في الظاهر، مع اختلاف نواياهم وأهوائهم وآرائهم وشهاداتهم في الواقع، لما بينهم من أحقاد وعداوات، ولأنهم قوم لا يعقلون الحق وأمر الله، ولا يدركون سر النجاح في الحياة وهو الوحدة، ولو عقلوا لعرفوا الحق واتبعوه، فتوحدوا ولم يختلفوا، وهذا دليل على أن ضعفهم ناشئ من التفرقة والخلاف، فجدير بالمسلمين الذين يقاتلونهم في هذا العصر أن يكونوا متوحدين صفاً واحداً كالبنين المرصوص، وأن يعتمدوا على

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٤٩/١٩

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٤٣/٥

(٣) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٥٠/١٩

(٤) يُنظر: فتح القدير ٢٤٤-٢٤٣/٥

أنفسهم دون التماس حلول واهنة ضعيفة من شرق أو غرب.^(١) ونلاحظ في الآية المتقدمة قوله: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} وفي هذه الآية {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ} وذلك لأن الأول متصل بقوله: {لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ} لأنهم يرون الظاهر ولا يفقهون علم ما استتر عليهم والفقه معرفة ظاهر الشيء وغامضه بسرعة فطنة، فنفى عنهم ذلك، والثاني متصل بقوله: {تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى} أي لو عقلوا لاجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا.^(٢) ولما كان الإخبار بعدم عقلهم دعوى، دلّ عليها بأمر مشاهد^(٣) فقال: {كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} كمثل الذين من قبلهم والمعنى: أن مثل المنافقين واليهود كمثل الذين من قبلهم من كفار المشركين (قريباً) يعني في زمان قريب..، ذاقوا وبال أمرهم: أي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا بقتلهم يوم بدر، وكان ذلك قبل غزوة بني النضير بستة أشهر..، ولهم عذاب أليم في الآخرة.^(٤) وبعد أن ضرب لهم مثلاً بإهلاك من سبقهم "يضرب لهم مثلاً بحال دائمة، حال الشيطان مع الإنسان الذي يستجيب لإغرائه فينتهي وإياه إلى شرّ مصير"^(٥) فقال: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر: أي: إن مثل هؤلاء المنافقين في وعودهم اليهود بالمناصرة والمؤازرة في القتال والخروج، كمثل الشيطان الذي سول للإنسان الشر، وأغراه

(١) يُنظر: التفسير المنير ٩٨/٢٨

(٢) يُنظر: أسرار التكرار في القرآن لمحمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، المتوفى ٥٠٥هـ، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، مراجعة: أحمد عبد التواب عوض، الناشر: دار الفضيلة، عدد الأجزاء: ١، ص ٢٣٥

(٣) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٥٣/١٩

(٤) يُنظر: فتح القدير ٢٤٤/٥

(٥) يُنظر: في ظلال القرآن ٣٥٣٠/٦

بالكفر، وزينه له، وحمله عليه، فلما كفر الإنسان مطاوعة للشيطان، تبرأ الشيطان منه وتتصل يوم القيامة، وقال على وجه التبري من الإنسان: إني أخاف عذاب الله رب العالمين إذا ناصرته، وهذا مثلٌ في غاية السوء وشدة الوقع على النفوس، لذا أبان الله تعالى بعده ما يوجبه من العقاب، فقال: {فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ} (١٧) أي فكان عاقبة الشيطان الأمر بالكفر، والإنسان الذي كفر واستجاب أنهما صائران إلى نار جهنم خالدين فيها على الدوام، وذلك الجزاء وهو الخلود في النار هو جزاء الكافرين جميعاً، ومنهم اليهود والمنافقون. (١) وهكذا أيضاً ستكون عاقبة كل ظالم مستكبر.

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٤٤/٥

المطلب الثالث

تقوى الله، وكتابه، وأسمائه الحسنى، الآيات (١٨-٢٤)

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ^ج
إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ
أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ^ج
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ
خَشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ^ج وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ^ط عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ^ط هُوَ
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ
الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ^ج سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ^ط لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ^ج
يُسَبِّحُ لَهُ^ط مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ }

التفسير الإجمالي للآيات:

ولما أبلغ سبحانه في المواعظ في هذه السورة قولاً وفعلاً، وكانت الإيقاعات المذكورة فيها
مسببة عن الخيانات ممن كان له عهد فنقضه أو ممن أظهر الإيمان فأبان فعله كذبه،
قال سبحانه استنتاجاً عن ذلك وعظاً للمؤمنين لأن الوعظ بعد المصائب أوقع في النفس
وأعظم في ترقيق القلب وتحذيره مما يوجب العقوبة^(١) قال سبحانه: {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ^ج إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والصور ٤٥٧/١٩

تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ أي يا أيها الذين صدقوا بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، افعلوا ما أمر الله به، واتركوا ما زجر عنه، واتقوا عقابه، ولتتأمل نفس أي شيء قدمت من الأعمال الصالحة ليوم القيامة، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، واتقوا الله - وكرر الأمر بالتقوى للتأكيد والحث على ما ينفع في الآخرة - فإن الله لا تخفى عليه من أعمالكم وأحوالكم خافية، فهو مجازيكم بأعمالكم صغيرها وكبيرها، قليلها وكثيرها. ^(١) قال أهل المعاني: تتكبر (نفس) للتقليل، وتتكبر (لغد) للتعظيم والتهويل. ^(٢) إن الله خبير بما تعملون: اسم الله (الخبير) هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن والإسرار والإعلان والواجبات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، لا يخفى عليه شيء من الأشياء. ^(٣) قال السعدي في هذه الآية: " وهذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها، فإن رأى زللاً تداركه بالإفلاخ عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصراً في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، وبقياس بين من الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة. ^(٤)

ثم يكمل سبحانه الموعظة للمؤمنين قائلاً سبحانه: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ

فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾} أي واحذروا أن تكونوا كالذين تركوا أمر الله، وأهملوا حقوق الله الواجبة على العباد، ولم يخافوا ربهم، فجعلهم ناسين أنفسهم بسبب نسيانهم لربهم، فلم يعملوا الأعمال الصالحة التي تنفعهم في المعاد، وتتجهم من العذاب، فإن الجزاء من جنس العمل، وأولئك التاركون حقوق الله هم الخارجون الكاملون في الخروج عن طاعة الله، الهالكون يوم القيامة، الخاسرون يوم معادهم. ^(٥) قال القشيري: "وأصل كل آفة نسيان الرب، ولولا النسيان لما حصل العصيان،

(١) يُنظر: التفسير المنير ١٠٢/٢٨

(٢) يُنظر: غرائب القرآن ورجائب الفرقان ٢٨٧/٦

(٣) يُنظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي ص ١٩٤

(٤) يُنظر: تفسير السعدي ٨٥٣/١

(٥) يُنظر: التفسير المنير ١٠٣/٢٨

والذي نسي أمر نفسه فهو الذي لا يجتهد في تحصيل توبته ويُسوّف فيما يلزمه به الوقت من الطاعة".^(١)

ثم يقرر الله أن هؤلاء هم أصحاب النار، ويشير للمؤمنين لیسلكوا طريقاً غير طريقهم، وهم أصحاب الجنة وطريق أصحاب الجنة غير طريق أصحاب النار^(٢) فيقول سبحانه:

{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ

﴿٢٠﴾} لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أي في الفضل والرتبة...، ثم يخبر سبحانه

وتعالى عن أصحاب الجنة بعد نفي التساوي بينهم وبين أهل النار فقال: {أَصْحَابُ

الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ} أي الظافرون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه،^(٣) أصحاب

الجنة هم الفائزون يثبت مصيرهم، ويدع مصير أصحاب النار مسكوتاً عنه معروفاً وكأنه ضائع لا يعنى به التعبير.^(٤)

ولما فرغ سبحانه من ذكر أهل الجنة وأهل النار، وبين عدم استوائهم في شيء من الأشياء، ذكر تعظيم كتابه الكريم وأخبر عن جلالته وأنه حقيق بأن تخشع له القلوب وترقّ

له الأفئدة^(٥) فقال سبحانه: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا

مُتَّصِدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

﴿٢١﴾} فقله: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَّصِدًا مِّنْ

خَشْيَةِ اللَّهِ} أي من شأنه وعظمته وجودة ألفاظه وقوة مبانيه وبلاغته، واشتماله على

المواعظ التي تلين لها القلوب، أنه لو نزل على جبل من الجبال الكائنة في الأرض لرأيته

(١) يُنظر: لطائف الإشارات ٥٦٥/٣

(٢) يُنظر: في ظلال القرآن ٣٥٣١/٦

(٣) يُنظر: فتح القدير ٢٤٥/٥

(٤) يُنظر: في ظلال القرآن ٣٥٣١/٦

(٥) يُنظر: فتح القدير ٢٤٦/٥

مع كونه في غاية القسوة وشدة الصلابة وضخامة الجرم، خاشعاً متصدّعاً أي متشقّقاً من خشية الله سبحانه حذراً من عقابه، وخوفاً من أن لا يؤدي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله، وهذا تمثيل وتخيل يقتضي علوّ شأن القرآن وقوة تأثيره في القلوب، ويدلّ على هذا قوله {وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} فيما يجب عليهم التفكير به لينتعظوا بالمواعظ وينزجروا بالزواجر، وفيه تفرّيع وتوبيخ للكفار حيث لم يخشعوا للقرآن ولا اتعظوا بمواعظه ولا انزجروا بزواجره.^(١)

وبعد أن تحدث سبحانه عن عظمة هذا القرآن، وضرب الأمثال وأمر بالتفكير "تجيء التسبيحة المديدة بأسماء الله الحسنى وكأنما هي أثر من آثار القرآن في كيان الوجود كلّ، ينطلق بها لسانه وتتجاوب بها أرجاؤه، وهذه الأسماء واضحة الآثار في صميم هذا الوجود وفي حركته وظواهره، فهو إذ يسبح بها يشهد كذلك بآثارها...إنها تسبيحة مديدة بهذه الصفات المجيدة، ذات ثلاثة مقاطع يبدأ كل مقطع منها بصفة التوحيد^(٢) قال سبحانه: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

﴿١١﴾} فقله: هو الله الذي لا إله إلا هو: هو الذي لا إله إلا هو، فلا رب غيره، ولا إله للوجود سواه، وكل ما يعبد من دونه فباطل، وأنه عالم ما غاب عن الإحساس وما حضر، يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، من جليل وحقيق، وصغير وكبير، في الذر (النمل الأسود) في الظلمات^(٣) وقدّم الغيب على الشهادة لأن علم الغيب أمدح، لأن الغيب هنا أكثر من المشاهدة، ولأنه تعالى يعلمه قبل أن يكون.^(٤)

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٤٦/٥

(٢) يُنظر: في ظلال القرآن ٣٥٣٢/٦

(٣) يُنظر: التفسير المنير ١٠٩/٢٨

(٤) يُنظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني

الحموي الشافعي بدر الدين، المتوفى ٧٣٣هـ، تحقيق د. عبد الجواد خلف، الناشر: دار الوفاء_المنصورة، الطبعة

الأولى ١٤١٠هـ_١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١، ص ٣٥٤

هو الرحمن الرحيم: اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء و عَمَّتْ كل مخلوق^(١) وقال الزجاج: " (الرحمن) يختص بالله سبحانه لا يجوز إطلاقه في غيره، وقال بعض أهل التفسير: الرحمن الذي رحم كافة خلقه بأن خلقهم وأوسع عليهم في رزقه، و (الرحيم) خاص في رحمته لعباده المؤمنين بأن هداهم إلى الإيمان وهو يثيبهم في الآخرة الثواب الدائم الذي لا ينقطع".^(٢)

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ

الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٢﴾}

هو الله الذي لا إله إلا هو: كرره للتأكيد والتقرير لكون التوحيد حقيقةً بذلك.^(٣) (الملك) المالك الذي له الملك، فهو الموصوف بصفة الملك وهي صفات العظمة والكبرياء والقهر والتدبير، الذي له التصرف المطلق في الخلق والأمر والجزاء،^(٤) (القدّوس السلام) القدّوس كالسلام ينفيان كل نقص من جميع الوجوه، ويتضمنان الكمال المطلق من جميع الوجوه، القدّوس السلام أي المعظم المنزه عن صفات النقص كلها وأن يماثله أحد من الخلق، فهو المنتزه عن جميع العيوب، المنتزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى ١١]^(٥)، (المؤمن) الذي أثنى على نفسه بصفات

الكمال، وبكمال الجلال والجمال، الذي أرسل رسله وأنزل كتبه بالآيات والبراهين وصدق رسله بكل آية وبرهان يدلّ على صدقهم وصحة ما جاءوا به^(٦) (المهيمن) هو المطلع على خفايا الأمور وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علماً، وقال قتادة ومجاهد ومقاتل: المهيمن أي الشهيد على عباده بأعمالهم الرقيب عليهم، يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيباً على الشيء.^(٧)

(١) يُنظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي ص ٢٠٠

(٢) يُنظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٢٨

(٣) يُنظر: فتح القدير ٢٤٦/٥

(٤) يُنظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي ص ٢٣٣

(٥) يُنظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي ص ٢٠٨-٢٠٩

(٦) يُنظر: المرجع السابق ص ٢٣٩

(٧) يُنظر: فتح القدير ٢٤٧/٥

(العزیز) الذي له العزة كلها، عزة القوة وعزة الغلبة وعزة الامتتاع، فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات وقهر جميع الموجودات ودانت له الخليفة وخضعت لعزته^(١) (الجبار) جبروت الله: عظمته، والعرب تسمي الملك الجبار، ويجوز أن تكون من جبر إذا أغنى الفقير وأصلح الكسير^(٢) فالجبار بمعنى العلي الأعلى، وبمعنى القهار، وبمعنى الرؤوف الجبار للقلوب المنكسرة وللضعيف العاجز ولمن لاذ به ولجأ إليه^(٣) (المتكبر) الذي تكبر عن كل نقص، وتعظم عما لا يليق به... والكبر في صفات الله مدح، وفي صفات المخلوقين ذم، قال قتادة: هو الذي تكبر عن كل سوء، وقال الأنباري: المتكبر هو ذو الكبرياء وهو الملك. ثم نزه سبحانه نفسه عن شرك المشركين فقال: {سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} أي عما يشركونه، أو عن إشراكهم به.^(٤)

{هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} الخالق هنا: المقدر، والباريء: المنشئ والمخترع، والمصور: مصور الصور ومركبها على هيئات مختلفة، فالتصوير مرتب على الخلق والبراية وتابع لهما، ومعنى التصوير: التخطيط والتشكيل، وخلق الله الإنسان في أرحام الأمهات ثلاث خلق: جعله علقة ثم مضغة ثم جعله صورة وهو التشكيل الذي يكون به صورة وهيئة يعرف بها ويتميز عن غيره بسمتها فتبارك الله أحسن الخالقين.^(٥) (له الأسماء الحسنى) إخبار من الله سبحانه بما له من الأسماء على الجملة دون التفصيل، والحسنى تأنيث الأحسن، أي التي هي أحسن الأسماء لدالاتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول.^(٦) {يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي ينطق

(١) يُنظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي ص ٢١٤

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٤٧/٥

(٣) يُنظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي ص ١٧٦-١٧٧

(٤) يُنظر: فتح القدير ٢٤٧/٥

(٥) يُنظر: تفسير القرطبي ٤٨/١٨

(٦) يُنظر: فتح القدير ٣٠٥/٢

بتنزيهه بلسان الحال أو المقال كل ما فيهما، {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} أي الغالب لغيره

الذي لا يُغالبه مغالب، الحكيم في كل الأمور التي يقضي بها الشرع.^(١)
وهكذا تنتهي السورة بتسبيح الله عز وجل، "فقد بدأت سورة الحشر وختمت بتسبيح الله
الذي له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم، يتناسق البدء مع الختام مع
موضوع السورة ومع دعوة المؤمنين للتقوى والخشوع والتفكير في تدبير الله الحكيم".^(٢)

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٤٨/٥

(٢) يُنظر: في ظلال القرآن ٣٥٢١/٦

المبحث الثالث: مقاصد سورة الحشر وتوجيهاتها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قوّة الله وقدرته وعظمته.

المطلب الثاني: الأمر بالتفكّر، والاستعداد للجزاء.

المطلب الثالث: الأمر بمحبّة السّلف الصّالح، وتطهير القلب من الأدّران.

المطلب الأول

قوة الله وقدرته وعظمته

وقد ظهر هذا المقصد جلياً في السورة، وذلك من خلال:

١- بقوته سبحانه وعظمته سبحانه ونزهه جميع ما في السماوات والأرض، في كل الأوقات والأحيان، فالكون كله مستسلم لله خاضع له، معترف بقوته وقدرته وعظمته {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا

فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [الحشر ١]، وقد افتتحت السورة بالتسبيح وختمت بالتسبيح.

٢- كما تجلّت قوته وقدرته عزّ وجلّ في إخراج يهود بني النضير وإذلالهم على الرغم من حصونهم المنيعه وعقاراتهم الشاسعة {فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا} وَقَذَفَ

فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ} [الحشر ٢]، فأخرجهم من ديارهم وأذلّهم، وجعل ديارهم ونخيلهم

وأرزاقهم فيناً للنبيّ صلى الله عليه وسلم، وهذا دليل أنّ الله لا يعجزه شيء وأنه يمهل ولا يهمل، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا

أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود ١٠٢]).^(١)

٣- وتجلّت قوته وقدرته سبحانه في إفشال مخطط اليهود والمنافقين مع بعضهم ضد النبيّ صلى الله عليه وسلم والمسلمين، ففضحهم وأخزاهم وبين كذبهم وأذاقهم عاقبة مكرهم وغدرهم.

٤- تجلّت عظمته وقدرته سبحانه بوعيده الشديد لمن عاداه وعادى رسوله صلوات الله عليه، بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} وَمَنْ

يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر ٤].

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة)، ح ٤٦٨٦، ٧٤/٦

٥- كما تجلت عظمته بعظمة كتابه الكريم الذي تتصدع منه الجبال وتتشقق خشية منه سبحانه وهيبته من عظمته {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} [الحشر ٢١].

٦- تجلت قوته وقدرته ببيان أنه سبحانه هو القوي العظيم الذي يستحق أن نخافه ونخشاه، هذا الأمر جهله المنافقون واليهود فخافوا المسلمين أكثر من خوفهم الله، فكانت النتيجة أن أخزاهم الله في الدنيا والآخرة ووصفهم بأنهم لا يفقهون ولا يعقلون: {لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ} ^ج ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ [الحشر ١٣].

٧- وتجلت عظمته بأسمائه الحسنی وصفاته العلا، والتي ذكرها في آخر هذه السورة، حيث ذكر ما يزيد على عشرين اسماً وصفة له عز وجل، وذلك لمعرفة حق المعرفة، وتعظيم قدرته في النفوس، ودعائه بها.

٨- في هذه السورة خُتمت سبع آيات بما يدل على عظمته سبحانه وقوته في إذلال الكافرين وتوهمين كيدهم، وتعذيبهم في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى:

{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ^١ ، {وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ النَّارِ} ^٢ ، {وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} ^٣ ، {وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} ^٤ ، {وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ^٥ ، {إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} ^٦ ، {كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا} ^ط ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ^٧.

المطلب الثاني

الأمر بالتفكر، والاستعداد للجزاء

أولاً: الأمر بالتفكر:

أمر الله سبحانه وتعالى في سورة الحشر بالاعتبار والتفكر، لأن فيهما استخدام العقل الذي فضّل الله به الإنسان، فاستخدام العقل فريضة شرعية وضرورة إنسانية.

* فبعد أن ذكر سبحانه إذلال بني النضير وتخريبهم لبيوتهم وإخراجهم من ديارهم قال تعالى: {فَاعْتَبِرُوا يَأْأُولَى الْأَبْصَارِ} [الحشر ٢]، أي "اتعظوا وتدبروا ويُنظروا فيما نزل بهم يا أهل العقول والبصائر".^(١)

* وعندما وصف الله تعالى اليهود والمنافقين بالجين واختلافهم فيما بينهم، بيّن السبب بأنهم {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ} [الحشر ١٤]، فقد عطّلوا عقولهم، ولو أنهم أعملوها وفكروا لعرفوا الحق.

* وبعد أن قصّ أحوال الأمم السابقة الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، وضرب المثل بخذلان الشيطان للعاصيين يوم القيامة، وبيّن حقيقة القرآن الكريم الذي لو نزل على جبل لتشقق من خشية الله، ذيل كل ذلك بقوله: {وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشر ٢١]، فمن تفكّر وأعمل عقله قاده العقل إلى الحق، ومن عطّله ضلّ عن الطريق المستقيم.

* ومن تفكر وعلم مبدأه ومُنْتَهَاهُ، وصل إلى حقيقة وجوده في الحياة وعلم أنه إلى الله صائر فجّد واجتهد واستعد ليوم القيامة كما قال سبحانه: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} {١٨} كما أن من تفكر بمصير الفريقين أصحاب الجنة وأصحاب النار علم أن أصحاب هم الفائزون فجّد واجتهد وعمل عملهم حتى ينال جزاءهم.

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٣٤/٥

المطلب الثالث

الأمر بمحبة السلف الصالح، وتطهير القلب من الأدران

مدح الله سبحانه في سورة الحشر الصحابة رضوان الله عليهم، الذين هم خير القرون على الإطلاق، فقد مدح المهاجرين ووصفهم بالإيمان والإخلاص ونصرة الدين ونصرة النبي صلى الله عليه وسلم ووصفهم بالصدق، {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^ج أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ^١}، ثم مدح الأنصار رضي الله عنهم ووصفهم بمحبة المهاجرين وبالإيثار، ووعدهم بالفوز والفلاح {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ^ج وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^٢}، ثم مدح المؤمنين بعد ذلك بأنهم يحبون السابقين بالإيمان، وقلوبهم مليئة بمحبتهم واحترامهم، ونفوسهم سليمة تجاه المهاجرين والأنصار من أي غل أو حقد، {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ^٣} فكان حب الصحابة إيمان، وبغضهم نفاق وخذلان، لأنهم هم الذين اصطفاهم الله لصحبة نبيه ونشر رسالته، فمن كان مؤمناً أحبهم واحترمهم، ومن كان منافقاً أبغضهم وعاداهم، وشتان بين الفريقين، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، ونحن نشهد الله أننا نحبهم ونتولاهم، وأسأل الله أن يجمعنا معهم في جنات النعيم.

كما أن في الآيات دليل على وجوب تطهير القلب من الغل والحقد والحسد وجميع الأدران، وأن يكون القلب سليماً لكل مسلم على وجه الأرض.

الفصل الثالث: سورة الممتحنة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بين يدي السورة.

المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة.

المبحث الثالث: مقاصد سورة الممتحنة وتوجيهاتها.

المبحث الأول: بين يدي السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها.

ثانياً: سبب نزولها.

المطلب الثاني: أولاً: موضوعها:

ثانياً: الظروف التي نزلت فيها.

ثالثاً: فضلها.

رابعاً: مناسبتها لما قبلها.

المطلب الأول

أولاً: اسمها وترتيبها:

عُرفت هذه السورة في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصاحف بـ"سورة الممتحنة" وقال القرطبي: والمشهور على الألسنة النطق في كلمة "الممتحنة" بكسر الحاء، وهو الذي جزم به السهيلي، ووجه التسمية أنها جاءت فيها آية امتحان إيمان النساء اللاتي يأتين من مكة مهاجرات إلى المدينة، وهي آية {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ

مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ...} [الممتحنة: ١٠]، فوصف الناس تلك الآية بالممتحنة لأنها شرعت الامتحان، وأضيفت السورة إلى تلك الآية، وقال السهيلي: أُسند الامتحان إلى السورة مجازاً كما قيل لسورة براءة الفاضحة، يعني أن ذلك الوصف مجازي عقلي، وروي بفتح الحاء على اسم المفعول، قال ابن حجر: وهو المشهور أي: المرأة الممتحنة، على أن التعريف تعريف العهد والمعهود أول امرأة امتحنت في إيمانها وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط امرأة عبدالرحمن بن عوف، كما سميت سورة قد سمع "سورة المجادلة" بكسر الدال، وذلك أن تجعل التعريف تعريف الجنس، أي النساء الممتحنة.^(١)

قال الفيروز آبادي: "لها ثلاثة أسماء: سورة الممتحنة، وسورة الامتحان، كلاهما بقوله فيها {فَأَمْتَحِنُوهُنَّ} وسورة المودة لقوله {تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ} و {تُسْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ} و {وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً}."^(٢)

هذه السورة مدنية بالاتفاق، واتفق أهل العدد على عدّها أيها ثلاث عشرة آية، وآياتها طوال^(٣) وكلماتها ثلاثمائة وأربعون، وحروفها ألف وخمسمائة وعشر.^(٤) وعُدّت الثانية والتسعين في تعداد نزول السور عند جابر بن زيد، نزلت بعد سورة العقود (المائدة) وقبل سورة النساء.^(٥) وفي ترتيب المصحف هي الستون، بعد سورة الحشر وقبل سورة الصف.

(١) يُنظر: التحرير والتنوير ١٢٩/٢٨

(٢) يُنظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤٦٠/١

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير ١٣٠/٢٨

(٤) يُنظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤٦٠/١

(٥) يُنظر: التحرير والتنوير ١٣١/٢٨

ثانياً: سبب نزولها:

عن عبدالله بن أبي رافع قال: سمعت علياً يقول: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد بن الأسود قال: ((انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن فيها ظعينة معها كتاب" فخرجنا تعادي بنا خيلنا، فإذا نحن بظعينة فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، فقلنا لها: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عفاصها، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين ممن كان بمكة يخبر ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "ما هذا يا حاطب؟" فقال: لا تعجل عليّ، إني كنت امرأ ملصقاً في قريش ولم أكن من نفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها قراباتهم ولم يكن لي بمكة قرابة، فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يداً، والله ما فعلته شاكاً في ديني ولا رضاء بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه صدق" فقل عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه شهد ببراءة، وما يدريك لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)) ونزلت {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا

عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ} [الممتحنة ١].^(١)

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء)، ح ٤٨٩٠، ١٤٩/٦، وأخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم، ح ٢٤٩٤، ١٩٤١/٤

المطلب الثاني

أولاً: موضوعها:

موضوع هذه السورة كغالب السور المدنية في بيان الأحكام التشريعية، وهي هنا أحكام المتعاهدين من المشركين والذين لم يقاتلوا المسلمين، والمؤمنات المهاجرات وامتحانهن، حيث ابتدأت السورة بالنهي عن موالاة المشركين الذين آذوا المسلمين وأجبروهم إلى الهجرة، ثم ذكرت أن القرابة غير نافعة يوم القيامة، وإنما النافع للإنسان هو الإيمان والعمل الصالح، ثم أعقبت ذلك بضرب الأمثال بقصة إبراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين، وتبرؤهم من قومهم المشركين، ليكون خليل الرحمن قدوة وأسوة طيبة، ثم وضعت أصول العلاقات بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب في حالتَي السلم والحرب، وانتقل البيان عقب ذلك إلى حكم العلاقات مع المشركين فيما يتعلّق بالنساء المؤمنات، وضرورة امتحانهنّ عند الهجرة لدار الإسلام وعدم ردّهن إلى الكفار، واستتبع ذلك بيان حكم مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم لهن، وشروط البيعة وبنودها، وختمت السورة بتأكيد النهي عن موالاة أعداء المؤمنين من المشركين والكفار حرصاً على وحدة الأمة والملة.^(١)

ثانياً: الظروف التي نزلت فيها:

عندما نقضت قريش صلح الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيئاً للغزو وحاول الإخفاء، وكان قد أمر عائشة رضي الله عنها قبل أن يأتي إليه خبر نقض الميثاق بثلاثة أيام أن تجهزه ولا يعلم أحد، فدخل عليها أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا بنيّة ما هذا الجهاز؟ قالت: والله ما أدري، فقال: والله ما هذا زمان غزو بني الأصفر، فأين يريد رسول الله؟ قالت: والله لا علم، وفي صباح الثالثة جاء عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً، وشكى للنبيّ نقض قريش وبني بكر العهد، فعلم الناس بنقض الميثاق، فأمرهم رسول الله بالجهاز، وأعلمهم أنه سائر إلى مكة وقال: ((اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها)) وزيادة في الإخفاء والتعمية بعث رسول الله سرية قوامها ثمانية رجال تحت قيادة أبي قتادة بن ربعي إلى بطن أضم فيما بين ذي خشب وذي المروة على ثلاثة برد من المدينة، في أول شهر رمضان سنة ثمان للهجرة ليظن الظانّ

(١) يُنظر: التفسير المنير ١١٦/٢٨-١١٧ (بتصرف)

أنه صلى الله عليه وسلم يتوجه إلى تلك الناحية ولتذهب بذلك الأخبار^(١) وفي هذه الأثناء كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعطاه امرأة وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علياً والمقداد إلى روضة خاخ..... الحديث^(٢) وهكذا أخذ الله العيون فلم يبلغ إلى قريش خبر تهيو المسلمين للزحف والقتال، ونزلت أوائل سورة الممتحنة درساً بالنهي عن موالاة المشركين.

ثالثاً: فضلها:

لم يصح في فضلها من الأحاديث سوى أنها من السور المفصل التي أوتيها النبي صلى الله عليه وسلم نافلة ففضل بها على سائر الأنبياء^(٣) فعن واثلة بن الأسقع^(٤) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المئين، ومكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلَت بالمفصل))^(٥)

رابعاً: مناسبتها لما قبلها:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها وهي سورة الحشر، من وجهين:

- ١- ذكر في الحشر موالاة المؤمنين بعضهم بعضاً، ثم موالاة الذين نافقوا للكفار من أهل الكتاب، وافتتحت هذه السورة بالنهي عن اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء، لئلا يشابهوا المنافقين في ذلك، وكرّر النهي في السورة ثم ختمت به.
- ٢- كانت سورة الحشر في المعاهدين من أهل الكتاب، وهذه السورة للمعاهدين من المشركين لأنها نزلت بعد صلح الحديبية، فالسورتان تشتركان في بيان علاقات المسلمين مع غيرهم.^(٦)

(١) يُنظر: الرحيق المختوم ص ٣٦٥-٣٦٦ (بتصرف)، والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، مسند النساء، ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم، علي بن الحسين عن ميمونة، ح ١٠٢٥ و ٤٣٣/٢٣، قال عنه الهيثمي: فيه يحي بن سليمان بن نضلة وهو ضعيف.

(٢) سبق تخريجه ص ٩٨

(٣) يُنظر: موسوعة فضائل سور وآيات القرآن ١٣٤، ١٧١/٢

(٤) سبق ترجمته ص ١٦

(٥) سبق تخريجه ص ١٦

(٦) يُنظر: التفسير المنير ١١٥/٢٨

المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: النهي عن موالاة الكفار، ثم ذكر قصة إبراهيم عليه السلام،
الآيات (٧-١).

المطلب الثاني: أحكام علاقة المسلمين بالكفار، وأحكام النساء المهاجرات،
الآيات (١٣-٨).

المطلب الأول

النهى عن موالاة الكفار، ثم ذكر قصة إبراهيم عليه السلام، الآيات (١-٧)

{يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَتَقَفُواكُم يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن نَّفْعَعَكُمُ أَرْحَامَكُم وَلَا أَوْلَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ؕ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ؕ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ؕ رَبَّنَا عَلَيكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ؕ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً ؕ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ؕ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾}

التفسير الإجمالي للآيات:

ولمّا كان قد تقدّم في المجادلة النهي الشديد عن إظهار مطلق المودّة للكفار، وفي الحشر الزجر العظيم عن إبطان ذلك، فتكفلت السورتان بالمنع من مصاحبة ودّهم ظاهراً وباطناً، بكت هنا من اتصف بالإيمان وقّره ووبّخه على السعي في مودّتهم والتكلف لتحصيلها، فإن ذلك قادح في اعتقاد تفرّده سبحانه بالعزّة والحكمة، فعبر لذلك بصيغة الافتعال فقال بعد التبكيت بالنداء بأداة البعد والتعبير بأدنى أسنان الإيمان^(١) فقال: {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ

{} اتفق المفسرون وثبت في صحيح الأحاديث أن هذه الآية نزلت في قضية الكتاب

الذي كتب به حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه إلى قريش يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وسلم (كما ذكر في سبب نزول السورة) وحاطب من المهاجرين ومن أهل بدر^(٢)، (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء) أي يا أيها المصدقون بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا عدوي وعدوكم أنصاراً وأصدقاءً وأعواناً لكم، توصلون إليهم أخبار النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، بسبب المودة التي بينكم وبينهم، والآية تدل على النهي عن موالاته الكفار بأي وجه من الوجوه.. وسبب النهي هنا أمران: (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) و (يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) أي إنهم كفروا بالله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم وما جاءكم من القرآن والهداية الإلهية، وأخرجوا الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من مكة من أجل إيمانهم بالله، وإخلاص عبادتهم لله تعالى.. ثم حرص الله تعالى على الامتناع من الموالاته، فقال:

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٨٥/١٩

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير ١٣٢/٢٨

(إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي) أي لا تتخذوهم أولياء إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي، مبتغين رضواني عنكم، ولا توالوا أعدائي وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حقاً عليكم، وسخطاً لدينكم، (تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أي تسرون إليهم الأخبار وخطط النبي والمؤمنين بسبب المودة، وتفعلون ذلك، وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر، والأعلم من كل أحد بما تخفون وما تعلنون، (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) أي ومن يوال الأعداء منكم، فقد أخطأ طريق الحق والصواب، وحاد عن قصد السبيل التي توصل إلى الجنة والرضوان الإلهي.^(١) (عدوي) وقد أضاف سبحانه (العدو) إلى نفسه تعظيماً لجرمهم.^(٢) وعدو الله: من كفر به وأشرك ولم يؤمن بما أنزل في كتبه، وعدو المؤمنين: من خانهم وأضر بمصالحهم أو قاتلهم أو عاون على قتالهم^(٣) قال ابن العربي^(٤) في هذه الآية: "من كثر تطلعه على عورات المسلمين وبنه عليهم ويعرف عدوهم بأخبارهم لم يكن بذلك كافراً إذا كان فعله لغرض دنيوي، واعتقاده على ذلك سليم، كما فعل حاطب بن أبي بلتعة حين قصد بذلك اتخاذ اليد ولم يثنو الردة عن الدين"^(٥) ونلاحظ أن الله خاطبهم بـ (يا أيها الذين آمنوا) وفي هذا ردّ صريح على المعتزلة الذين يعتقدون أن المعصية تنافي الإيمان. وبعد أن نهى الله سبحانه عن موالاة هؤلاء الأعداء، وبين أنهم أخرجوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأخرجوا الصحابة من ديارهم "قال مبيناً لبقاء عداوتهم"^(٦) {إِنْ يَتَّقِفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالْأُسُوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ} {٢} إن يتقفوكم يكونوا لكم أعداء أي: إن يلقوكم ويصادفوكم يظهروا ما في قلوبهم من العداوة.. (ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) يبسطوا إليكم أيديهم بالضرب

(١) يُنظر: التحرير والتنوير ١٣٤/٢٨

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٥٠/٥

(٣) يُنظر: التفسير المنير ١١٨/٢٨

(٤) سبق ترجمته ص ٣٥

(٥) يُنظر: أحكام القرآن لابن العربي ٢٢٥/٤

(٦) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٩٣/١٩

ونحوه، وألسنتهم بالشتم ونحوه، (وودّوا لو تكفرون) أنهم تمنوا ارتدادكم وودّوا رجوعكم إلى الكفر^(١) قال الزمخشري: "كيف أورد جواب الشرط مضارعاً مثله ثم قال (وودّوا) بلفظ الماضي؟ قلت: الماضي وإن كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب فإن فيه نكتة، كأنه قيل: ودّوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم، يعني: أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضارّ الدنيا والدين جميعاً، من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض وردّكم كفاراً، وردّكم كفاراً أسبق المضارّ عندهم وأولها، لعلمهم أن الدين أعزّ عليكم من أرواحكم لأنكم بذّالون لها دونه، والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أعزّ شيء عند صاحبه".^(٢)

ولما كانت عداوتهم معروفة، وإنما غطاها محبة القربات لأن الحب للشيء يعمي ويصمّ، فخطأ رأيهم في موالاتهم بما أعلمهم به من حالاتهم، زهد فيها مما يرجع إلى حال من والاهم لأجلهم بما تورثه من الشقاء الدائم يوم البعث، فقال مستأنفاً إعلماً بأنها خطأ على كل حال:^(٣) {لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم أي لن تنفعكم القربات على عمومها ولا الأولاد، وخصّهم بالذكر مع دخولهم في الأرحام لزيد المحبة لهم والحنو عليهم، والمعنى: أن هؤلاء لا ينفعونكم حين توالوا الكفار لأجلهم، كما وقع في قصة حاطب بن أبي بلتعة، بل الذي ينفعكم هو ما أمركم الله به من معاداة الكفار وترك موالاتهم، (يوم القيامة يفصل بينكم) أي: يفرق بينكم فيدخل أهل طاعته الجنة ويدخل أهل معصيته النار، وقيل: أن المراد بالفصل بينهم أنه يفرّ كلُّ منهم من الآخر من شدة الهول كما في قوله: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ} [عبس ٣٤]، (والله بما تعملون بصير) لا يخفى عليه شيء من أقوالكم وأفعالكم فهو مجازيكم على ذلك.^(٤) ولما أبلغ سبحانه في وعظهم في ذلك وكانت عادته التربية بالماضين، كان موضع توقع ذلك فقال معبراً بأداة

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٥١/٥

(٢) يُنظر: الكشاف، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جاز الله، المتوفى ٥٣٨، الناشر: دار الكتاب

العربي-بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، عدد الأجزاء: ٤، ٥١٣/٤

(٣) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٩٤/١٩

(٤) يُنظر: فتح القدير ٢٥١/٥

التوقع: (١) {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝} يخاطب الله تعالى المؤمنين الذين أمرهم بمجانبة الكافرين والتبري منهم، بأنه قد كانت لكم قدوة طيبة حميدة تقتدون بها في إبراهيم خليل الرحمن أبي الأنبياء والذين آمنوا معه من أتباعه حين قالوا لقومهم: إنا بريئون منكم، لكفركم بالله، وبريئون من كل ما تعبدون من غير الله من الأصنام والأنداد، فقد جحدنا بما آمنتم به من الأوثان، أو بدينكم، أو بأفعالكم، فإن تلك الأوثان لا تنفع شيئاً، فهي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر.

والمقصود إفهام من والى الكافرين وهو حاطب، وكأنه تعالى يقول: أفلا تأسيت يا حاطب بإبراهيم، فتتبرأ من أهلك، كما تبرأ إبراهيم من أبيه وقومه؟! وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده أي هذا دأبنا معكم ما دمت على كفركم، فقد ظهرت وشرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمت على كفركم، فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم، حتى تظهروا الإيمان بالله وحده، وتوحدوا الله، فتعبدوه وحده لا شريك له، وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد، فإذا فعلتم ذلك، صارت تلك العداوة موالاة، والبغضاء محبة، ثم استثنى الله تعالى شيئاً لا يتأسى به بإبراهيم، فقال: (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء) أي وقد كانت لكم أسوة حسنة في كل مقالات إبراهيم إلا قوله لأبيه الكافر: لأستغفرن لك، وما أدفع عنك من عذاب الله شيئاً إن أشركت به، فلا تأسوا به في هذا القول، فتستغفروا للمشركين، فإن استغفاره إنما كان عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله، تبرأ منه، والخلاصة: ليس لكم أسوة في الاستغفار للمشركين.. ثم أخبر الله تعالى عن اعتصام

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٩٦/١٩

إبراهيم والمؤمنين معه بالله حين فارقوا قومهم وتبرؤوا منهم فقال: (ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير) أي اعتمدنا عليك يا ربّ في جميع الأمور، وفوضنا أمورنا إليك، ورجعنا إليك بالتوبة من كل ذنب، وإليك المرجع والمآب والمعاد في الدار الآخرة، وهذا من دعاء إبراهيم وأصحابه، ومما فيه أسوة حسنة يقتدى به فيها. ^(١) قال ابن العربي ^(٢) في هذه الآية: "وهذا نص في الاقتداء بإبراهيم عليه السلام في فعله، وهذا يصحح أن شرع مَنْ قبلنا شرعاً لنا فيما أخبر الله أو رسوله عنهم". ^(٣)

ومن تنمة دعاء إبراهيم عليه السلام ومن معه: {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا

وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا} إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ أي يا ربنا لا تجعلنا مفتونين معذبين بأيدي الكفرة، واستر لنا ذنوبنا عن غيرك، واعف عنها فيما بيننا وبينك، فإنك أنت القوي الغالب القاهر، الذي لا يغالب، ولا يضام من لاذ بجناحك، وذو الحكمة البالغة في أقوالك وأفعالك، وشرعك وقدرك، وتدبير خلقك، وفعل ما فيه صلاحهم. ^(٤)

وبعد أن ذكر سبحانه قصة إبراهيم عليه السلام للتأسي به "أعاد التأسية تأكيداً لها على وجه بلغ الذروة من جمال الترغيب وجلال التهيب" ^(٥) فقال: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ

حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ

الْحَمِيدُ ﴿٦﴾} ثم كرر الحث لهم على الاقتداء بهم، فقال: (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة)

وليس كل أحد تسهل عليه هذه الأسوة، وإنما تسهل على مَنْ (كان يرجو الله واليوم الآخر) فإن الإيمان واحتساب الأجر والثواب يسهل على العبد كل عسير، ويقلل لديه كل كثير، ويوجب له الإكثار من الاقتداء بعباد الله الصالحين، والأنبياء والمرسلين، فإنه يرى نفسه مفتقراً ومضطراً إلى ذلك غاية الاضطرار، ومن يتولّى عن طاعة الله والتأسي برسول الله،

(١) يُنظر: التفسير المنير ٢٨/١٢٨-١٢٩

(٢) سبق ترجمته ص ٣٥

(٣) يُنظر: أحكام القرآن ٤/٢٢٧

(٤) يُنظر: التفسير المنير ٢٨/١٢٩

(٥) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٩/٥٠٣

فلن يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً^(١) فإن الله هو الغني الحميد أي: ومن يعرض عن ذلك فإن الله هو الغني عن خلقه الحميد إلى أوليائه^(٢) واسم الله (الغني) هو الغني بذاته الذي له الغنى المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات لكماله وكمال صفاته، فلا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن إلا أن يكون غنياً لأن غناه من لوازم ذاته سبحانه، كما لا يكون إلا خالقاً قادراً محسناً فلا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه^(٣) واسم الله (الحميد) هو الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها وأحسنها، فالحمد كثرة الصفات والخيرات، فهو الحميد لكثرة صفاته الحميدة وجميع المخلوقات ناطقة بحمده.^(٤)

ولما أتم وعظهم بما هو الأنفع والأقرب إلى صلاحهم ففعلوا، وكان ذلك شاقاً لما جبل عليه البشر من حب ذوي الأرحام والعطف عليهم، فتشوقت النفوس إلى تخفيف بنوع من الأنواع، أتبعه الترجئة فيما قصده حاطب رضي الله عنه^(٥) فقال: {عَسَى اللَّهُ أَنْ تَجْعَلَ

تَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

{ قال الواحدي: لما أمر الله المؤمنين بالافتداء بإبراهيم ومن معه في معادة ذوي قرباتهم من المشركين، فلما نزلت هذه الآية على المؤمنين عادى المؤمنون أقباءهم من المشركين في الله، وأظهروا لهم العداوة والبراءة، وعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله {عَسَى اللَّهُ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً} ثم فعل ذلك بأن أسلم كثير منهم وصاروا لهم أولياء وإخواناً، وخالطوهم وناكحوهم، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، فلان لهم أبو سفيان، وبلغه ذلك وهو مشرك فقال: هذا الفحل لا يقرع أنفه.^(٦)

(١) يُنظر: تفسير السعدي ٨٥٦/١

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٥٤/٥

(٣) يُنظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي ص ٢١٩

(٤) يُنظر: المرجع السابق ص ١٩٠ (بتصرف)

(٥) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٠٥/١٩

(٦) يُنظر: أسباب نزول القرآن ص ٤٢٣، قال عنه الزيلعي في تخريج الكشاف: غريب بهذا اللفظ

فَقَوْلُهُ: (عَسَى اللَّهُ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً) وذلك بأن يسلموا فيصيروا من أهل دينكم، وقد أسلم قوم منهم بعد فتح مكة وحسن إسلامهم، ووقعت بينهم وبين من تقدمهم في الإسلام مودة، وجاهدوا وفعلوا الأفعال المقربة إلى الله، وقيل: المراد بالمودة هنا: تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بأُم حبيبة بنت أبي سفيان، ولا وجه لهذا التخصيص وإن كان من جملة ما صار سبباً إلى المودة، فإن أبا سفيان بعد ذلك ترك ما كان عليه من العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنها لم تحصل المودة إلا بإسلامه يوم الفتح وما بعده، (والله قدير) بليغ القدرة كثيرها، (والله غفور رحيم) بليغهما كثيرهما.^(١) فهو سبحانه وتعالى قدير على تقليب القلوب، غفور لمن تاب إليه وأناب.

^(١) يُنظر: فتح القدير: ٢٥٤/٥

المطلب الثاني

أحكام علاقة المسلمين بالكفار، وأحكام النساء المهاجرات، الآيات (٨-١٣)

{لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ تُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ
أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾} إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ
عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَى
إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ
فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا
هُنَّ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنْفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا
ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْأَلُوا مَّا أَنْفَقْتُمْ
وَلَيْسَ لَكُمْ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ لَكُمْ بَيْنَكُمُ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾
وَأَنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَّا أَنْفَقُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ
إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ
وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ
وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ ۚ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ

غُفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَيسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَيسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

التفسير الإجمالي للآيات:

بعد النهي عن موالاة الكفار والحث على قطيعتهم، والتأسي بإبراهيم ومن معه، ثم تهوين الأمر على المؤمنين بإخبارهم أن الله قادر على تغيير أوضاع المشركين من الكفر إلى الإيمان، رخص تعالى في صلة الذين لم يقاتلوا المؤمنين من الكفار ولم يخرجوهم من ديارهم ولم يعاونوا على إخراجهم^(١) فقال: {لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ تُخْرِجُوهُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ} إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾} عن عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال: ((قدمت فتيلة بنت عبد العزى على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا ضباب وسمن وأقط، فلم تقبل هداياها ولم تدخلها منزلها، فسألت لها عائشة النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله {لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ} فأدخلتها منزلها وقبلت هداياها)).^(٢) فقله: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم: أي لا يمنعكم الله من البر والإحسان وفعل الخير إلى الكفار الذين سالموكم ولم يقاتلوكم في الدين كالنساء والضعفة منهم، كصلة الرحم، ونفع الجار، والضيافة، ولم يخرجوكم من دياركم، ولا يمنعكم أيضاً من أن تعدلوا فيما بينكم وبينهم، بأداء مالهم من الحق، كالوفاء لهم بالوعد، وأداء الأمانة، وإيفاء أثمان المشتريات كاملة غير منقوصة، إن الله يحب العادلين، ويرضى عنهم، ويمقت الظالمين ويعاقبهم.

(١) يُنظر: التفسير المنير ١٣٥/٢٨

(٢) يُنظر: أسباب نزول القرآن ص ٤٢٤، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة الممتحنة، ح ٣٨٠٤، ٥٢٧/٢، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: حديث صحيح.

والمقصود بالآية أن الله سبحانه لا ينهى عن بر أهل العهد من الكفار الذين عاهدوا المؤمنين على ترك القتال، وعلى ألا يعينوا عليهم، ولا ينهى عن معاملتهم بالعدل، مثل خزاعة، وغيرهم الذين عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك القتال.^(١)

ولما علم الحال من هذا وما في أول السورة، أتبعه التصريح بما أفاده مجموعاً أحسن جمع مصوراً أحسن تصوير^(٢) فقال: {إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} {١} إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم أن تولوهم: وهم صناديد الكفر من قريش، وظاهروا على إخراجكم أي: عاونوا الذين قاتلوكم على ذلك، وهم سائر أهل مكة ممن دخل منهم في عهدهم... ومن يتولّهم فأولئك هم الظالمون أي الكاملون في الظلم لأنهم تولّوا من يستحقّ العداوة لكونه عدواً لله ولرسوله ولكتابه.^(٣)

ولما ذكر سبحانه حكم فريق الكافرين في جواز البرّ والإقسط للفريق الأول دون الفريق الثاني، ذكر حكم من يظهر الإيمان^(٤) فقال: {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ} ^ط اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ^ط فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ^ط وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا ^ط وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ^ط وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمُ أَنْفَقُوا ^ط ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ ^ط تَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ^ط وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {٢} قال ابن عباس رضي الله

(١) يُنظر: التفسير المنير ١٣٥/٢٨-١٣٦

(٢) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٠٩/١٩

(٣) يُنظر: فتح القدير ٢٥٤/٥

(٤) يُنظر: المرجع السابق ٢٥٦/٥

عنهما: إن مشركي مكة صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم، ومن أتى أهل مكة من أصحابه فهو لهم، وكتبوا بذلك الكتاب وختموه، فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية، فأقبل زوجها وكان كافراً، فقال: يا محمد ردّ عليّ امرأتي فإنك قد شرطت لنا أن تردّ علينا من أتاك منّا، وهذه طينة الكتاب لم تحف بعد، فأنزل الله هذه الآية.^(١)

لما كان صلح الحديبية، صالح النبي صلى الله عليه وسلم المشركين، على أن من جاء منهم إلى المسلمين مسلماً، أنه يرد إلى المشركين، وكان هذا لفظاً عاماً مطلقاً يدخل في عمومته النساء والرجال، فأما الرجال فإن الله لم ينه رسوله عن ردهم، إلى المشركين وفاء بالشرط وتتميماً للصلح الذي هو من أكبر المصالح، وأما النساء فلما كان ردهن فيه مفسد كثيرة، أمر الله المؤمنين إذا جاءهم المؤمنات مهاجرات، وشكّوا في صدق إيمانهن، أن يمتحنوهن ويختبروهن، بما يظهر به صدقهن، من أيمان مغلظة وغيرها، فإنه يحتمل أن يكون إيمانها غير صادق بل رغبة في زوج أو بلد أو غير ذلك من المقاصد الدنيوية، فإن كن بهذا الوصف، تعين ردهن وفاء بالشرط من غير حصول مفسدة، وإن امتحنوهن فوجدن صادقات، أو علموا ذلك منهن من غير امتحان، فلا يرجعهن إلى الكفار، (لا هن حلّ لهم ولا هم يحلون لهن) فهذه مفسدة كبيرة في ردهن راعاها الشارع، وراعى أيضاً الوفاء بالشرط، بأن يعطوا الكفار أزواجهن ما أنفقوا عليهن من المهر وتوابعه عوضاً عنهن، ولا جناح حينئذ على المسلمين أن ينكحوهن ولو كان لهن أزواج في دار الشرك، ولكن بشرط أن يؤتوهن أجورهن من المهر والنفقة، وكما أن المسلمة لا تحل للكافر، فكذلك الكافرة لا تحل للمسلم أن يمسكها ما دامت على كفرها، غير أهل الكتاب، ولهذا قال تعالى: (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) وإذا نهى عن الإمساك بعصمتها فالنهى عن ابتداء تزويجها أولى، (واسألوا ما أنفقتم) أيها المؤمنون، حين ترجع زوجاتكم مرتدات إلى الكفار، فإذا كان الكفار يأخذون من المسلمين نفقة من أسلمت من نسائهم، استحق المسلمون أن يأخذوا مقابلة ما ذهب من نسائهم إلى الكفار، وفي هذا دليل على أن خروج البضع من الزوج منقوض، فإذا أفسد مفسد نكاح امرأة رجل، برضاع أو غيره، كان عليه

(١) يُنظر: أسباب نزول القرآن ص ٤٢٤، قال عنه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف: حديث غريب

ضمان المهر، وقوله: (ذلكم حكم الله) أي: ذلكم الحكم الذي ذكره الله وبينه لكم يحكم به بينكم (والله عليم حكيم) فيعلم تعالى ما يصلح لكم من الأحكام، ويشرع لكم ما تقتضيه الحكمة.^(١)

ولمّا كان المظنون بالكفار عدم العدل فلا يعطون المؤمنين مهور نسائهم الكافرات، قال مداوياً لذلك الداء:^(٢) {وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا^٣ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾} قال القرطبي: "في الخبر: أن المسلمين قالوا: رضينا بما حكم الله، وكتبوا

إلى المشركين فامتنعوا فنزلت {وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ..} الآية".^(٣)

وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار بأن ذهبن مرتدات (فعاقبتهم فاتوا الذين ذهبوا أزواجهم مثل ما أنفقوا) كما تقدم أن الكفار إذا كانوا يأخذون بدل ما يفوت من أزواجهم إلى المسلمين، فمن ذهب زوجته من المسلمين إلى الكفار وفاتت عليه، لزم أن يعطيه المسلمون من الغنيمة بدل ما أنفق (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) فإيمانكم بالله، يقتضي منكم أن تكونوا ملازمين للتقوى على الدوام.^(٤)

ولمّا خاطب سبحانه المؤمنين الذي لهم موضع الذب والحماية والنصرة بما وطن به المؤمنات في دار الهجرة، فوقع الامتحان وعُرف الإيمان، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد الحكم بإيمانهم بمبايعتهن^(٥) فقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ

عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي

(١) يُنظر: تفسير السعدي ٨٥٧/١

(٢) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٢٠/١٩

(٣) يُنظر: تفسير القرطبي ٦٨/١٨

(٤) يُنظر: تفسير السعدي ٨٥٧/١

(٥) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٢٢/١٩

مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ {عن عروة أن

عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته: ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية، بقول الله: {يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ} إلى قوله: {غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المتحنة ١٢]، قال عروة:

قالت عائشة رضي الله عنها: فمن أقر بالشروط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم "قد بايعتك" كلاماً، ولا والله ما مسّت يده يد امرأة قطّ في المبايعة، ما يبايعهن إلا بقوله: قد بايعتك على ذلك)).^(١)

يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك أي قاصدات لمبايعتك على الإسلام، وعلى ألا يشركن بالله شيئاً من الأشياء كائناً من كان، هذا كان يوم فتح مكة، فإن نساء أهل مكة أتين رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعنه فأمره الله أن يأخذ عليهن ألا يشركن بالله ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن وهو ما كانت تفعله الجاهليّة من وأد البنات، {وَلَا

يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ} أي: لا يلحقن بأزواجهن ولداً ليس منهم.. ولا يعصينك في معروف أي: في كل أمر هو طاعة لله وبر وتقوى، وقال المقاتلان: عني بالمعروف: النهي عن النوح وتمزيق الثياب وجرّ الشعر وشقّ الجيب وخمش الوجوه والدعاء بالويل، (فبايعهن).. أي: إذا بايعتك على هذه الأمور فبايعهن، ولم يذكر في بيعتهن الصلاة والزكاة والصيام والحج لوضوح كون هذه الأمور ونحوها من أركان الدين وشعائر الإسلام، وإنما خصّ الأمور المذكورة لكثرة وقوعها في النساء، (واستغفر لهن الله) أي اطلب من الله المغفرة لهن بعد هذه المبايعة لهن منك إن الله غفور رحيم أي بليغ المغفرة والرحمة لعباده.^(٢)

وبعد أن أمر نبيّه بمبايعة النساء المهاجرات "كرّر سبحانه الأمر بالبراءة من كل عدو، رداً لآخر السورة على أولها تأكيداً للإعراض عنهم وتنفيراً من توليهم كما أفهمته آية المبايعة

(١) يُنظر: أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات)، ح ٤٨٩١، ٦/١٥٠

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٥٨-٢٥٧/٥

وآية الامتحان، فقال ملذذاً لهم بالخطاب كما فعل بأولها بلذيد العتاب: ^(١) {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} يا أيها الذين آمنوا لا تتولّوا قوماً غضب الله عليهم، أي يا أيها المؤمنون برسالة الإسلام لا تتخذوا اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليهم ولعنهم واستحقوا الطرد والإبعاد من رحمته، أولياء وأنصاراً وأصدقاء، وقد يئسوا من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله عز وجل، وأصبحوا لا يوقنون بالآخرة بسبب كفرهم وعنادهم، بالرغم من قيام الأدلة والبيّنات والمعجزات على الإيمان بالله واليوم الآخر، كيأسهم من بعث موتاهم، لا اعتقادهم عدم البعث. ^(٢)

وهكذا تُختم سورة الممتحنة كما ابتدئت ببناء المؤمنين أن يبتعدوا عن موالاة أعداء الله، كما قال سيد قطب رحمه الله: "وفي الختام يجيء هذا الإيقاع العام (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...) يجيء هتافاً للذين آمنوا باسم الله وبالصفة التي تميّزهم عن سائر الأقوام، إذ تصلهم بالله وتفصلهم عن أعداء الله.. وهو هتاف يتجمع من كل إيقاعات السورة واتجاهاتها، اختتم به كما بدأت مثله ليكون هو الإيقاع الأخير الذي تترك السورة أصداءه في القلوب". ^(٣)

^(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٢٦/١٩-٥٢٧

^(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٥٨/٥

^(٣) يُنظر: في ظلال القرآن ٣٥٤٨/٦

المبحث الثالث: مقاصد سورة الممتحنة وتوجيهاتها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: النهي عن موالاة الكفار و موادّتهم.

المطلب الثاني: عدل الإسلام.

المطلب الثالث: تربية النفوس.

المطلب الأول

النهي عن موالاة الكفار وموالاتهم

ولعل هذا هو المقصد الرئيس في هذه السورة، فقد تحدثت آياتها عن النهي الشديد عن موالاة الكفار والصلة معهم بشتى وجوه الصلة والمودة، وهذا أصل من أصول الإيمان لأن المؤمن الصادق يحب في الله ويبغض في الله، يوالي المؤمنين ويناصرهم، ويعادي الكفرة ويبغضهم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: ((أي عرى الإيمان _ أظنه قال _ أوثق؟" قال: الله ورسوله أعلم، قال: "الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله))^(١) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع أصحابه على تحقيق هذا الأم، فعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبايع فقلت: يا رسول الله ابسط يدك أبايعك واشترط عليّ فأنت أعلم، قال: ((أبايعك على أن تعبد الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتتأصح المسلمين وتفارق المشرك))^(٢) وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان))^(٣) أما موالاة أعداء الدين فهي محادة لرب العالمين، وخذلان لأخوة الدين، ولذلك تجلى هذا المقصد في سورة الممتحنة كلها، إذ هو سبب نزولها وعماد حديثها، فنلاحظ:

١- ابتدأت السورة بخطاب المؤمنين بالنهي عن اتخاذ الكافرين أولياء، إشارة إلى فعل حاطب رضي الله عنه في كتابته الكتاب لقريش، وبين سبحانه الأسباب التي توجب معاداة هؤلاء الكفار، فهم الذين كفروا بالقرآن وبالنبي وأخرجوا الصحابة والنبي صلوات الله وسلامه عليه من مكة، فمن كان هذا حاله كان واجباً معاداته وعد صلته.

(١) سبق تخريجه ص ٥٣

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث جرير بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم، ح ١٩١٦٣، ٥٠١/٣١ قال

الأرنؤوط: حديث صحيح، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٦٣٦

(٣) سبق تخريجه ص ٥٤

٢- ذكر سبحانه في السورة قصة إبراهيم عليه السلام ومن آمن معه كيف تبرؤوا من قومهم بسبب كفرهم، وذلك حتى يكونوا قدوة لحاطب رضي الله عنه وللأمة بعد حاطب {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الممتحنة:٤].

٣- بين الله سبحانه أن المؤمن الصادق بالله واليوم الآخر هو من يتخذهم قدوة فيوالي المؤمنين ويعادي الكافرين {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} [الممتحنة:٦].

٤- ذكر تبارك وتعالى أن من يوالي الكفار الذين قاتلوا المسلمين أو أخرجوهم من ديارهم أو عاونوا أحداً قاتلهم أو أخرجهم، فإنه قد ظلم نفسه وعرضها لعقاب الله وسخطه {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الممتحنة:٩].

٥- وختم السورة أيضاً بالنهي عن موالاة الكفار والتودد إليهم، تأكيداً وتنبيهاً وموعظةً {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَيسُوْا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَيسَ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} [الممتحنة:١٣].

المطلب الثاني

عدل الإسلام

في عدة آيات من سورة الممتحنة تجلّى فيها عدل الإسلام وأنه دين حق يأمر بالعدل والإحسان، وينهى عن الظلم والاعتداء، دين يعطي كلّ ذي حقّ حقه، دين لا يعتدي على أحد، وتجلّى ذلك في السورة بما يلي:

١- أمر بالعدل مع كل الناس مؤمنهم وكافرهم، فقد أمر بالعدل وصلة الكفار الذين لم يقاتلوا المسلمين ولم يخرجوهم من ديارهم ولم يعاونوا أحداً على إخراجهم {لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ حُبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: ٨]، وهذا دليل أن ديننا الحنيف لا يناصر العداء إلا على من عاداه وحاربه.

٢- كما أنه أمر بالعدل والقسط وحفظ الشروط، وذلك بإرجاع مهر المرأة التي أسلمت وهاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أن يرده إلى زوجها الكافر {وَأَتَوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا} [الممتحنة: ١٠]، وقوله {وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا} [الممتحنة: ١٠]، وهذا دليل على كمال عدل الله سبحانه، وتمام القسط في دينه.

٣- ومن كمال عدل الله تعالى أنه يجازي كل عامل بما عمل، ولن يؤثر في الجزاء والحساب مال ولا جاه ولا نسب، ولن ينفع الإنسان يوم القيامة إلا عمله الصالح، فلا مال يرتجى ولا أرحام ينفعون، قال سبحانه في سورة الممتحنة: {لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الممتحنة: ٣].

٤- من ارتكب معصية أو مخالفة شرعية ولكن قلبه مطمئن بالإيمان، لم يكفره القرآن ولم ينف عنه صفة الإيمان، بل عاتبه الله وحذره ونهاه وناداه بـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) فأَيّ دين أعظم من هذا الدين؟ وأيّ عدل أكمل من هذا العدل؟.

المطلب الثالث

تربية النفوس

في سورة الممتحنة أساليب تربويّة تهذب النفوس وتريح القلوب، فنلاحظ:

١- أن سورة الممتحنة "فيها ما فيها من الأساليب الحكيمة للدعوة إلى الفضائل واجتناب الرذائل، لأن الله عندما نهى المؤمنين عن موالاة أعدائه ساق لهم الأسباب التي تحملهم على قطع كل صلة بهؤلاء الأعداء، فذكر أن هؤلاء الأعداء قد كفروا بالله وحرصوا على إخراج الرسول والمؤمنين من ديارهم، وأنهم إن يتمكنوا من المؤمنين فسينزلون بهم أشدّ ألوان العذاب، وهذا يجب أن يتعلمه الدعاة إلى الله أن على رأس الوسائل التي توصلهم إلى النجاح في دعوتهم أن يأتوا في دعوتهم بالأسباب المقنعة لاعتناق الحق واجتناب الباطل".^(١)

٢- ربّت الآيات في سورة الممتحنة الإنسان على استشعار رقابة الله في السر والعلن، لأن الإنسان إذا تيقن أن الله يرى مكانه ويسمع كلامه ولا يخفى عليه شيء من أمره استقام سلوكه وأصلح حاله مع الله ومع الناس، ولذلك قال سبحانه: {وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا آخَفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ} [الممتحنة ١].

٣- أرشدت الآيات الكريمة إلى وجوب الاقتداء بالقدوة الحسنة وأهل الخير والصلاح، للنهوض بالفرد والمجتمع بشكل إيجابي، ونلاحظ أن سورة الممتحنة ركّزت على وجوب الاقتداء بإبراهيم عليه السلام في إعلانه البراءة من أبيه وقومه بسبب كفرهم، فقال: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ} إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ

(١) يُنظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،

القاهرة، الطبعة الأولى، تاريخ النشر (ج ١-٢-٣-٤-٥ ١٩٩٧م) (ج ٥-٦ ١٩٩٨م)، ٣٢٧/١٤

لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ

الْمَصِيرُ ﴿٤﴾} ثم كرر الاقتداء به عليه السلام، وكل هذا يظهر أن القدوة الحسنة هي الدافع للإنسان للارتقاء بالذات واتباع السلوكيات التي تتوافق مع الفطرة الربانية ومع مبادئ ديننا الحنيف.

٤- اعتمدت سورة الممتحنة على بث روح الأمل في النفوس وذلك بعد الأمر بقطيعة الكفار وقد كانوا أهل قرابة للمؤمنين فقال سبحانه ليضيء الأمل في نفوس المؤمنين {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً} [الممتحنة ٧]، كما أن الآية فيها إشارة إلى أن الهداية بيده سبحانه، فقد هدى أعتى الكافرين من قريش إلى الإيمان فهو يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وما على المسلم إلا أن يسأل الله الثبات، عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: ((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها كيف يشاء)).^(١)

(١) أخرجه الترمذي، أبواب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، ح ٢١٤٠، ٤/٤٤٨، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي رقم ٢١٤٠، ٥/١٤٠

الباب الثاني: السور الثلاث الثانية من الجزء الثامن والعشرين، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: سورة الصف، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بين يدي السورة.

المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة.

المبحث الثالث: مقاصد سورة الصف وتوجيهاتها.

المبحث الأول: بين يدي السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها.

ثانياً: سبب نزولها.

المطلب الثاني: أولاً: موضوعها.

ثانياً: فضلها.

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها.

المطلب الأول

أولاً: اسمها وترتيبها:

اشتهرت هذه السورة باسم "سورة الصف" وكذلك سميت في عهد الصحابة، فعن عبدالله بن سلام أن ناساً قالوا: لو أرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسأله عن أحب الأعمال إلى أن قال: ((فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر حتى جمعهم ونزلت فيهم سورة سبح لله الصف..)) الحديث، وبذلك عنونت في صحيح البخاري وفي جامع الترمذي، وكذلك كتب اسمها في المصاحف وفي كتب التفسير، ووجه التسمية وقوع لفظ (صفاً) فيها، وهو صف القتال فالتعريف باللام تعريف العهد، وذكر السيوطي في الإتيان: أنها تسمى "سورة الحواريين" ولم يسنده.. وتسميتها سورة الحواريين لذكر الحواريين فيها ولعلها أول سورة نزلت ذكر فيها لفظ الحواريين.^(١)

سورة الصف هي مدنية عند الجمهور كما يشهد لذلك حديث عبد الله بن سلام، وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء أنها مكية ودرج عليه في "الكشاف" والفخر^(٢) والأرجح ما قاله ابن عطية "أن السورة مدنية لأن معاني السورة تعضده، ويشبه أن يكون فيها المكي والمدني"^(٣) وهي السورة الثامنة والمائة في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد، نزلت بعد سورة التغابن وقبل سورة الفتح، وكان نزولها بعد وقعة أحد، وآياتها أربع عشرة آية.^(٤) كلماتها مائة وإحدى وعشرون، وحروفها تسعمائة^(٥) وهي السورة الواحدة والستون في ترتيب المصحف، بعد سورة الممتحنة وقبل سورة الجمعة.

ثانياً: سبب نزولها:

عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله تبارك وتعالى عملناه، فأنزل الله تعالى {سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي

(١) يُنظر: التحرير والتنوير ١٧١/٢٨، وحديث عبدالله بن سلام أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب التفسير، تفسير

سورة الصف، ح ٣٨٠٦، ٥٢٨/٢، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير ١٧٢/٢٨

(٣) يُنظر: تفسير ابن عطية، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، المتوفى

٥٤٢هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٣٠١/٥

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير ١٧٣/٢٨

(٥) يُنظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤٦٢/١

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^ط وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {إِلَى قَوْلِهِ: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا {إِلَى آخِرِ السُّورَةِ فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
الله عليه وسلم}}. (١) و عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: اجتمعنا فتذاكرنا فقلنا:
أيكم يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسأله أي الأعمال أحب إلى الله، ثم تفرقنا
وهبنا أن يأتيه منا أحد، فأرسل إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعنا فجعل يومئ
بعضنا إلى بعض، ((فقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^ط وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ
تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ {إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، قال أبو سلمة: فقَرَأَهَا عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
سَلَامٍ مِنْ أُولَئِكَ إِلَى آخِرِهَا}} (٢).

(١) يُنظر: أسباب نزول القرآن ص ٤٢٦، وأخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب التفسیر، ح ٢٨٩٩، ٢/٢٤٨، قال

الذهبي: حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٢) سبق تخريجه ص ١٢٥

المطلب الثاني

أولاً: موضوعها:

محور السورة وموضوعها هو القتال وجهاد الأعداء والتضحية في سبيل الله، وبيان ثواب المجاهدين العظيم، وذلك من الأحكام التشريعية التي تعنى بها السور المدنية عادة، حيث بُدئت السورة بتسبيح الله سبحانه وبحمده ووجوب الحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية ووقوفها صفاً واحداً في قتال الأعداء لرفع منار الحق، ولوم الذين يخالفون بعملهم أقوالهم، ثم حذرت من الفرقة والعصيان والمخالفة، شأن بني إسرائيل الذين عصوا أمر موسى وعيسى عليهما السلام حين أمرهم موسى عليه السلام بقتال الجبارين، وأمرهم عيسى عليه السلام باتباعه واتباع الرسول أحمد صلى الله عليه وسلم الذي يأتي بعده وتلك بشارة به، ثم ضربت المثل للمشركين بمن يريد إطفاء نور الله بأفواههم، وأردفت ذلك بالبشارة والإخبار بنصرة الإسلام ودعوته، وتفوقه وغلبته على سائر الأديان فهو دين الهدى والحق، ثم رسمت طريق الهدى وأوضحت منهاج السعادة الكبرى وسبيل النجاة من العذاب بإعلان الإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس، وبيان ثمرة الجهاد وهو النصر في الدنيا، وثواب المجاهدين في الآخرة، وكذلك بالأمر بنصرة دين الله عز وجل كمناصرة الحواريين دين عيسى عليه السلام، وبال دعوة إلى نصرته دين الله يتناسب ختام السورة مع بدايتها.^(١)

ثانياً: فضلها:

١- هي من السور المفصل التي أوتيتها النبي صلى الله عليه وسلم نافلة ففضل بها على سائر الأنبياء^(٢) فعن واثلة بن الأسقع^(٣) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المئين، ومكان الإنجيل المئاني، وفضلت بالمفصل)).^(٤)

(١) يُنظر: التفسير المنير ١٥٨/٢٨

(٢) يُنظر: موسوعة فضائل سور وآيات القرآن ١٣٤/٢ ، ١٧١

(٣) سبق ترجمته ص ١٦

(٤) سبق تخريجه ص ١٦

٢- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بالمسبحات قبل أن يرقد، وسورة الصف منها، فعن العرياض بن سارية^(١) رضي الله عنه أنه حدّثه النبي صلى الله عليه وسلم: ((كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد، ويقول: إن فيهن آية خير من ألف آية))^(٢) قال القرطبي: "المسبحات هي: الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن".^(٣)

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها (المتحنة) من وجهين:

١- نهت السورة السابقة في مطلعها وأثنائها وختامها عن موالاة الكفار من دون المؤمنين، وأمرت هذه السورة بوحدة الأمة ووقوفها صفّاً واحداً تجاه الأعداء.

٢- ذكرت السورة المتقدمة أحكام العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم داخل الدولة الإسلامية وخارجها وقت السلم، وحرّضت هذه السورة على الجهاد ورغبت فيه بسبب العدوان، وأثبت التاركين للقتال وشبّهتهم ببني إسرائيل الذين عصوا موسى عليه السلام حين ندبهم للقتال، ثم عصوا عيسى عليه السلام حين أمرهم باتباعه بعد إتيانه بالبينات والمعجزات و اتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي بشر به.^(٤)

(١) سبق ترجمته ص ٦٢

(٢) سبق تخريجه ص ٦٢

(٣) يُنظر: تفسير القرطبي ٢٣٥/١٧

(٤) يُنظر: التفسير المنير ١٥٧/٢٨

المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تسبيح الله، والجهاد دفاعاً عن الدين، ثم ذكر قصة موسى وعيسى عليهما السلام، الآيات (١-٩).

المطلب الثاني: أسس التجارة الربحية، الآيات (١٠-١٤).

المطلب الأول

تسبيح الله، والجهاد دفاعاً عن الدين، ثم ذكر لقصة موسى وعيسى عليهما السلام،

الآيات (٩-١)

{سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^ط وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ
تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ
صَفًا كَانَتْهُمْ بَنِينَ مَرْصُوصِينَ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمٍ لِمَ
تُؤْذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ^ط فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ
قُلُوبَهُمْ^ج وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبَنِيَّ
إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا
بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ^ط فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ
مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ^ج
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ
مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾}

التفسير الإجمالي للآيات:

لَمَّا خَتَمَتِ الْمَمْتَحَنَةُ بِالْأَمْرِ بِتَنْزِيهِهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَوَلِّي مَنْ يَخَالِفُ أَمْرَهُ بِالتَّوَلَّى عَنْهُمْ
وَالْبَرَاءَةَ مِنْهُمْ اتِّبَاعاً لِأَهْلِ الصَّافَاتِ الْمُتَجَرِّدِينَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ، لِأَسِيْمَا عَمَّنْ كَانُوا إِذَا

قيل لا إله إلا الله يستكبرون، افتتحت الصف بما هو كالعلة لذلك^(١) فقال سبحانه: {سَبِّحْ

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^ط وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾} وقد تم تفسير هذه

الآية في سورة الحشر، ووجه التعبير في بعض السور بلفظ الماضي كهذه السورة، وفي بعضها بلفظ المضارع، وفي بعضها بلفظ الأمر، الإرشاد إلى مشروعية التسبيح في كل الأوقات ماضيها ومستقبلها وحالها.^(٢)

وبعد تسبيح الله وتنزيهه "أتبع ذلك بأمر العباد بالوفاء، وهو الذي حدّ لهم في الممتحنة ليتنزهوا عن حال مستوجبي الغضب بنقيض الوفاء والمخالفة بالقلوب والألسنة"^(٣) فقال:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾} قال المفسرون: كان

المسلمون يقولون: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا، فدلّهم

الله على أحبّ العمل إليه فقال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ

صَفًا كَانَتْهُمْ بُيُوتٌ مَرَّصُوصٌ ﴿٣﴾} فابتلوا يوم أحد بذلك فولّوا مدبرين، فأنزل الله {لِمَ

تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} ^(٤).

"ولفظ النداء عام والمراد به جماعة من المؤمنين قالوا: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لفعلناه، فلما علموه ضعفوا عنه ولم يعملوا فعاتبهم الله تعالى في هذه الآية، ولتبقى تشريعاً عاماً إلى يوم القيامة، فكل من يقول فعلت ولم يفعل فقد كذب، وبئس الوصف الكذب، ومن قال سأفعل ولم يفعل فهو مخلف للوعد وبئس الوصف خلف الوعد، وهكذا يربّي الله عباده على الصدق والوفاء".^(٥)

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢/٢٠

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٦١/٥

(٣) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣/٢٠

(٤) يُنظر: أسباب نزول القرآن ص ٤٢٧

(٥) يُنظر: أيسر التفاسير لكلام علي القدير، لجابر بن موسى بن عبد القادر بم جابر، أبو بكر الجزائري، الناشر:

مكتبة العلوم والحكم_ المدينة المنورة، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ_٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٥، ٣٣٦/٥

وبعد أن نهى سبحانه عن مخالفة الأقوال للأفعال بيّن أن هذا الأمر موجب لسخطه ومقته، فقال: {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} {٢} أي: عظم جرماً أن تقولوا قولاً وتفعلون غيره، فإن خلف الوعد دليل على حب الذات، وإهدار لمصلحة وكرامة ووقت الآخرين، وإخلال بالثقة بين الأفراد والجماعات، وما أسوأ خلف الوعد وأقبح بصاحبه، لذا كان مبغوضاً عند الله أشد البغض ومعاقباً عليه، كما هو مبغوض مستكر مذموم عند الناس جميعاً. ^(١) قال القشيري: "لم يتوعد سبحانه زلة بمثل ما على هذا حين قال {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} {٢}." ^(٢) ثم أتبع ذلك بحسن الجزاء لمن وقى قولاً وعقداً ولساناً وضميراً وثبت على ما أمر به ^(٣) فقال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنِينَ} مَرَّصُوصٌ {٤} قال المفسرون: إن المؤمنين قالوا: لوددنا أن الله يخبرنا بأحب الأعمال إليه، ولو ذهبت فيه أموالنا وأنفسنا فأنزل الله هذه الآية.. ومعنى مرصوص: ملتصق بعضه ببعض ^(٤) وفي الآية استحباب قيام المجاهدين في القتال صفوفاً كصفوف الصلاة، وأنه يستحب سدّ الفرج والخلل في الصفوف، وإتمام الصف الأول فالأول، وتسوية الصفوف عدم تقدم بعض على بعض فيها. ^(٥)

ولما ذكر الله سبحانه أنه يحب المقاتلين في سبيله بيّن أن موسى وعيسى عليهما السلام أمرا بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله، وحلّ العقاب بمن خالفهما ^(٦) فقال: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَرْقُومِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ} ^ص

(١) يُنظر: التفسير المنير ١٦٢/٢٨-١٦٣

(٢) يُنظر: لطائف الإشارات ٥٧٦/٣

(٣) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣/٢٠

(٤) يُنظر: فتح القدير ٢٦٢/٥

(٥) يُنظر: الإكليل في استنباط التنزيل ص ٢٦٢

(٦) يُنظر: فتح القدير ٢٦٢/٥

فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ^١ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦٨﴾ { وَإِذْ قَالَ

موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني، وقد تعلمون أني رسول الله إليكم: أي واذكر يا محمد لقومك خبر موسى بن عمران عليه السلام حين قال لقومه بني إسرائيل: يا قوم لم تلتحقون الأذى بي بمخالفة ما أمركم به من الشرائع التي افترضها الله عليكم، أو لم تؤذونني بالشتم والانتقاص، وأنتم تعلمون يقيناً صدقي فيما جئكم به من الرسالة، والرسول يحترم ويعظم، وقد شاهدتم معجزاتي التي توجب الاعتراف برسالتي، وهذا تعليم للمؤمنين ونهي لهم من إيذاء نبيهم كما أؤدي موسى عليه السلام..، وفي هذا أيضاً تسليّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر..، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم، والله لا يهدي القوم الفاسقين أي وإنهم لما تركوا الحق ولم يتبعوا نبيهم وآذوه، أمال الله قلوبهم عن الهدى، وصرفها عن الحق، وأسكنها الشك والحيرة، جزاء بما ارتكبوا..، والله لا يوفق للحق ولا يرشد للهداية القوم الكافرين الذين كفروا بأنبيائهم، وعصوا رسلهم، وهؤلاء من جملتهم.^(١) وبعد أن ذكر موسى عليه السلام أتبع ذلك بقصة

عيسى عليه السلام فقال سبحانه: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي

رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ

بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ^ط فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ { (وَإِذْ

قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم) أي: إني رسول الله إليكم بالإنجيل، مصدقاً لما بين يديّ من التوراة لأنني لم آتكم بشيء يخالف التوراة، بل هي مشتملة على التبشير بي، فكيف تنفرون عني وتخالفوني؟^(٢) ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد: هو نبينا صلى الله عليه وسلم، فعن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن لي أسماء، أنا محمد وأنا

(١) يُنظر: التفسير المنير ٢٨/١٦٧-١٦٨

(٢) يُنظر: فتح القدير ٥/٢٦٣

أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب)).^(١)

(فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) أي: لما جاءهم عيسى عليه السلام بالمعجزات قالوا: هذا الذي جاءنا به سحر واضح ظاهر.^(٢) وقد قرنت قصة موسى وعيسى عليهما السلام في هذه السورة لأنهما من أنبياء بني إسرائيل، وهما من أعظم أنبيائهم ومن أولي العزم من الرسل الذين ذكرهم الله في كتابه العزيز بالثناء والتبجيل.^(٣) ولما كان التقدير إعلاماً بأنهم أظلم الناس لتعمدهم الكذب، فمن أظلم منهم لتهتكهم في ذلك، عطف عليه قوله (ومن أظلم) وعم كل من اتصف بوصفهم^(٤) فقال: {وَمَنْ أَظْلَمُ

مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} {٧} ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام أي: لا أحد أكثر ظلماً منه، حيث يفترى على الله الكذب، فكيف يفترى على ربه والحال أنه يدعى إلى دين الإسلام الذي هو خير الأديان وأشرفها، لأن من كان كذلك فحقه أن لا يفترى على غيره الكذب فكيف يفترى على ربه؟ (والله لا يهدي القوم الظالمين) لا يهدي من اتصف بالظلم والمذكورين من جملتهم^(٥).

ولما أخبر عن ردِّهم للرسالة علَّله بقوله^(٦) {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} {٨} أي: إن هؤلاء الكفار يحاولون جاهدين إبطال دعوة الإسلام، ومنع هدايته، ومقاومة دعوته بأفواههم الكاذبة، ومثلهم في ذلك كمثل من

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى (من بعدي اسمه أحمد)، ح ٤٨٩٦، ١٥١/٦

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٦٣/٥

(٣) يُنظر: صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع_القاهرة، الطبعة

الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٣، ٣٥٤/٣

(٤) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٨/٢٠

(٥) يُنظر: فتح القدير ٢٦٣/٥

(٦) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٩/٢٠

يريد أن يطفئ شعاع الشمس بفيه، وكما أن هذا مستحيل، كذلك إبطال دعوة الإسلام مستحيل، ولهذا قال تعالى: والله متم نوره، ولو كره الكافرون أي والله مظهر دين الإسلام في الآفاق، ويعليه على غيره من الأديان، ومؤيد رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، ولو كره الكافرون ذلك. (١)

ولمّا أخبر بذلك علّله بما هو شأن كل ملك، فكيف بالواحد في ملكه (٢) فقال: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} أي إن الله عز وجل هو الذي أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى الكامل، ودين الحق الأبلج الواضح، المتمثل بالقرآن والسنة النبوية، ليجعله متفوقاً منتصراً على جميع الأديان، عالياً عليها، غالباً بالمنطق والواقع لها، ولو كره المشركون ذلك، فإنه كائن لا محالة. (٣) قال الرازي: "وقد قال سبحانه في الآية المتقدمة {وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} وقال في المتأخرة {وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} فما الحكمة في ذلك؟ فنقول: إنهم أنكروا الرسول وما أنزل إليه وهو الكتاب وذلك من نعم الله، والكافرون كلّهم في كفران النعم، فلماذا قال: {وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} ولأن لفظ الكافر أعم من لفظ المشرك، والمراد من الكافرين ها هنا اليهود والنصارى والمشركون، وهنا ذكر النور وإطفاءه، واللائق به الكفر لأنه الستر والتغطية، لأن من يحاول الإطفاء إنما يريد الزوال، وفي الآية الثانية: ذكر الرسول والإرسال ودين الحق، وذلك منزلة عظيمة للرسول عليه السلام وهي اعتراض على الله تعالى..والاعتراض قريب من الشرك، ولأن الحاسدين للرسول عليه السلام كان أكثرهم من قریش وهم المشركون، ولمّا كان النور أعم من الدين

(١) يُنظر: التفسير المنير ١٧٠/٢٨

(٢) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣١/٢٠

(٣) يُنظر: التفسير المنير ١٧٠/٢٨

والرسول، لا جرم قابله بالكافرين الذين هم جميع مخالفى الإسلام والإرسال، والرسول
والدين أخص من النور قابله بالمشركين الذين هم أخص من الكافرين.^(١)

(١) يُنظر: التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي
خطيب الري، المتوفى ٦٠٦هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربى-بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ، عدد الأجزاء: ٣٢

المطلب الثاني

أسس التجارة الربحة، الآيات (١٠-١٤)

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ
تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۖ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ
قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ۖ فَأَمَّا نَتَّطِيفُ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرْتَ
طَائِفَةٌ ۖ فَأَيُّدِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوبِهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾}

التفسير الإجمالي للآيات:

بعد حث المؤمنين على الجهاد في سبيل الله وتحذيرهم من المخالفة حتى لا يكونوا أمثال بني إسرائيل الذين خالفوا موسى وعيسى عليهما السلام، ذكر الله تعالى أن التجارة الربحة التي لا تبور هي في الإيمان بالله والجهاد في سبيله بالمال والنفس^(١) فقال: {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا هَلْ أَذُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ أي: هل أذلكم على
تجارة عظيمة الشأن؟ وأطلقت التجارة هنا على الإيمان والعمل الصالح لأنهما يتلاقيان
ويتشابهان في كليهما المقصود من ورائه الربح العظيم والسعي من أجل الحصول على
المنافع^(٢)، ومن شأن هذه التجارة أنها تتجي صاحبها من عذاب الله وعقابه، ثم يبين الله

(١) يُنظر: التفسير المنير ١٧٥/٢٨

(٢) يُنظر: التفسير الوسيط ٣٦٤/١٤

سبحانه هذه التجارة فيقول: {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾} تؤمنون بالله ورسوله

أي: تدوموا على الإيمان بالله تعالى وتخلصوا العمل له، وبرسوله صلى الله عليه وسلم وتلتزموا بما جاءكم به، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم أي: تجاهدوا من أجل إعلاء كلمة الله ونشر دينه بالمال والنفس^(١) وقدّم سبحانه هنا الجهاد بالأموال على الجهاد بالأنفس لأن المقام مقام تفسير وتوضيح لمعنى التجارة الرباحة عن طريق الجهاد في سبيل الله، ومن المعلوم أن التجارة تقوم على تبادل الأموال، وهذه الأموال هي عصب الجهاد فعن طريقها تُشترى الأسلحة والمعدات التي لا غنى للمجاهدين عنها^(٢) والجهاد نوعان: جهاد النفس: وهو منعها عن الشهوات وترك الطمع، والشفقة على الخلق ورحمتهم، وجهاد العدو: وهو مقاومة الأعداء وردّ عدوانهم من أجل نشر دين الله تعالى^(٣) (ذاك خير لكم) أي: هذا الفعل خير لكم من أموالكم وأنفسكم، إن كنتم تعلمون أي: إن كنتم ممن يعلم فإنكم تعلمون أنه خير لكم، لا إذا كنتم من أهل الجاهل فإنكم لا تعلمون.^(٤) ثم يبيّن سبحانه ثمرة هذه التجارة الرباحة فيقول: {يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾} (يدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن) أي

جنات إقامة، قال ابن عطية: "مساكن طيبة وطيب المساكن سعتها وجمالها، وقيل: طيبها المعرفة بدوام أمرها وهو الصحيح، وأيّ طيب مع الفناء والموت"^(٥) (ذلك الفوز العظيم)

(١) يُنْظَرُ: التفسير المنير ١٧٦/٢٨ (بتصرف)

(٢) يُنْظَرُ: التفسير الوسيط ٣٦٤/١٤

(٣) يُنْظَرُ: التفسير المنير ١٧٦/٢٨

(٤) يُنْظَرُ: فتح القدير ٢٦٥/٥

(٥) يُنْظَرُ: تفسير ابن عطية ٣٠٤/٥

أي ذلك المذكور من المغفرة وإدخال الجنات الموصوفة بما ذكر هو الفوز الذي لا فوز بعده والظفر الذي لا ظفر يماثله.^(١)

ولما بين سبحانه وتعالى جزاء هذه التجارة في الآخرة أتبع ذلك ببيان الجزاء في الدنيا فقال: {وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ^طنَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ^طوَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾} أي ولكم خصلة أو نعمة أخرى تعجبكم هي نصر مبين من الله لكم، وفتح عاجل للبلاد كمكة وغيرها من فارس والروم، أي إذا قاتلتم في سبيل الله، ونصرتهم دينه، تكفل الله بنصركم.^(٢) (وبشّر المؤمنين) أي: وبشّر يا محمد المؤمنين بالنصر والفتح، أو بشّرهم بالنصر في الدنيا والفتح، وبالجنة في الآخرة، أو بشّرهم بالجنة في الآخرة.^(٣)

وبعد أن بين سبحانه جزاء التجارة الرابعة في الدنيا والآخرة، حثّ على نصرته دينه ونبيه تكميلاً لهذه التجارة كما فعل أنصار عيسى عليه السلام، فقال: {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ^طفَأَمْنَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾} يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله أي: دوموا على ما أنتم عليه من نصرته الدين.. {كَمَا قَالَ عِيسَى

ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} أي: يقول تعالى أمرا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال: من أنصاري إلى الله أي من معيني في الدعوة إلى الله عز وجل؟ قال الحواريون وهم أتباع عيسى عليه السلام نحن أنصار الله

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٦٥/٥

(٢) يُنظر: التفسير المنير ١٧٧/٢٨

(٣) يُنظر: فتح القدير ٢٦٥/٥

أي نحن أنصارك على ما أرسلت به ومؤازرك على ذلك^(١) {فَأَمَنْتَ طَائِفَةً مِّنْ
بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ^ط } أي: آمنت طائفة بعبسى عليه السلام وكفرت به
طائفة، وذلك لأنهم لما اختلفوا بعد رفعه تفرقوا وتقاتلوا، {فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ
عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} أي قوينا المحقّين منهم على المبطلين فأصبحوا ظاهرين
أي: غالبين، وقيل المعنى: فأيدنا الآن المسلمين على الفرقتين جميعاً.^(٢)
وهكذا نرى أن سورة الصف ختمت بالحث على الجهاد ونصرة الدين حيث يتناسب مع
بدايتها ببيان محبة الله للمجاهدين، قال السيوطي رحمه الله: "سورة الصف في أولها {لَمْ
تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} النازل في الجهاد، وآخرها ذكر أنصار الله الذين جاهدوا
من قوم عبسى، وفي أولها {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ} وفي
آخرها {وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}، وفي أولها {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ} وفي آخرها {وَدَثِيرٍ
لِّلْمُؤْمِنِينَ}."^(٣)

(١) يُنظر: تفسير ابن كثير ١٣٩/٨

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٦٥/٥-٢٦٦

(٣) يُنظر: مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ص ٧١

المبحث الثالث: مقاصد سورة الصف وتوجيهاتها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحثّ على الجهاد ونصرة دين الله.

المطلب الثاني: العقابة للحقّ وأهله.

المطلب الثالث: النهي عن الكذب في الأقوال والأفعال.

المطلب الاول

الحث على الجهاد ونصرة دين الله

تجلى هذا المقصد في جميع آيات سورة الصف، إذ هو السبب الرئيس في نزولها، فكان الغالب على الآيات الدعوة إلى الجهاد دفاعاً عن الدين، والحث على نصرته الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم، وبيان ثمرة الجهاد في الدنيا والآخرة، وقد تجلّى ذلك في:

١- إرشاد الله تعالى المؤمنين إلى خير الأعمال التي يحبها، وذلك عندما قال المؤمنون: لو نعلم أحب الأعمال لفعلناه، فأخبرهم بأن خيرها وأحبها إليه هو الجهاد فقال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُم بُنِينَ مَرْصُوصًا} [الصف:٤]، ولذلك لما ضعفوا أمام هذا الأمر الذي هو خير الأعمال والذي يحبه سبحانه عاتبهم ونهاهم أن يقولوا ما لا يفعلون.

٢- كما تجلّى هذا المقصد عندما اعتبر سبحانه ترك الجهاد مخالفة لأوامر الله ورسوله حيث ضرب مثلاً للمؤمنين ببني إسرائيل كيف خالفوا أوامره عز وجل وأوامر موسى وعيسى عليهما السلام، وذلك حتى لا يقع المؤمنون بالمخالفة التي وقع بها بنو إسرائيل.

٣- عندما دلّ سبحانه المؤمنين إلى التجارة الربحية معه سبحانه، دلّهم على الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، وفصل لهم في جزائه العاجل والآجل، فبيّنت الآيات أنه بالجهاد يغفر الله الذنوب ويدخل الجنان وبه تحصل السعادة الأبدية، وفي الدنيا يكون سبباً في النصر والفتح المبين.

٤- وتجلّى هذا المقصد أيضاً بختام السورة كما بدأت، حيث حثّ سبحانه على الجهاد ونصرة الدين والنبي صلى الله عليه وسلم كما فعل الحواريون عندما ناصروا عيسى عليه السلام {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ حُنَّ أَنْصَارُ اللَّهِ} [الصف:١].

وهكذا نلاحظ أن المقصد الأهم في سورة الصف الدعوة إلى الجهاد ونصرة الرسول والرسالة، ويكفي أن الله يحبه، فهو ذروة سنام الإسلام، وبه قام الدين، وهو أجلّ القربات وأعظم الطاعات، شرع لإعلاء كلمة الله ونشر دينه، غدوة واحدة أو راحة واحدة في سبيل

الله ونصرة دينه خيرٌ من الدنيا وما فيها، عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: ((الروحة والغدوة في سبيل الله أفضل من الدنيا وما فيها)).^(١) فبالجهاد يتحقق رضا الله سبحانه، وبه يكون النصر والتمكين لدين الله ولهذه الأمة، ويوم القيامة يكون الجزاء السعادة الأبدية في جنات عدن، وكل هذا تجلّى في سورة الصف.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله وقاب أحدكم من الجنة، ح ٢٧٩٤، ١٧/٤

المطلب الثاني

العاقبة للحق وأهله

من حكمة الله تعالى أنه جعل الصراع بين الحق والباطل باقٍ إلى قيام الساعة، وقد يضعف أهل الحق أحياناً ولكن في النهاية سينتصر الحق لا محالة، فهذا وعد من الله ، وقد تجلّى هذا المقصد في ثلاث آيات من سورة الصف، وذلك من خلال:

١- عندما حاول الكافرون النيل من النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن، والانتقاص من دين الله، أخبر سبحانه أنهم لن يستطيعوا ذلك لأنه هو الحافظ للدين المتم له {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [الصف:٨].

٢- وصف الله هذا الدين بأنه دين الحق، دين ظاهر على جميع الأديان وناسخ لها، ولو حاول كل أهل الباطل إخماده وهزيمته ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، لأن الحق لا يُهزم {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [الصف:٩].

٣- عندما اختلفت الطائفتان من بني إسرائيل أيد الله سبحانه أهل الحق ونصرهم، فكانوا عالين على أهل الباطل غالبين لهم {فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} [الصف:١٤].

إن من سنة الله تعالى أن يجعل العاقبة للمتقين أهل الحق، فلا يظن ظان أن الله يتخلى عن نصرته دينه، نعم قد يضعف أهل الحق أحياناً نتيجة مخالفتهم أو تقصيرهم، ولكن وعد من الله أنهم متى ما رجعوا عن تقصيرهم نصرهم وجعل العاقبة لهم، وهذا ما لاحظناه من خلال آيات سورة الصف.

المطلب الثالث

النهي عن الكذب في الأقوال والأفعال

الكذب من أسوء الصفات وأحط الأخلاق، وهو رأس الخطايا، وقد اتصف به المنافقون، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان))^(١) وقد جعل الإسلام الكذب أقصر الطرق إلى النار عن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)).^(٢)

وقد تجلى هذا المقصد في آيات سورة الصف من خلال:

١- عاتب الله المؤمنين الذين خالفت أقوالهم أفعالهم عتاباً شديداً، ثم حذرهم تحذيراً أشد وأخبرهم بأن هذه الصفة من أقبح الصفات التي يبغضها سبحانه ويمقتها فقال: {يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ}  كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} وقد قال القشيري: "لم يتوعد سبحانه زلة بمثل ما على

هذا حين قال {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} ".^(٣)

٢- اعتبر سبحانه من يتصف بهذه الصفة الشنيعة وهو يدّعي أنه مسلم فهو ظالم، بل لا يوجد أحد أظلم منه والنتيجة أن الله سيخزيه في الدنيا والآخرة. قال سبحانه: {وَمَنْ أَظْلَمُ

مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ} وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}  لذلك نلاحظ أن آيات سورة الصف حذرت من الكذب في الأقوال

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ح ٣٣، ١/١٦

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)، ح ٦٠٩٤، ٨/٢٥

(٣) يُنظر: لطائف الإشارات ٣/٥٧٦

والأفعال، بدأت بعتاب ثم تحذير شديد ثم وصف لمن يتصف بالكذب على الله بالظلم،
والله لا يهدي القوم الظالمين.

الفصل الثاني: سورة الجمعة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بين يدي السورة.

المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة.

المبحث الثالث: مقاصد سورة الجمعة وتوجيهاتها.

المبحث الأول: بين يدي السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها.

ثانياً: سبب نزولها.

المطلب الثاني: أولاً: موضوعها.

ثانياً: فضلها.

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها.

المطلب الأول

أولاً: اسمها وترتيبها:

سميت هذه السورة عند الصحابة وفي كتب السنة والتفسير "سورة الجمعة" ولا يُعرف لها اسم غير ذلك، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه سورة الجمعة))^(١) ووجه تسميتها وقوع لفظ الجمعة فيها، وهو اسم لليوم السابع من أيام الأسبوع في الإسلام..وقد أطلق اسم "الجمعة" على الصلاة المشروعة فيه على حذف المضاف لكثرة الاستعمال، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل)).^(٢) السورة مدنيّة بالاتفاق، وآياتها إحدى عشرة، وكلماتها مائة وثمانون، وحروفها سبعمائة وعشرون^(٣) وقال ابن عطية: "هي مدنيّة، وذكر النقّاش قولاً إنها مكّيّة، وذلك خطأ ممن قاله، لأن أمر اليهود لم يكن إلا بالمدينة، وكذلك أمر بالجمعة لم يكن قطّ بمكة، أعني إقامتها وصلاتها، وأما أمر الانفضاض فلا مرية في كونه بالمدينة، وذكر النقّاش عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت سورة الجمعة" وهذا أيضاً ضعيف لأن أبا هريرة إنما أسلم أيام خيبر".^(٤) وقد عدّت هذه السورة السادسة بعد المائة في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد، نزلت بعد سورة التحريم وقبل سورة التغابن^(٥) وهي السورة الثانية والستون في ترتيب المصحف فهي بعد سورة الصف وقبل سورة المنافقون.

ثانياً: سبب نزولها:

يظهر أن السورة نزلت سنة ست وهي سنة خيبر، فظاهر حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي ذكر آنفاً أن هذه السورة نزلت بعد فتح خيبر، وظاهره أنها نزلت دفعة واحدة فتكون

(١) يُنظر: التحرير والتنوير ٢٨/٢٠٤، والحديث أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله (وآخرين منهم لما

يلحقوا به)، ح ٤٨٩٧، ١٥١/٦

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير ٢٨/٢٠٤، والحديث أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة وهل

على الصبي شهود الجمعة، ح ٨٧٧، ٢/٢

(٣) يُنظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/٤٦٤

(٤) يُنظر: تفسير ابن عطية ٥/٣٠٦

(٥) يُنظر: التحرير والتنوير ٢٨/٢٠٥

قضية ورود العير من الشام هي سبب نزول السورة^(١) فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إذ أقبلت عير قدمت من الشام، فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فأنزل الله تبارك وتعالى: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَؤُلَاءِ أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا} ^(٢) قال المفسرون: أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر، فقدم دحية بن خليفة الكلبي في تجارة من الشام وضرب لها طبل يؤذن الناس بقدومه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فخرج إليه الناس ولم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً منهم أبو بكر وعمر، فنزلت هذه الآية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق أحد منكم لسال بكم الوادي ناراً)).^(٣)

(١) يُنظر: التحرير والتنوير ٢٠٥/٢٨

(٢) يُنظر: أسباب نزول القرآن ص ٤٢٨، والحديث أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب إذا نفر الناس في صلاة

الجمعة فصلاة الإمام ومن معه جائزة، ح ٩٣٦، ١٣/٢

(٣) يُنظر: أسباب نزول القرآن ص ٤٢٩، والحديث أخرجه ابن حبان، كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب

الصحابة، باب وصف الآية التي نزلت عندما ذكرنا قبل، ح ٦٨٧٧، ١٥/٢٩٩-٣٠٠، وصححه الألباني في السلسلة

الصحيحة رقم ٣١٤٧

المطلب الثاني

أولاً: موضوعها:

موضوع السورة كالسور المدنية بيان أحكام التشريع، والهدف منها بيان أحكام صلاة الجمعة المفروضة بدلاً عن الظهر يوم الجمعة، حيث بدأت السورة كسابقتها بتنزيه الله وتمجيده، ثم أشادت بأوصاف النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ورحمة الله المهداة وهي: عربته وتلاوته آيات القرآن على قومه وتزكيتهم وتعليمهم الكتاب والسنة، سواء في زمنه أم للأجيال المتلاحقة، وبيان كون ذلك فضلاً من الله ونعمة، ثم نعت اليهود لتركهم العمل بأحكام التوراة، وتشبيههم بالحمار الذي يحمل على ظهره الكتب النافعة ولكنه لا يفهم منها شيئاً، ثم ذكرت طلب مباهلة اليهود إن كانوا أولياء بتمني الموت، ثم ختمت السورة بالحث على أداء صلاة الجمعة وإيجاب السعي لها بمجرد النداء الذي يُنادى لها بالأذان والإمام على المنبر، وأباح السعي وكسب الرزق عقب انتهاء الصلاة، وعانتبت المؤمنين الذين تركوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب على المنبر ومسارعهم لرؤية قافلة التجارة.^(١)

ثانياً: فضلها:

- ١- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في الركعة الأولى من صلاة الجمعة^(٢) فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم: ((كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ألم تنزيل السجدة، وهل أتى على الإنسان حين من الدهر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين)).^(٣)
- ٢- أنها من السور التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها قبل أن يرقد، فعن العرياض بن سارية^(٤) رضي الله عنه أنه حدثه النبي صلى الله عليه وسلم: ((كان يقرأ

(١) يُنظر: التفسير المنير ١٨٢/٢٨

(٢) يُنظر: موسوعة فضائل سور وآيات القرن ١٧٥/٢

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة، ح ٨٧٩، ٥٩٩/٢

(٤) سبق ترجمته ص ٦٢

بالمسبحات قبل أن يرقد ويقول: إن فيهن آية خير من ألف آية))^(١) وقال القرطبي:
"المسبحات هي: الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن".^(٢)

٣- أنها من السور المُفَصَّل التي أوتِيها النبي صلى الله عليه وسلم نافلة فُضِّل بها على سائر الأنبياء^(٣) فعن واثلة بن الأسقع^(٤) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المثني، ومكان الإنجيل المثاني، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّل)).^(٥)

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها:

يتضح وجه اتصال هذه السورة بما قبلها (سورة الصف) من نواحٍ أربع هي:

١- ذكر تعالى في أول السورة التي قبلها حال موسى مع قومه وإيذاءهم له مؤنباً لهم، وذكر في هذه السورة حال الرسول صلى الله عليه وسلم وفضل أمته تشريفاً لهم، ليظهر الفرق بين الأمتين وفضل الأمة الإسلامية.

٢- بشر عيسى عليه السلام في السورة المتقدمة بمحمد أو أحمد صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر في هذه السورة أنه هو الذي بشر به عيسى عليه السلام {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ} [الجمعة ٢].

٣- ختم الله السورة السابقة بالأمر بالجهاد وسماه تجارة، وختم هذه السور بالأمر بالجمعة وأخبر أنها خير من التجارة الدنيوية.

٤- في السورة المتقدمة أمر الله المؤمنين أن يكونوا صفّاً واحداً في القتال، فناسب تعقيب سورة القتال بسورة صلاة الجمعة التي تستلزم الصف لأن الجماعة شرط فيها دون سائر الصلوات.^(٦)

(١) سبق تخريجه ص ٦٢

(٢) يُنظر: تفسير القرطبي ٢٣٥/١٧

(٣) يُنظر: موسوعة فضائل سور وآيات القرآن ١٣١/٢ ، ١٧٣

(٤) سبق ترجمته ص ١٦

(٥) سبق تخريجه ص ١٦

(٦) يُنظر: التفسير المنير ١٨١/٢٨ - ١٨٢

المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تسبيح الله، ومهمة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ضرب مثل لليهود، الآيات (١-٨).

المطلب الثاني: من أحكام صلاة الجمعة، الآيات (٩-١١).

المطلب الأول

تسبيح الله، ومهمة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ضرب مثل لليهود، الآيات (١-٨)

{يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ
هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ
مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن
يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن
زَعَمْتُمْ أَنكُم أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾
وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِن
الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾}

التفسير الإجمالي للآيات:

لَمَّا ختمت سورة الصف بالإقبال ببعض بني إسرائيل على جنبه الأقدس بعد أن زاغوا
فأزاغ الله قلوبهم كلهم أو الشاذ منهم بما أفهمه إطلاق الضمير عليهم ثم تأييدهم على من
استمر منهم على الزيغ، فثبت أن له تمام القدرة المستلزم لشمول العلم، اللازم منه التنزه
عن كل شائبة نقص.. أخبر أول هذه السورة أن ذلك التنزيه على وجه التجديد والاستمرار

بالتعبير بالمضارع لاستمرار ملكه^(١) فقال: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} أي ينزه الله ويمجده جميع المخلوقات

ناطقها وجامدها، إقراراً بوجوده ووحدانيته وقدرته..، فهو مالك السموات والأرض المتصرف فيهما بأمره وحكمته، المنزه عن النقائص وعن كل ما يخطر بالبال، الموصوف بصفات الكمال والقوي الغالب القاهر الذي لا يغلبه غالب، بليغ العزة والحكمة، المتقن في تدبير شؤون خلقه، الحكيم في كل شيء.^(٢)

قال سيد قطب رحمه الله: "هذا المطلع يقرر حقيقة التسبيح المستمرة في كل ما في الوجود لله، ويصفه سبحانه بصفات ذات علاقة لطيفة بموضوع السورة، السورة التي اسمها "الجمعة" وفيها تعليم عن صلاة الجمعة وعن التفرغ لذكر الله في وقتها، وترك اللهو والتجارة وابتغاء ما عند الله وهو خير من اللهو والتجارة".^(٣)

وبعد تنزيه الله نفسه وصف رسوله صلى الله عليه وسلم بما تميز به من خصائص، فقال:

{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} أي إنه

سبحانه هو الذي أرسل في العرب الأميين، إذ كان أكثرهم لا يحسن القراءة والكتابة، رسولاً من جنسهم فهو أمي مثله، ومع كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولا تعلم من أحد، كان يتلو على أمته آيات القرآن التي ترشدهم لخير الدنيا والآخرة، ويطهرهم من دنس الكفر والذنوب وأخلاق الجاهلية، ويعلمهم القرآن والسنة والشرائع والأحكام وحكمتها، وإن كانوا في جاهليتهم في ضلال وخطأ واضح في العقيدة والتشريع والنظام، إذ كانوا قديماً متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام، فبدلوه وغيروه، واستبدلوا بالتوحيد شركاً ووثنية، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله، وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها، وغيروها

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٤/٢٠-٤٥

(٢) يُنظر: التفسير المنير ١٨٤/٢٨

(٣) يُنظر: في ضلال القرآن ٣٥٦٤/٦

وأولوها^(١) قال الماوردي: "فلو قيل: فما وجه الامتتان بأن بُعث أميًّا؟ فالجواب عنه ثلاثة أوجه: أحدها لموافقته ما تقدمت بشاره الأنبياء به، الثاني: لمشاكلته حاله لأحوالهم فيكون أقرب إلى موافقتهم، الثالث: لينتقي عنه سوء الظن في تعلمه ما دعا إليه من الكتب التي قرأها والحكم التي تلاها"^(٢) قال ابن كثير رحمه الله: "وهذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم حين دعا لهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فبعثه الله سبحانه _وله الحمد والمنة_ على حين فترة من الرسل، وطموس من السبل، وقد اشتدت الحاجة إليه".^(٣)

ولما كانت تزكيته لهم مع أميَّتهم وغباوتهم لوصف الأميَّة في الجهل أمراً باهراً في دلالاته على تمام القدرة، زاد في الدلالة على ذلك بإلحاق كثير ممن في غيرهم من الأمم مثلهم في الأميَّة بهم^(٤) فقال: {وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ^ج وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾} (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) أي: وامتن على آخرين من غيرهم أي: من غير الأميين، ممن يأتي بعدهم، ومن أهل الكتاب، لما يلحقوا بهم، أي: فيمن باشر دعوة الرسول، ويحتمل أنهم لما يلحقوا بهم في الفضل، ويحتمل أن يكونوا لما يلحقوا بهم في الزمان، وعلى كل، فكلا المعنيين صحيح، فإن الذين بعث الله فيهم رسوله وشاهدوه وباشروا دعوته، حصل لهم من الخصائص والفضائل ما لا يمكن أحداً أن يلحقهم فيها، (وهو العزيز الحكيم) وهذا من عزته وحكمته، حيث لم يترك عباده هملاً ولا سدى، بل ابتعث فيهم الرسل، وأمرهم ونهاهم^(٥)، وهو صلى الله عليه وسلم وإن كان مرسلاً إلى جميع الثقليين فتخصيص العرب ها هنا لقصد الامتتان عليهم، وذلك لا ينافي عموم الرسالة، ويجوز أن يراد بالآخرين: العجم لأنهم وإن لم يكونوا من العرب فقد صاروا بالإسلام منهم، والمسلمون كلهم أمة واحدة وإن اختلفت أجناسهم^(٦) وقد استدلل السيوطي رحمه الله بقوله

(١) يُنظر: التفسير المنير ١٨٤/٢٨-١٨٥

(٢) يُنظر: النكت والعيون ٦/٦

(٣) يُنظر: تفسير ابن كثير ١١٦/٨

(٤) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٢/٢٠

(٥) يُنظر: تفسير السعدي ٨٦٢/١

(٦) يُنظر: فتح القدير ٢٦٨/٥

تعالى: {وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} قال فيه تفضيل الصحابة على من سواهم. ^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عن النبي صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه سورة الجمعة (وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال: قلت من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً، وفيما سلمان الفارسيّ، وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال: ((لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء)) ^(٢)

ولما كان هذا أمراً باهراً عظّمه بقوله على وجه الاستثمار من قدرته ^(٣) {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} ذلك من فضل الله العظيم، الذي يؤتيه من يشاء من عباده، وهو أفضل من نعمته عليهم بعافية البدن وسعة الرزق، وغير ذلك، من النعم الدنيوية، فلا أعظم من نعمة الدين التي هي مادة الفوز، والسعادة الأبدية. ^(٤)

ثم لما أثبت التوحيد والنبوة وبيّن في النبوة أنه عليه السلام بُعث إلى الأميين، واليهود لما أوردوا تلك الشبهة وهي أنه عليه السلام بُعث إلى العرب خاصة ولم يبعث إليهم بمفهوم الآية، أتبعه الله بضرب المثل للذين أعرضوا عن العمل بالتوراة والإيمان بالنبي عليه السلام ^(٥) فقال: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَةِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} مثل الذين حملوا التوراة، ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً أي إن شبه اليهود الذين تركوا العمل بالتوراة، بعد أن كلفوا القيام بها والعمل بما فيها، فلم

^(١) يُنظر: الإكليل في استنباط التنزيل ص ٢٦٣

^(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله (وأخريين منهم لما يلحقوا بهم)، ح ٤٨٩٧، ١٥١/٦

^(٣) يُنظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٤/٢٠

^(٤) يُنظر: تفسير السعدي ٨٦٢/١

^(٥) يُنظر: التفسير الكبير ٥٤٤/٣٠

يعملوا بموجبها، ولا أطاعوا ما أمروا به فيها، كسبه الحمار الذي يحمل الكتب الكبيرة على ظهره، وهو لا يدري الفرق بين الكتاب والزبل، لأنه لا فهم له، واليهود وإن كان لهم عقول وأفهام، فإنهم لم ينتفعوا بها فيما ينفعهم وفي إدراك الحقائق، لأنهم حفظوا اللفظ ولم يتفهموه، ولا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه، فهم أسوأ حالا من الحمير، لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوها.^(١) قال القرطبي: "وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء".^(٢) وقال تعالى هنا مبيناً قبح هذا المثل: {بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا

بِأَيِّتِ اللَّهِ} أي ما أقبح ما يمثل به للمكذبين، وما أشنع هذا التشبيه، وهو تشبيه اليهود بحق الحمار، فلا تكونوا أيها المسلمون مثلهم، والله لا يوفق للحق والخير القوم الكافرين على العموم، ومنهم اليهود بصفة أولى.^(٣)

ولما كان قولهم أنهم أولياء الله وأحبائهم في غاية البعد من هذا المثل، استأنف ما يدل على صحة المثل قطعاً، فقال معرضاً عنهم آمراً لمن كذبوه بتبكيته^(٤) {قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ

هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴿١٨﴾} المراد بالذين هادوا: الذين تهودوا، وذلك أن اليهود ادّعوا الفضيلة على

الناس أنهم أولياء الله من دون الناس، كما في قولهم: {خُنْ أَبْنَتُوا اللَّهَ

وَأَحِبُّوهُ} [المائدة ١٨]، وقولهم: {لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ

نَصْرِي} [البقرة ١١١]، فأمر الله سبحانه رسوله أن يقول لهم لما ادّعوا هذه الدعوى الباطلة:

(فتمنوا الموت) لتصيروا إلى ما تصيرون إليه من الكرامة في زعمكم، إن كنتم صادقين

(١) يُنظر: التفسير المنير ١٩٠/٢٨

(٢) يُنظر: تفسير القرطبي ٩٤/١٨

(٣) يُنظر: التفسير المنير ١٩٠/٢٨

(٤) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٧/٢٠

بهذا الزعم، فإن من علم أنه من أهل الجنة أحب الخلوص من هذه الدار، ثم أخبر سبحانه بأنهم لا يفعلون ذلك أبداً، بسبب كفرهم وذنوبهم، فقال: {وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ^ع وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ^٧} ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم أي: بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي والتحريف والتبديل، والله عليم بالظالمين يعني على العموم، وهؤلاء اليهود داخلون فيهم دخولاً أولياً، ثم أمر الله رسوله أن يقول لهم: بأن الفرار من الموت لا ينجيهم وأنه نازل بهم فقال: {قُلْ إِنَّ أَلَمَوتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ^ط مُلَقِيكُمْ^ط ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^٨} إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملائكم أي: ملائكم لا محالة ونازل بكم بلا شك، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة وذلك يوم القيامة فينبئكم بما كنتم تعملون من الأعمال القبيحة ويجازيكم عليها.^(١)

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٦٩/٥

المطلب الثاني

من أحكام صلاة الجمعة، الآيات (٩-١١)

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجْرَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾}

التفسير الإجمالي للآيات:

ولما كان الذين هادوا يفرون من الموت لمتاع الدنيا وطيباتها، والذين آمنوا يبيعون ويشرون لمتاع الدنيا وطيباتها كذلك فنبههم الله^(١) بقوله: {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾} يأمر تعالى عباده المؤمنين بالحضور لصلاة الجمعة والمبادرة إليها، من حين ينادى لها والسعي إليها، والمراد بالسعي هنا: المبادرة إليها والاهتمام لها، وجعلها أهم الأشغال، لا العدو الذي قد نهى عنه عند المضي إلى الصلاة، وقوله: (وذروا البيع) أي: اتركوا البيع، إذا نودي للصلاة، وامضوا إليها، فإن (ذلكم خير لكم) من اشتغالكم بالبيع، وتقويتكم الصلاة الفريضة، التي هي من أكد الفروض. (إن كنتم تعلمون) أن ما عند الله خير وأبقى، وأن من أثر الدنيا على الدين، فقد خسر الخسارة الحقيقية، من حيث ظن أنه يربح، وهذا الأمر بترك البيع مؤقت مدة الصلاة.^(٢) واستدل السيوطي رحمه الله بهذه الآية على عدّة أمور فقال: "فيها مشروعية صلاة الجمعة والأذان لها والسعي إليها، وتحريم البيع بعد الأذان، واستدل بهذه الآية من

(١) يُنظر: التفسير الكبير ٥٤١/٣٠

(٢) يُنظر: تفسير السعدي ٨٦٣/١

قال إنه يجب إتيان مَنْ هو في مكان يسمع النداء، ومن قال لا يُحتاج لإذن السلطان لأنه تعالى أوجب السعي ولم يشترط إذن أحد، وَمَنْ قال: لا تجب على النساء لعدم دخولهن في خطاب الذكور^(١) وقد كان فرض الجمعة متقدماً على وقت نزول هذه السورة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم فرضها في خطبة خطب بها للناس وصلّاها في أول يوم جمعة بعد يوم الهجرة في دارٍ لبني سالم بن عوف، وثبت أن أهل المدينة صلّوها قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فكان فرضها ثابتاً بالسنة قولاً وفعلًا، وما ذُكر في هذه السورة من قوله: {إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى

ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ} ورد مورد التأكيد لحضور صلاة الجمعة وترك البيع والتحذير من الانصراف عند الصلاة.^(٢) "وقال أهل النظم: قد أبطل الله تعالى قول اليهود في ثلاث: زعموا أنهم أولياء الله فكذبهم الله بقوله (فتمنوا الموت)، وافتخروا بأنهم أهل كتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمّار يحمل أسفاراً، وبأهوا بالسبت وأنه ليس للمسلمين مثله فشرع لنا الجمعة".^(٣) وبعد أن أمر سبحانه بالإسراع إلى صلاة الجمعة وأدائها وترك ما يلهيهم عنها، أرشد إلى ما بعد الانتهاء من الصلاة فقال: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

{} فإذا قضيت الصلاة أي: إذا فعلتم الصلاة وأديتموها وفرغتم منها، فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف فيما تحتاجون إليه من أمر معاشكم، وابتغوا من فضل الله أي: من رزقه الذي يتفضل بها على عباده بما يحصل لهم من الأرباح في المعاملات والمكاسب... واذكروا الله كثيراً أي: ذكراً كثيراً بالشكر له على ما هداكم إليه من الخير الأخروي والدنيوي، وكذا اذكروه بما يقربكم إليه من الأذكار كالحمد والتسبيح والتكبير والاستغفار ونحو ذلك، (لعلكم تفلحون) كي تفوزوا بخير الدارين وتظفروا به^(٤) قال

(١) يُنظر: الإكليل في استنباط التنزيل ص ٢٦٣

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير ٢٠٥/٢٨

(٣) يُنظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٣٠٠/٦

(٤) يُنظر: فتح القدير ٢٧١/٥

مجاهد: "لا يكون العبد ذاكرةً لله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً".^(١) وقد كان عراك بن مالك^(٢) رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: "اللهم إني أجبت دعوتك، وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين".^(٣) وبعد بيان وجوب الإسراع إلى صلاة الجمعة، وإباحة الانتشار بعد الانتهاء منها، ختم السورة بعتاب المؤمنين الذين انصرفوا عن خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة إلى القافلة التجارية، فقال سبحانه: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا آنَفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ } وقد سبق ذكر سبب نزول الآية، ومعنى (انفضوا إليها) تفرقوا خارجين إليها...، (وتركوك قائماً) أي على المنبر، ثم أمره سبحانه أن يخبرهم بأن العمل للأخرة خير من العمل للدنيا فقال: (قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ) يعني الجزاء وهو الجنة (خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ) اللذين ذهبتم إليهما وتركتم البقاء في المسجد وسماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم لأجلها، والله خير الرازقين فمنه اطلبوا الرزق، وإليه توسلوا بعمل الطاعة فإن ذلك من أسباب تحصيل الرزق وأعظم ما يجلبه.^(٤) قال سيد قطب رحمه الله: "وهذا الحادث يكشف عن مدى الجهد الذي بُذل في التربية وبناء النفوس حتى انتهت إلى إنشاء تلك الجماعة الفريدة في التاريخ، ويمنح القائمين على دعوة الله في كل زمان رصيذاً من الصبر على ما يجدونه من ضعف ونقص وتخلّف وتعثّر في الطريق، فهذه النفس البشرية بخيرها وشرها، وهي قابلة أن تصعد في مراقي العقيدة والتطهّر والتركّي بلا حدود، مع الصبر والفهم والإدراك والثبات والمثابرة وعدم النكوص

(١) يُنظر: تفسير ابن كثير ١٢٣/٨

(٢) عراك بن مالك الغفاري المدني، أحد العلماء العاملين...، وكان يسرد الصوم، وقال عمر بن عبدالعزيز: "ما أعلم أحداً أكثر صلاة من عراك بن مالك"، لما استخلف يزيد بن عبد الملك نفى عراكاً إلى جزيرة دهلج غربي اليمن، فمات هناك رحمه الله، لعله توفي سنة أربع ومائة أو قبلها. يُنظر: سير أعلام النبلاء ٦٣/٥-٦٤

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، رقم ١٨٨٩٧، وابن كثير في تفسيره ١٢٢/٨-١٢٣، والقرطبي ١٠٨/١٨-١٠٩

(٤) يُنظر: فتح القدير ٢٧١/٥-٢٧٢

في منتصف الطريق".^(١) وهكذا نلاحظ أن "سورة الجمعة بُدئت بوصف الله وخُتمت به".^(٢)

المبحث الثالث: مقاصد سورة الجمعة وتوجيهاتها، وفيه مطلبان:

(١) يُنظر: في ظلال القرآن ٦/٣٧٥٠

(٢) يُنظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ص ٧١

المطلب الأول: تميّز الأمة الإسلاميّة.

المطلب الثاني: وجوب العمل بالعلم، والأمر بذكر الله تعالى.

المطلب الأول

تميّز الأمة الإسلامية

لقد رفع الله شأن هذه الأمة وشرفها، وجعلها خير أمة أُخرجت للناس، وإن المتأمل لسورة الجمعة يستنتج أن الله تعالى خصّ هذه الأمة بخصائص ميّزتها عن باقي الأمم، كما نلاحظ أنّ هذه السورة في ترتيب المصحف هي السورة الثانية والستون، قبلها سورة الصف التي تحدثت عن اليهود وإيذائهم لموسى عليه السلام، وعن النصارى وتكذيبهم لعيسى عليه السلام في بشارته بالنبى صلى الله عليه وسلم، وبعدها سورة المنافقون التي تحدثت عن صفات المنافقين وكُفْرهم الباطنيّ، فكانت سورة الجمعة بينهما إظهاراً لتمييز الأمة حين تلتزم بأسباب التميّز والعزّة التي رسمها الله لها، وخصّها بها. فتجلى هذا المقصد في سورة الجمعة من خلال خمسة أمور:

أولاً: تمييزها برسولها صلى الله عليه وسلم: الذي أرسل على حين فترة من الرسل، فأخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجاهالة إلى الهدى والحق {هُوَ الَّذِي بَعَثَ

فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ [الجمعة ٢]، فقد كانت البشرية

بأشد الحاجة إليه، هو دعوة إبراهيم عليه السلام، وبشارة عيسى عليه السلام، وقد كانت مهمّته صلى الله عليه وسلم أن يقرأ القرآن على أمّته ويُعلّمهم الشرع ويُخرجهم من دَنَسِ الكفر والجهل إلى نور الإيمان والتوحيد، فقد تميّزت هذه الأمة بهذا النبيّ الكريم صلوات الله عليه، وحريٌّ بها أن تستمسك بسنته وتمضي على شرعته.

ثانياً: تمييزها بكتابها (القرآن الكريم): حين ذكر الله سبحانه مهمّة النبيّ صلى الله عليه وسلم في سورة الجمعة بأنّه يتلو على الأمة الآيات ويُعلّمهم الكتاب أي: القرآن الكريم، والغاية من ذلك: إخراج الناس من الظلمات إلى النور، تبين أنّ هذا القرآن كتاب هداية للناس، فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم، من استمسك به فقد هدي إلى صراط مستقيم، حفظه الله إلى قيام الساعة.

ثالثاً: تميّزها بدينها العظيم: الذي أظهره الله على الأديان كلها فكان خاتماً للأديان وناسخاً لما قبله، وهو للعرب وغيرهم {وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ^١ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ}{الجمعة ٣}، وهذا يثبت عالميّة هذا الدين وتميّزه. يقول سيد قطب رحمه الله: " إنَّ

المنهج الذي جاء مع محمد صلى الله عليه وسلم منهج يسعد البشرية كلها ويقودها إلى الكمال المقدر لها في هذه الحياة، ولقد جاءت هذه الرسالة للبشرية حينما بلغت سن الرشد العقلي، جاءت كتاباً مفتوحاً للعقول في مستقبل الأجيال، شاملاً لأصول الحياة البشرية التي لا تتبدل، مستعداً لتلبية الحاجات المتجددة التي يعلمها خالق البشر، وهو أعلم بمن خلق، وهو اللطيف الخبير"^(١).

ومن الأمور التي تتدرج تحت تميز الأمة بدينها: هو أنه دين يلبي جميع احتياجات الفطرة الإنسانية، فأمر بالعمل للدنيا وأمر بالعمل للآخرة، وفي سورة الجمعة بدا ذلك واضحاً في قوله تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ

وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} {الجمعة ١٠}، فبعد الانتهاء من صلاة الجمعة

أباح الإسلام الانتشار في الأرض والبيع والشراء وكسب الرزق الحلال وكافة معاملات المعاش.

رابعاً: تميّزها بيوم الجمعة: وهو السبب الرئيس لنزول السورة، فيوم الجمعة يوم مبارك اختص الله به هذه الأمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة، بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا وأوتيناها من بعدهم، ثم هذا اليوم الذي كتبه الله علينا، هداية الله له فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غد))^(٢) ولعظيم فضل هذا اليوم خصّه الله وفضّله على سائر الأيام، وبيّن أحكامه في سورة الجمعة التي سميت باسمه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة،

(١) يُنظر: في ظلال القرآن، ٤/ ٢٤٠١ .

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب هداية الأمة ليوم الجمعة، ح ٨٥٥، ٥٨٥/٢ .

فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة^(١) ومن عظيم فضله أيضاً أن فيه ساعة يستجيب الله فيها الدعاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال: ((فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه))^(٢) فالواجب على المسلم التذكير إلى صلاة الجمعة وهو ما حثت عليه هذه السورة {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ

لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ} [الجمعة:٩]، فيجب الإسراع إليها وعدم الانشغال عنها، والتهيؤ لها بالاغتسال والتطيب ولبس الثياب النظيفة، فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى)).^(٣)

خامساً: تميزها بولايتها لله: معنى أولياء الله: كما قال الزمخشري: "الذين يتولونه بالطاعة، ويتولاهم بالكرامة"^(٤) ففي سورة الجمعة، عندما زعم اليهود أنهم أولياء الله وأحبّاءه، كذبهم سبحانه بقوله: {قُلْ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ

النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ

أَيْدِيهِمْ^ج وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾} [الجمعة:٦-٧] فنفي عنهم صفة الولاية لكفرهم

وتكذيبهم وسوء صنيعهم، وأثبت لهم صفة الكذب، وإذا نظرنا إلى الموضوع نفسه في سورة

يونس نرى قوله سبحانه: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، ح ٨٥٤، ٥٨٥/٢

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب في الساعة التي في يوم الجمعة، ح ٨٥٢، ٥٨٣/٢

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب الدهن للجمعة، ح ٨٨٣، ٣/٢

(٤) يُنظر: الكشف ٣٥٥/٢ .

تَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ [يونس ٦٢-٦٣]، فأثبت

الولاية سبحانه لكل مؤمن يتبع أوامره ويجتنب نواهيه، قال ابن عطية: " وهذه الآية يعطي ظاهرها أن من آمن واتقى فهو داخل في أولياء الله، وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي" ^(١) فأولياء الله المؤمنين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون "وكيف يخاف أولياء الله أو يحزنون والله معهم هكذا في كل شأن وفي كل عمل وفي كل حركة أو سكون؟" ^(٢) وهذه ميزة عظيمة لأفراد الأمة إذا التزموا بالدين واتقوا ربهم سيكون التميز والخير والأمان حليفهم في الدنيا، والفوز بنعيم الله في الآخرة.

(١) يُنظر: البحر المحيط في التفسير، ٨١/٦ .

(٢) يُنظر: في ظلال القرآن، ١٨٠٤/٣ .

المطلب الثاني

وجوب العمل بالعلم، والأمر بذكر الله تعالى

أولاً: وجوب العمل بالعلم:

إن العمل بالعلم أمر أوجبه الله، وسوف يُسأل العبد عن ذلك يوم القيامة، وقد ذمَّ الله اليهود في سورة الجمعة وشبَّههم بالحمار يحمل أسفاراً لأنهم علموا التوراة ولم يعملوا بها، فقال: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ تَحْمِلُ أَسْفَارًا} بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَةِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ [الجمعة]، قال ابن القيم رحمه الله: "وهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به، ولم يؤدِّ حقه، ولم يرعه حق رعايته" ^(١) فمن عمل بعلمه كان علمه حجة له، ومن لم يعمل بعلمه كان علمه حجة عليه، عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه)). ^(٢)

كما تجدر الإشارة أن تعلم الكتاب والسنة من أشرف العلوم، فهما الوحي الكريم والعلم النافع، وبهما تتطهر النفوس من أدرانها فتعرف الحلال والحرام فتتقوى في مراقي الفلاح في الدنيا والآخرة، ويكفي الدعاة فخراً أن تعليم الكتب والسنة كانت مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرت سورة الجمعة {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو

عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ۖ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [الجمعة ٢].

(١) يُنظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى ٧٥١هـ، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ٤، ١/١٢٧

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة، ح ٢٤١٧، ٤/٦١٢، وقال حديث حسن

صحيح، كما صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٩٤٦

ثانياً: الأمر بذكر الله تعالى:

الكون كله متجه إلى الله مشغول بتسبيحه وتمجيده وتنزيهه في كل الأوقات، وهذا ما ابتدأت به سورة الجمعة **يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴿١﴾ [الجمعة ١] فعلى المسلم أن يكون ذاكراً لله في كل أوقاته وأحيانه، وهذا ما ختمت به السورة أيضاً حيث قال سبحانه مؤكداً ضرورة الذكر بالأمر به **وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** [الجمعة ١٠]، فكثر ذكره سبحانه سبب الفلاح في الدنيا والآخرة، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((مثل المؤمن الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت))^(١) إن ذكر الله تعالى أمرٌ منه سبحانه، ووصية من رسوله صلى الله عليه وسلم، فعن عبدالله بن بسر أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: ((لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله))^(٢) فعلى المسلم الإكثار من ذكر الله قياماً وعوداً ومضطجعاً، يكثر من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار ونحو ذلك، وهذا ما بدأت به سورة الجمعة وانتهت.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، ح ٦٤٠٧، ٨/٨٦

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر، ح ٣٣٧٥، ٥/٤٥٧، قال الألباني: حديث صحيح.

الفصل الثالث: سورة المنافقون، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بين يدي السورة.

المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة.

المبحث الثالث: مقاصد سورة المنافقون وتوجيهاتها.

المبحث الأول: بين يدي السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها.

ثانياً: سبب نزولها.

المطلب الثاني: أولاً: موضوعها.

ثانياً: فضلها.

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها.

المطلب الأول

أولاً: اسمها وترتيبها:

سميت هذه السورة في كتب السنة وكتب التفسير "سورة المنافقين" اعتباراً بذكر أحوالهم وصفاتهم فيها، ووقع هذا الاسم في حديث زيد بن أرقم عند الترمذي ((.....فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين)) ووقع في صحيح البخاري وبعض كتب التفسير تسميتها "سورة المنافقون" على حكاية اللفظ الواقع في أولها، وكذلك ثبت في كثير من المصاحف الغربية والشرقية، وهي سورة مدنية بالاتفاق، واتفق العادون على عدّ آياتها إحدى عشرة آية، وقد عدت الثانية بعد المائة في عداد نزول السور عند جابر بن زيد، نزلت بعد سورة الحج وقبل سورة المجادلة^(١) وكلماتها مائة وثمانون، وحروفها سبعمائة وست وسبعون^(٢) وهي السورة الثالثة والستون في ترتيب المصحف، بعد سورة الجمعة وقبل سورة التغابن.

ثانياً: سبب نزولها:

الصحيح أنها نزلت في غزوة بني المصطلق، ووقع في "جامع الترمذي" عن محمد بن كعب القرظي أنها نزلت في غزوة تبوك، ووقع فيه أيضاً عن سفيان: أن ذلك في غزوة بني المصطلق، وغزوة بني المصطلق سنة خمس وغزوة تبوك سنة تسع، ورجّح أهل المغازي وابن العربي^(٣) في "العارضة" وابن كثير: أنها نزلت في غزوة بني المصطلق وهو الأظهر، وكان أمرهم كل يوم في ضعف، وكانت غزوة تبوك في آخر سني النبوة وقد ضعف أمر المنافقين^(٤) فعن يزيد بن أرقم قال: غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان معنا ناس من الأعراب، وكنا نبتدر الماء وكان الأعراب يسبقونا، فيسبق الأعرابي أصحابه فيملاً الحوض ويجعل حوله الحجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه، فأتى رجل من الأنصار فأرعى زمام ناقته لتشرب، فأبى أن يدعه الأعرابي فانتزع حجراً

(١) يُنظر: التحرير والتنوير ٢٨/٢٣١، وحديث زيد بن أرقم أخرجه الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة

المنافقين، ح ٣٣١٣، ٥/٤١٥، وأخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة المنافقين، ح ٣٨١٢،

٢/٥٣١، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي رقم ٣٣١٣.

(٢) يُنظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/٤٦٥

(٣) سبق ترجمته ص ٣٥

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير ٢٨/٢٣١-٢٣٢

ففاض الماء، فرفع الأعرابي خشبة فضرب بها رأس الأنصاري فشجّه، فأتى الأنصاري عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره وكان من أصحابه، فغضب عبد الله بن أبي ثم قال: لا تتفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعني الأعراب، ثم قال لأصحابه: إذا رجعت إلى المدينة فليخرج الأعزُّ منها الأذلّ، قال زيد بن أرقم: وأنا ردف عمي فسمعت عبد الله فأخبرت عمي، فانطلق فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد واعتذر فصدّقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني، فجاء إليّ عمي فقال: ما أردت إلا أن مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك المسلمون، فوقع عليّ من الغمّ ما لم يقع على أحد قطّ، فبينما أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاني فعرك أذني وضحك في وجهي، فما كان يسرّني أن لي بها الدنيا، فلمّا أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين {إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ} حتى بلغ {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا} حتى بلغ {لِيُخْرِجَ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذْلَ} ^(١).

(١) يُنظر: أسباب نزول القرآن ص ٤٣٠-٤٣١، والحديث سبق تخريجه ص ١٧٤

المطلب الثاني

أولاً: موضوعها:

موضوع هذه السورة كسائر السور المدنية، هو الحديث عن التشريعات والأحكام، وما تمخض عنه مجتمع المدينة بعد الهجرة من بروز ظاهرة النفاق، حيث ابتدأت السورة بإيراد صفات المنافقين التي من أهمها: الكذب في ادّعاء الإيمان، وحلف الإيمان الفاجرة الكاذبة، وجبنهم وضعفهم وتآمرهم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين، وصدّهم الناس عن دين الله، ثم ذكرت موقفهم المخزي والمستعلي وهو ادّعاؤهم العزة وزعمهم بأنهم بعد العودة من غزوة بني المصطلق سيُخرجون النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة، وختمت السورة بحث المؤمنين على التضامن والطاعة وعبادة الله وإنفاق الأموال في سبيل الله لمواجهة الأعداء في الداخل والخارج قبل انقضاء الأجل أو فوات الأوان فإن الأجل لا يتأخر لحظة.^(١)

يقول سيد قطب رحمه الله عن موضوع السورة: "هذه السورة التي تحمل هذا الاسم الخاص (المنافقون) الدالّ على موضوعها، ليست السورة الوحيدة التي فيها ذكر النفاق والمنافقين ووصف أحوالهم ومكائدهم، فلا تكاد تخلو سورة مدنيّة من ذكر المنافقين تلميحاً أو تصريحاً، ولكن هذه السورة تكاد تكون مقصورة على الحديث عن المنافقين والإشارة إلى بعض الحوادث والأقوال التي وقعت منهم ورويت عنهم، وهي تتضمن حملة عنيفة على أخلاق المنافقين وأكاذيبهم وفسادهم ومناوراتهم وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين، ومن اللؤم والجبن وانطماس البصائر والقلوب".^(٢)

ثانياً: فضلها:

١- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في الركعة الثانية من صلاة الجمعة^(٣) فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ((كان يقرأ في صلاة

(١) يُنظر: التفسير المنير ٢٨/٢١٣

(٢) يُنظر: في ظلال القرآن ٦/٣٥٧٢

(٣) يُنظر: موسوعة فضائل سور وآيات القرآن ٢/١٨٥

الفجر يوم الجمعة ألم تنزيل السجدة، وهل أتى على الإنسان حين من الدهر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين)).^(١)

٢- أنها من السور المفصل التي أوتيها النبي صلى الله عليه وسلم نافلة ففُضِّل بها على سائر الأنبياء^(٢) فعن واثلة بن الأسقع^(٣) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أُعْطِيت مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المثني، ومكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلْتُ بالمفَصَّل)).^(٤)

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها:

تبدو صلة هذه السورة بما قبلها أشبه بعقد مقارنة وإجراء تقابل بين المؤمنين والمنافقين، ففي سورة الجمعة ذُكر المؤمنون، وفي هذه السورة ذُكر أصدادهم وهم المنافقون، كما أن سورة الجمعة مشتملة على ذكر مَنْ يكذب ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم قلباً ولساناً وهم اليهود، وتذكر هذه السورة مَنْ يكذبه قلباً دون اللسان، ويصدِّقه لساناً دون القلب وهم المنافقون.^(٥)

(١) سبق تخريجه ص ١٥١

(٢) يُنظر: موسوعة فضائل سور وآيات القرآن ١٣١/٢ ، ١٨٣

(٣) سبق ترجمته ص ١٦

(٤) سبق تخريجه ص ١٦

(٥) يُنظر: التفسير المنير ٢١٢/٢٨

المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: خصال المنافقين والردّ عليهم، الآيات (١-٨).

المطلب الثاني: توجيهات للمؤمنين، الآيات (٩-١١).

المطلب الأول

خصال المنافقين والرد عليهم، الآيات (١-٨)

{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ^ق وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ
وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنِ
سَبِيلِ اللَّهِ ^ج إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا
فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ^ط وَإِنْ
يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ^ط كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ ^ط يَحْسَبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ ^ج هُمُ
الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ^ج قَتَلَهُمُ اللَّهُ ^ط أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ
لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ^ج إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ
اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ^ق وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا
يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا ^ط الْأَعْزُ مِنْهَا ^ج الْأَذَلَّ
وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ }

التفسير الإجمالي للآيات:

لَمَّا نَهَى سبحانه في الممتحنة عن اتخاذ عدوه ولياً، وذم في الصف على المخالفة بين
القول والفعل، وحذر في آخر الجمعة من الإعراض عن حال من أحوال النبي صلى الله
عليه وسلم ولو مع الوفاق، لأن صورة ذلك كله صورة النفاق، قبح في أول هذه حال من

أقبل عليه حال النفاق^(١) فقال: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ

اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ} إذا

جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله: أي إذا قدم المنافقون إليك يا رسول الله مثل عبد الله بن أبيّ وصحبه، وحضروا مجلسك، أظهروا لك الإسلام، وقالوا: نشهد أنك لرسول الله شهادة تتطابق فيها القلوب مع الألسنة، والله يعلم أن الأمر كما قالوا، وأنت رسول الله إلى الناس كافة، والله يشهد إنهم لكاذبون في قولهم: نشهد، وفيما أخبروا عنه وهو الشهادة بالرسالة التي هي حق، لأنهم لم يكونوا يعتقدون صدق وصحة ما يقولون، ولا تطابق بين ما عليه قلوبهم مع ما أعلنته ألسنتهم، ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم، وأن شهادتهم لم تكن شهادة في الحقيقة، فهم كاذبون في تسمية شهادة، وقولهم: نشهد أنك لرسول الله فيه تأكيد شهادتهم، للإشعار بأنها صادرة من صميم قلوبهم، مع صدق اعتقادهم، ومعنى نشهد نعلم ونحلف، وقوله: والله يعلم أنك لرسوله جملة اعتراضية مخبرة أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي تصديق من الله عز وجل لما تضمنه كلامهم من الشهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة، لئلا يتوهم كون التكذيب الآتي بعدئذ موجهاً إلى ذلك، وقوله: والله يشهد إن المنافقين لكاذبون يراد به تكذيب دعواهم أن شهادتهم للنبي صلى الله عليه وسلم هي من صميم القلب.^(٢) واستدلّ به أبو حنيفة رحمه الله على أن: أشهد بالله يمين وإن لم ينو معه، لأنه تعالى أخبر عن المنافقين أنهم قالوه ثم أسماه أيماناً.^(٣) ثم بيّن سبحانه حقيقة كذبهم في أيمانهم وتسترهم وراءها فقال: {اتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

اتخذوا أيمانهم جنة أي: جعلوا حلفهم الذي حلفوا لكم به إنهم لمنكم وإن محمداً لرسول الله وقاية تقيهم منكم وسترة يستترون بها من القتل والأسر...، فصدّوا عن سبيل الله أي: منعوا الناس عن الإيمان والجهاد وأعمال الطاعة بسبب ما يصدر منهم من التشكيك والقدح في

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٧٤/٢٠

(٢) يُنظر: التفسير المنير ٢١٦-٢١٥/٢٨

(٣) يُنظر: الإكليل في استنباط التنزيل ص ٢٦٤

النبوة..، إنهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والصدّ. ^(١) والآية دليل على ارتكابهم جرمين كبيرين: الحلف بالأيمان الكاذبة، والصد عن الدخول في الإسلام والجهاد في سبيل الله، مما استوجب وصف أفعالهم بالقبح. ^(٢)

ولما كانت المعاصي تعمي القلب فكيف بأعظمها؟ علّله ^(٣) بقوله: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} أي ذلك المذكور من الكذب والصد وقبح الأعمال بسبب أنهم آمنوا نفاقاً، ثم كفروا في الحقيقة والباطن، فختم على قلوبهم بسبب كفرهم، فلا يدخلها إيمان، ولا تهتدي إلى حق، ولا ينفذ إليها خير، فأصبحوا لا يفهمون ما فيه رشدهم وصلاحهم، ولا يعون ولا يدركون الأدلة الدالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم والرسالة. ^(٤)

ولما وصف سبحانه بواطنهم بما زهد فيهم لأن الإنسان بعقله كما أن المأكول بشكله، وكانت لهم أشكال تغرّ ناظرها لأن العرب كانت تقول: جمال المنظر غالباً يدل على حسن المخبر ^(٥) فقال: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ} وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهم خُشْبٌ مِّنْ شَجَرَةٍ مَّسْنُونَةٍ كَلَّ صَوْتُهُمْ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم أي: هيئاتهم

ومناظرهم، يعني أن لهم أجساماً تعجب من يراها لما فيها من النضارة والرونق، وإن يقولوا تسمع لقولهم فتحسب أن قولهم حق وصدق لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم، وقد كان عبد الله ابن أبي رأس المنافقين فصيحاً جسيماً جميلاً، وكان يحضر مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فإذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم مقالته..، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: لكل من يصلح له..، (كأنهم خشب مسندة) شبّهوا في جلوسهم في مجالس

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٧٥/٥

(٢) يُنظر: التفسير المنير ٢١٦/٢٨

(٣) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٧٨/٢٠

(٤) يُنظر: التفسير المنير ٢١٦/٢٨-٢١٧

(٥) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٧٩/٢٠

رسول الله صلى الله عليه وسلم مستنديين بها بالخشب المنصوبة المسندة إلى الحائط التي لا تفهم ولا تعلم، وهم كذلك لخلوهم عن الفهم النافع والعلم الذي ينتفه به صاحبه.. ثم عابهم الله سبحانه بالجبن فقال: (تَحْسَبُونَ كُلَّ صِحْحَةٍ عَلَيْهِمْ) أي يحسبون كل صيحة يسمعونها واقعة عليهم نازلة بهم لفرط جبنهم ورعب قلوبهم، ثم أمر سبحانه رسوله أن يأخذ حذره منهم فقال: (هم العدو فاحذرهم) أن يتمكنوا من فرصة منك أو يطلّوا على شيء من أسرارك لأنهم عيون لأعدائك من الكفار، ثم دعا عليهم بقوله: (قَتَلَهُمُ اللَّهُ^ط أَنِّي يُؤْفِكُونَ) أي: لعنهم الله..، وهو طلب من الله سبحانه طلبه من ذاته عز وجل أن يلعنهم ويخزيهم، أو هو تعليم للمؤمنين أن يقولوا ذلك.^(١)

وبعد أن وصف كذبهم ونفاقهم وجبنهم، وصف تماديهم وإعراضهم عن فرصة استغفار رسول الله لهم، فقال سبحانه: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله أي: وإذا قيل للمنافقين بقيادة عبد الله بن أبي: أقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب لكم المغفرة من الله، أعرضوا استكبارا واستهزاء بذلك ورغبة عن الاستغفار، ورأيتهم يعرضون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم مستكبرون عن الإتيان إليه وطلب الاستغفار منه، فهم أكبر من ذلك في زعمهم.^(٢) ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحبّ صلاحهم فهو يحبّ أن يستغفر لهم، وربما ندبه إلى ذلك بعض أقاربهم فكان استغفاره بحيث يسأل عنه، قال منبهاً على أنهم ليسوا بأهل للاستغفار لأنهم لا يؤمنون^(٣) {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ^ع إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٧٥/٥-٢٧٦

(٢) يُنظر: التفسير المنير ٢٢٤/٢٨

(٣) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٨٤/٢٠-٨٥

تستغفر لهم أي: الاستغفار وعدمه سواء، لا ينفعهم ذلك لإصرارهم على النفاق واستمرارهم على الكفر.. لن يغفر الله لهم ما داموا على النفاق، إن الله لا يهدي القوم الفاسقين الكاملين في الخروج عن الطاعة والانهماك في معاصي الله، ويدخل فيهم المنافقون دخولاً أولياً.^(١) ولما كان هذا داعياً إلى السؤال عن الأمر الذي فسقوا به قال مبيناً له: ^(٢) {هُمُ

الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا^ق وَلِلَّهِ

خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ^ق} يقولون لا تنفقوا

على من عند رسول الله حتى ينفضوا: أي ينفقوا عنه، يعنون بذلك فقراء المهاجرين (وقد تم بيان ذلك في سبب نزول السورة)، ثم أخبر سبحانه بسعة ملكه فقال: {وَلِلَّهِ خَزَائِنُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^ق} أي: إنه هو الرزاق لهؤلاء المهاجرين لأن خزائن الرزق له فيعطي

من يشاء ما شاء، ويمنع من شاء ما شاء ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك ولا يعلمون أن خزائن الأرزاق بيد الله عز وجل، وأنه الباسط القابض المعطي المانع.^(٣) ومما يدل على أنهم لا يفقهون ولا يعلمون هو ادّعاؤهم العزة لأنفسهم والمذلة للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال سبحانه: {يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا^ق الْأَعْزُ

مِنَهَا^ق الْأَذَلَّ^ق وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ^ق وَلِلْمُؤْمِنِينَ^ق وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا

يَعْلَمُونَ^ق} القائل لهذه المقولة هو عبد الله بن أبي رأس المنافقين، وعنى بالأعز

نفسه ومن معه، وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه، ومراده بالرجوع رجوعهم من تلك الغزوة (غزوة بني المصطلق كما تم بيان ذلك في سبب نزول السورة) وإنما أسند القول إلى المنافقين مع كون القائل هو فرد من أفرادهم وهو عبد الله بن أبي لكونه كان رئيسهم وصاحب أمرهم وهم راضون بما يقوله سامعون له مطيعون، ثم يرد الله

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٧٦/٥

(٢) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٨٦/٢٠

(٣) يُنظر: فتح القدير ٢٧٧/٥

سبحانه على قائل هذه المقالة {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} أي القوة والغلبة لله وحده ولمن أفاضها عليه من رسله وصالحى عبادہ لا غيرهم {وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} لا يعلمون بما فيه النفع فيفعلونه وبما فيه الضرر فيجتنبونه، بل هم كالأنعام لفرط جهلهم ومزید حيرتهم والطبع على قلوبهم. (١)

ومن المتشابهات: قوله تعالى في الآية المتقدمة: {وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ} وفي هذه الآية {وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} لأن الأول متصل بقوله: {وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} وفي معرفتها غموض يحتاج إلى فطنة والمنافق لا فطنة له، والثاني متصل بقوله: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} أي لا يعلمون أن الله معز لأوليائه ومذل لأعدائه. (٢)

يقول سيد قطب رحمه الله: "ويضم الله سبحانه رسوله والمؤمنين إلى جانبه، ويضفي عليهم من عزته، وهو تكريم هائل لا يكرمه إلا الله! وأي تكريم بعد أن يوقف الله سبحانه رسوله والمؤمنين معه إلى جواره ويقول: ها نحن أولاء! هذا لواء الأعداء، وهذا هو الصف العزيز! وصدق الله فجعل العزة صنو الإيمان في القلب المؤمن، العزة المستمدة من عزته تعالى، العزة التي لا تهون ولا تهن، ولا تتحني ولا تلين، ولا تزايل القلب المؤمن في أخرج اللحظات إلا أن يتضعضع فيه الإيمان، فإذا استقر الإيمان ورسخ فالعزة معه مستقرة راسخة.. ولكن المنافقين لا يعلمون". (٣)

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٧٧/٥

(٢) يُنظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤٦٥/١

(٣) يُنظر: في ظلال القرآن ٣٥٨٠/٦

المطلب الثاني

توجيهات للمؤمنين، الآيات (٩-١١)

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾}

التفسير الإجمالي للآيات:

بعد بيان خصال المنافقين ودمهم وتوبيخهم عليها، حذر المؤمنين من أخلاق المنافقين فقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾} يا أيها الذين آمنوا، لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله: أي يا أيها المؤمنون المصدقون بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لا تشغلكم الأموال وتديرها والأولاد والعناية بشؤونها عن القيام بذكر الله تعالى من قراءة القرآن والتسبيح والتحميد والتهليل وأداء فرائض الإسلام وحقوق الله تعالى، ثم حذر من المخالفة وتوعد اللاهين بالدنيا، فقال: (ومن يفعل ذلك، فأولئك هم الخاسرون) أي ومن يله بالدنيا ومتاعها وزخارفها وزينتها، وينصرف عن الدين وطاعة ربه وذكره، فإنه من الخاسرين، الكاملين في الخسران، الذين يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، لأنه باع خالداً باقياً بفان زائل. ^(١) قال القشيري في هذه الآية: "لا تضيعوا أمور دينكم بسبب أموالكم وأولادكم، بل آثروا حق الله واشتغلوا به يكفكم أمور دنياكم وأولادكم، فإذا كنت لله كان الله لك، ويقال: حق الله مما ألزمك القيام به، وحقك

(١) يُنظر: التفسير المنير ٢٢٩/٢٨

ضمن لك القيام به فاشتغل بما كُلفت لا بما كُفيت".^(١) وبعد أن حذرهم من الغفلة عن ذكره سبحانه، أمرهم بالإنفاق في وجوه الخير قبل فوات الأوان فقال: {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ} {١} وأنفقوا بعض ما رزقناكم في سبيل الخير، شكراً على النعمة، ورحمة بالفقراء، ورعاية لمصلحة الأمة العامة، من قبل مجيء أسباب الموت ومشاهدة علاماته، فيقول الواحد منكم: هلا أمهلتنى وأخرت موتي إلى مدة أخرى قصيرة، فأتصدق بمالي، وأكن من الصالحين المستقيمين.

وهذا يدل على أن كل مفرط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة، ولو شيئاً يسيراً ليستدرك ما فاتته، ولكن فات الأوان^(٢) قال الضحاك: "لا ينزل بأحد الموت ولم يحج ولم يؤد زكاة، إلا سأل الرجعة، وقرأ هذه الآية".^(٣) ثم زاد في الحث على المبادرة بالطاعات قبل الفوات بقوله مؤكداً لأجل عظيم الرجاء من هذا المحتضر للتأخير عطفاً على ما تقديره: فلا يؤخره الله فيفوته ما أراد^(٤) قال: {وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا^ج وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} {١١} ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها أي: إذا حضر أجلها وانقضى عمرها، والله خبير بما تعملون لا يخفى عليه شيء منه فهو مجازيكم بأعمالكم.^(٥) وفي الآية دليل لمن قال إن العمر لا يزيد ولا ينقص".^(٦)

كما نلاحظ أن سورة المنافقون ابتدئت بذكر صفات المنافقين وفضح أخلاقهم، وخُتمت بتحذير المؤمنين من هذه الأخلاق، وعدم الغفلة عن ذكره سبحانه وبذل المال في سبيله.

(١) يُنظر: لطائف الإشارات ٥٩١/٢

(٢) يُنظر: التفسير المنير ٢٨/٢٢٩-٢٣٠

(٣) يُنظر: فتح القدير ٢٧٨/٥-٢٧٩

(٤) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٩٧/٢٠

(٥) يُنظر: فتح القدير ٢٧٩/٥

(٦) يُنظر: الإكليل في استنباط التنزيل ص ٢٦٤

المبحث الثالث: مقاصد سورة المنافقون وتوجيهاتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فضح صفات المنافقين.

المطلب الثاني: تحذير المؤمنين من صفات المنافقين.

المطلب الأول

فضح صفات المنافقين

هو المقصد الأساسي في هذه السورة، كما أنه سبب نزولها ومحور حديثها، حيث ذكر الله سماتهم وصفاتهم توبيخاً لهم وتقريعاً، وفضحهم في الدنيا قبل الآخرة، وأبرز صفات المنافقين في هذه السورة:

١- الكذب: هي صفة متأصلة فيهم لا ينفكون عنها، يبتغون غير ما يظهرون، وكل قول يقوله الإنسان مخالفاً فيه اعتقاده فهو من الكذب وإن كان القول صحيحاً، فالمنافقون قالوا بالسنتهم أنه رسول الله واعتقادهم خلاف ذلك فسامهم الله كاذبون {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ

الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ} [المنافقون ١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان))^(١) هذا فضلاً عن حلفهم كذباً {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ

اللَّهِ} [المنافقون ٢]، وقد سماها رسول الله يميناً غموساً لأنها تغمس صاحبها في النار، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الكبائر: الشرك بالله وعقوق الوالدين واليمين الغموس)).^(٢)

٢- اهتمامهم بمظاهرتهم وتحسين أقوالهم لكن قلوبهم خاوية، بلا علم ولا فهم {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ^ط وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ^ط كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مِّنْ سِنْدَةٍ} [المنافقون ٤]، فهم اهتموا بمظاهرتهم وتركوا بواطنهم، والعبرة ليست بجمال المظهر بل بصدق المخبر، وليست بفصاحة اللسان بل بالاعتقاد بالجنان، عن أبي هريرة رضي

(١) سبق تخريجه ص ١٤٥

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب اليمين الغموس، ح ٦٦٧٥، ٨/١٣٧

الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)).^(١)

٣- من أبرز صفاتهم الجبن: لعلمهم بسوء طويبتهم وخيانة قلوبهم وسوء اعتقادهم، فأَيّ نداء ظنوا أنهم هم المقصودون به {تَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ} هُمُ الْعَدُوُّ فَأَحْذَرَهُمْ {المنافقون ٤}، وكل هذا لأنهم في غاية الضعف والهلع، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

٤- من صفاتهم الإعراض والاستكبار عن التوبة والاستغفار: وكل هذا استهزاء منهم وكفراً {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} {المنافقون ٥}، ومع إصرارهم على هذا الصدّ والكفر فلن يغفر الله لهم {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} {المنافقون ٦}، شتان بينهم وبين المؤمنين، لأن المؤمن إذا أذنب ذنباً تاب واستغفر على الفور لعلمه أن له رباً يتوب على من تاب، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه)) فقال به هكذا، قال أبو شهاب: بيده فوق أنفه.^(٢)

٥- من صفاتهم الاستهزاء والقبح في النبيّ صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، فقد وصفوهم بالأذلاء ووصفوا أنفسهم بالأعزّاء، وقد قال ابن أبيّ هذه المقولة الخبيثة لإثارة الفتن وبتّ سموم الخلاف والصدّ عن سبيل الله، وهذا ديدن المنافقين في كل زمن قاتلهم الله أنى يؤفكون، ولم يعلموا هؤلاء أن العزة الحقّة لله سبحانه ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين الذين اتبعوا الشرع كما ينبغي فأمدهم الله بالعزة {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ}

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} {المنافقون ٨}.

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، ح ٢٥٦٤، ١٩٨٧/٤

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، ح ٦٣٠٨، ٦٧/٨

المطلب الثاني

تحذير المؤمنين من صفات المنافقين

بعد أن فضح الله صفات المنافقين في هذه السورة، حذّر المؤمنين من الوقوع في مثل هذه الصفات التي لا تليق بمسلم يؤمن بالله ورسوله حقاً أن يقع فيها، بل إن الله أمر رسوله بالحدز منهم فقال: {هُمُّ أَلْعَدُوُّ فَأَحْذَرَهُمْ} [المنافقون: ٤]، لأن أعدى الأعداء هم الذين يندسّون في الصفوف على أنهم مسلمون وهم في الحقيقة منافقون عيونٌ لأعداء الأمة، فوجب الحدز منهم وأخذ الحيطة واليقظة من مؤامراتهم.

إن آيات هذه السورة اهتمت بتحذير المؤمنين من أخلاق المنافقين، حيث حذرت من الغفلة عن ذكر الله، والانشغال بالمال والأولاد عن ذلك، وهذه صفة المنافقين الذين لا يذكرون الله إلا قليلاً {يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ

ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون: ٩] والمؤمن

دائم الذكر والطاعة لربه، والمنافق لا يذكر ربه وإن ذكره فإنه يذكره رياءً ونفاقاً، المؤمن حيّ القلب والمنافق ميّت القلب، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت)).^(١)

كما ختم سبحانه السورة بتحذير المؤمنين من ترك الإنفاق في وجوه الخير حتى لا يندموا في ساعة الأجل وحينها لا ينفع الندم، فالمنافقون قالوا: لا تتفقوا على من عند رسول الله، أما المؤمن ينفق من ماله سواء كان زكاة مفروضة أو صدقة تطوع، فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((اتقوا النار ولو بشقّ تمرّة)).^(٢)

(١) سبق تخريجه ص ١٧٠

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشقّ تمرّة والقليل من الصدقة، ح ١٤١٧، ١٠٩/٢

الباب الثالث: السور الثلاث الأخيرة من الجزء الثامن والعشرين، وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: سورة التغابن، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بين يدي السورة.

المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة.

المبحث الثالث: مقاصد سورة التغابن وتوجيهاتها.

المبحث الأول: بين يدي السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها.

ثانياً: فضلها.

المطلب الثاني: أولاً: موضوعها.

مناسبتها لما قبلها.

المطلب الأول

أولاً: اسمها وترتيبها:

سميت هذه السورة "سورة التغابن" ولا تُعرف بغير هذا الاسم، ولم ترد تسميتها بذلك في خبر ماثور عن النبي صلى الله عليه وسلم سوى ما ذكره ابن عطية عن الثعلبي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من مولود إلا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن)) ووجه التسمية وقوع لفظ التغابن فيها ولم يقع في غيرها من القرآن.^(١)

سورة التغابن مدنية في قول الأكثرين، وقال الضحاك: مكية، وقال الكلبي: هي مكية ومدنية، وهي ثماني عشرة آية، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن سورة التغابن نزلت بمكة إلا آيات من آخرها نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي^(٢) شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفاء أهله وولده فأُنزل الله عز وجل {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} إلى آخر السورة.^(٣)

وهي معدودة السابعة والمائة في ترتيب نزول القرآن، نزلت بعد سورة الجمعة وقبل سورة الصف، بناءً على أنها مدنية^(٤) كلماتها مائتان وإحدى وأربعون، وحروفها ألف وسبعون^(٥) وهي السورة الرابعة والستون في ترتيب المصحف، قبل سورة الطلاق وبعد سورة المنافقون.

(١) يُنظر: التحرير والتنوير ٢٨/٢٥٨، والحديث أورده ابن كثير في تفسيره ٨/١٣٥، والقرطبي في تفسيره ١٨/١٣١، وابن عطية ٥/٣١٧، وأورده ابن حبان في المجروحين رقم ١١٤٠، ٣/٨١، وفيه الوليد بن الوليد يروي عن ابن ثوبان وثابت بن يزيد العجائب ولا يجوز الاحتجاج به.

(٢) عوف بن مالك الأشجعي الغطفاني، صحابي جليل، له جماعة أحاديث، وكان من نبلاء الصحابة، شهد فتح مكة وكانت راية أشجع معه، وشهد غزوة مؤتة، قال الواقدي: مات عوف سنة ثلاث وسبعين. يُنظر: سير أعلام النبلاء ٢/٤٨٧-٤٨٨ (بتصرف)

(٣) يُنظر: تفسير القرطبي ٨/١٣١

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير ٢٨/٢٥٨

(٥) يُنظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/٤٦٧

ثانياً: فضلها:

١- أنها من السور التي كان يقرأها النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يرقد، فعن العرياض بن سارية^(١) رضي الله عنه أنه حدثه النبي صلى الله عليه وسلم: ((كان يقرأ المسبّحات قبل أن يرقد ويقول: إن فيهن آية خير من ألف آية)).^(٢) والمسبّحات هي: الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن.^(٣)

٢- أنها من السور المفصّل التي أوتيتها النبي صلى الله عليه وسلم نافلة ففُضّل بها على سائر الأنبياء^(٤) فعن واثلة بن الأسقع^(٥) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أُعطي مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المئين، ومكان الإنجيل المثاني، وفُضّلت بالمفصّل)).^(٦)

(١) سبق ترجمته ص ٦٢

(٢) سبق تخريجه ص ٦٢

(٣) يُنظر: تفسير القرطبي ٢٣٥/١٧

(٤) يُنظر: موسوعة فضائل سور وآيات القرآن ١٣٤/٢ ، ١٨٧

(٥) سبق ترجمته ص ١٦

(٦) سبق تخريجه ص ١٦

المطلب الثاني

أولاً: موضوعها:

سورة التغابن من السور المدنية التي عنيت خلافاً للمعتاد بأمر متعلقة بالعقائد، فابتدأت ببيان بعض صفات الله الحسنى المتصلة بجلال الله وقدرته وعلمه، وخلق الإنسان الذي يؤول أمره إلى أحد قسمين: مؤمن وكافر، ثم أُنذرت الكفار بما حلّ بالأُمم الماضية التي كذّبت الرسل بسبب بشريّتهم، وإنكارهم البعث، والرد عليهم بقسم الله بوقوعه وأنه حق، وبجزائه على الأعمال، ودعت بعدئذٍ إلى الإيمان بالله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن والنور الذي أنزله على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، وهددت بما يلقاه الناس يوم القيامة، يوم يغبن فيه الكافر بتركه الإيمان، ويغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان، ويدخل المؤمنون الذين يعملون الصالحات الجنان، ويدخل الكافرون النيران، وفي ذلك أمر بالطاعة وتحذير من المعصية، ثم أبانت أن كل ما يحدث في الكون بإرادة الله ومشيتته، وأكّدت الأمر بطاعة الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم، والتوكل على الله وحده، فإن أعرضوا فلا يضير رسول الله صلى الله عليه وسلم بقاءهم على الكفر، ثم حدّرت من عداوة بعض الزواج والأولاد الذين يمنعون الإنسان أحياناً على الجهاد، وأوصت بالعفو والصفح عن المسيء، وأخبرت بأن الأموال والأولاد فتنة واختبار، وختمت السورة بالأمر بالتقوى والإنفاق في سبيل الله لإعلاء دينه، وحدّرت من الشحّ والبخل وأبانت مضاعفة الثواب للمحسنين المنفقين من أجل إعلاء كلمة الله تعالى.^(١)

ثانياً: مناسبتها لما قبلها:

تتضح مناسبة هذه السورة لما قبلها من وجوه ثلاثة:

- ١- في السورة السابقة (المنافقون) ذكر الله أوصاف المنافقين وحذر المؤمنين من أوصاف المنافقين، وهنا حدّر تعالى من صفات الكافرين {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِيْنَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ...} وقسم الناس في الجملة إلى قسمين: مؤمن وكافر، وبشّر المؤمن بالجنة والكافر بالنار.

(١) يُنظر: التفسير المنير ٢٨/٢٣٤

٢- نهى الله تعالى في السورة المتقدمة عن الاشتغال بالأموال والأولاد عن ذكر الله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} وفي هذه السورة ذكر أن الأموال والأولاد فتنة، وهذا كالتعليل لما سبق.

٣- أمر الله في آخر سورة المنافقون السالفة بالإنفاق في سبيل الله {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ} كذلك أمر بالإنفاق في أواخر هذه السورة {وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ} كما أن سورة التغابن تدل على أنه يغبن الناس في يوم القيامة بعضهم بعضاً بترك الإيمان والعمل الصالح والإنفاق في سبيل الله.^(١)

(١) يُنظر: التفسير المنير ٢٨/٢٣٣

المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: من مظاهر قدرة الله وعلمه، ثم تذكير بقصة قوم كفروا بربهم، وإنكار المشركين للبعث وعقابهم، الآيات (١-١٣).

المطلب الثاني: توجيهات للمؤمنين، الآيات (١٤-١٨).

المطلب الأول

من مظاهر قدرة الله وعلمه، ثم تذكير بقصة قوم كفروا بربهم، وإنكار المشركين للبعث

وعقابهم، الآيات (١-١٣)

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ۖ وَاسْتَغْنَى اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبُّونَ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۚ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۚ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا

عَلَى رَسُولِنَا أَلْبَلُغُ الْمُبِينِ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

التفسير الإجمالي للآيات:

لما ختمت سورة المنافقون بإثبات القهر بنفوذ الأمر وإحاطة العلم، افتتح هذه بإحاطة الحمد ودوام التنزه عن كل شائبة نقص إرشاداً إلى النظر في أفعاله والتفكر في مصنوعاته لأنه الطريق إلى معرفته^(١) فقال: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١﴾} أي ينزه الله عن كل نقص وعيب، ويمجده، ويدل عليه جميع مخلوقاته التي في سماواته وأرضه، فهو بارئها ومالكها، له الملك وحده دون غيره، لأنه الخالق المصور المتصرف في جميع الكائنات، وله الحمد والشكر وحده، لأنه المستحق لذلك، وهو المحمود على جميع ما يخلقه ويقدره^(٢)، قال الزمخشري في قوله تعالى: {لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ} "قدم الظرفان ليدل على معنى اختصاص الملك والحمد لله عز وجل، وذلك لأن الملك على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه، وكذلك الحمد لأن أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء، وحده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يديه"^(٣) وهو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، "فهي القدرة المطلقة التي لا تتقيّد بقيد وهي حقيقة يطبعها القرآن في القلب المؤمن فيعرفها ويتأثر بمدلولها، ويعلم أنه حين يركن إلى ربه فإنه يركن إلى قدرة تفعل ما تشاء وتحقق ما تريد بلا حدود ولا قيود"^(٤) وبعد التسبيح والتنزيه "أنبأ تعالى عن الخلق بجملتهم وإن تشعبت الفرق وافترقت الطرق راجعون بحكم

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسورة ٩٩/٢٠

(٢) يُنظر: التفسير المنير ٢٣٦/٢٨

(٣) يُنظر: الكشف ٥٤٥/٤

(٤) يُنظر: في ظلال القرآن ٣٥٨٤/٦

السوابق إلى طريقين^(١) فقال: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ^ج

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٨١﴾} قال الزجاج: "إن الله خلق الكافر وكفره فعل له وكسب مع أن الله خالق الكفر، وخلق المؤمن وإيمانه فعل له وكسب مع أن الله خالق الإيمان، والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله إياه لأن الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه، لأن وجود خلاف المقدور عجز ووجود خلاف المعلوم جهل، ولا يليقان بالله تعالى^(٢) وهذا أفضل الأقوال وأحسنها، وقد قال عنه القرطبي: "وهذا أحسن الأقوال وهو الذي عليه جمهور الأمة"^(٣) وقدّم الكافر على المؤمن لأنه الأغلب عند نزول القرآن، والله بما تعملون بصير لا تخفى عليه من ذلك خافية فهو مجازيكم بأعمالكم، ثم لما ذكر سبحانه خلق العالم الصغير أتبعه بخلق العالم الكبير^(٤) فقال سبحانه: {خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ^ط وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٢﴾} خلق السماوات والأرض أي: أوجد السموات والأرض بالعدل والحكمة البالغة المحققة لنفع العالم في الدين والدنيا، وخلقكم أيها البشر في أكمل صورة، وأحسن تقويم، وأجمل شكل...، وإليه المصير، إليه في عالم الآخرة المرجع والمآب، فيجازي كل نفس بما كسبت.^(٥) ومن جميل ما قاله سيد قطب رحمه الله عن الآيات الثلاث الأولى من هذه السورة: "وإن آيات ثلاثاً كهذه لكافية وحدها ليعيش بها الإنسان مدركاً لحقيقة وجوده ووجود الكون كله وصلته بخالقه، وأدبه مع ربه وخشيته وتقواه في كل حركة وكل اتجاه".^(٦)

ولما تقرر بما مضى إحاطة قدرته بما دلّ على ذلك إبداعه للخلق على هذا الوجه المحكم، وشهد البرهان القاطع بأن ذلك صنعه وحده لا فعل الطبيعة ولا غيرها، دلّ على

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٠٢/٢٠

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٨١-٢٨٠/٥

(٣) يُنظر: تفسير القرطبي ١٣٣/١٨

(٤) يُنظر: فتح القدير ٢٨١/٥

(٥) يُنظر: التفسير المنير ٢٣٧/٢٨

(٦) يُنظر: في ظلال القرآن ٣٥٨٦/٦

أن ذلك بسبب شمول علمه إشارة إلى أن من لم يكن تام العلم فهو ناقص القدرة^(١) فقال: {يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أي: يعلم الله جميع ما في السموات والأرض، فلا تخفى عليه من ذلك خافية، ويعلم ما تخفونه وما تظهرونه، والله محيط علمه بما يضمه كل إنسان في نفسه من الأسرار والمعتقدات.^(٢)

وبعد بيان أدلة وجود الله وقدرته وآثاره في الكون، حذر مشركي مكة من الكفر وإنكار الألوهية^(٣) وأمرهم بالاعتبار بمصير الأمم السابقة فقال: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ﴿٥﴾ أم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل وهم كفار الأمم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود، والخطاب لكفار العرب، فذاقوا وبال أمرهم بسبب كفرهم، والوبال: الثقل والشدة، والمراد بأمرهم هنا: ما وقع منهم من الكفر والمعاصي، وبالوبال: ما أصيبوا به من عذاب الدنيا، ولهم عذاب أليم وذلك في الآخرة وهو عذاب النار.^(٤)

ثم يذكر سبحانه السبب في وقوعهم بهذا الوبال في الدنيا والعذاب في الآخرة فيقول: {ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا} وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ ذلك بأنه كانت تأتيتهم رسلهم بالبينات: أي بالحجج والدلائل والبراهين، فقالوا أبشر يهدوننا: أي استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر، وأن يكون هداهم على يدي بشر مثلهم، فكفروا وتولوا أي كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل، واستغنى الله عنهم.^(٥) والله غني حميد: غير محتاج إلى العالم ولا إلى عبادتهم له،

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٠٩/٢٠

(٢) يُنظر: التفسير المنير ٢٣٧/٢٨

(٣) يُنظر: التفسير المنير ٢٣٩/٢٨

(٤) يُنظر: فتح القدير ٢٨١/٥

(٥) يُنظر: تفسير ابن كثير ١٦٠/٨

له، محمود من كل مخلوقاته بلسان المقال والحال.^(١) والله عجيبٌ أمرهم هؤلاء الأقسام!
"أنكروا الرسالة للبشر ولم ينكروا العبادة للحجر!".^(٢)

ولما قرر وجوب الإيمان به وبرسله وبالقدر خيره وشره، وقسم الناس إلى مؤمن وكافر،
وأخبر أن الكافر تكبر على الرسل، عيّن الموجب الأعظم لكفرهم بقوله دالاً على وجوب
الإيمان بالبعث:^(٣) {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا} قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ ثُمَّ

لَتُنَبَّؤَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ^ج وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ { زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا أي
ادعى المشركين أنه لا بعث ولا حساب ولا جزاء...، وفي هذا تقريع لكفار مكة، لأن الزعم
ادعاء العلم مع ظهور أمارات خلافه...، فرد الله عليهم بقوله:

(قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) أي قل أيها الرسول لهم
وأخبرهم بأنكم والله ستبعثون وتخرجون من قبوركم أحياء، ولتخبرن بجميع أعمالكم جليلها
وحقيرها، صغيرها وكبيرها، إقامة للحجة عليكم، ثم تجزون به، وذلك البعث والجزاء هين
سهل على الله تعالى، لا يصرفه صارف، وقوله: (بلى) إثبات لما بعد أن وهو البعث.^(٤)
وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه عز وجل
على وقوع المعاد ووجوده، فالآية الأولى في سورة يونس {وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ^ط

قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ^ط وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾} [يونس ٥٣]، والثانية في سورة
سبا {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ} قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمِ
الْغَيْبِ...{[سبا ٣]، والثالثة هي هذه {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا} قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي
لَتُبْعَثَنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ^ج وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾} [التغابن ٧].^(٥)

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٨١/٥

(٢) يُنظر: تفسير النسفي ٤٩١/٣

(٣) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١١٥/٢٠

(٤) يُنظر: التفسير المنير ٢٤١/٢٨

(٥) يُنظر: تفسير ابن كثير ١٣٦/٨-١٣٧

وبعد أن أكد لهم وقوع البعث وأنه يسير على الله، أمرهم بتدارك أنفسهم بالإيمان بالله ورسوله وكتابه فقال: {فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا^١ وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} أي إذا كان أمر البعث هيناً يسيراً على الله لا يصرفه صارف، فصدقوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه المنير الهادي إلى السعادة، والمنقذ من ظلمة الضلالة، فهو نور يهتدى به إذا أشكلت الأمور، والله عالم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء من أقوالكم وأفعالكم، فهو مجازيكم على ذلك خيراً أو شراً، وفي هذا وعيد على كل ما يؤتى من المعاصي، أو يترك من الفرائض والواجبات، ووصف القرآن بأنه نور لأنه يهتدى به في الشبهات، كما يهتدى بالنور في الظلمات.^(١)

ولما أخبر بالبعث وأقسم عليه وأشار إلى دليله السابق وسبب ما ينجي في يومه، ذكر يومه وما يكون فيه ليحذر^(٢) فقال: {يَوْمَ تَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ^ط ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ^ط

وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا^ج ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} معنى يوم

الجمع: يوم القيامة، فإنه يُجمع فيه أهل المحشر للجزاء، ويُجمع فيه بين كل عامل وعمله، وبين كل نبي وأمتة، وبين كل مظلوم وظالمه، ذلك يوم التغابن يعني: أن يوم القيامة هو يوم التغابن، وذلك أنه يغيب فيه أهل الحشر بعضاً، فيغيب أهل الحق أهل النار، ويغيب فيه أهل الإيمان أهل الكفر، وأهل الطاعة أهل المعصية، ولا غيب أعظم من غيب أهل الجنة أهل النار عند دخول هؤلاء الجنة وهؤلاء النار، فنزلوا منازلهم التي كانوا سينزلونها لو لم يفعلوا ما يوجب النار، فكأن أهل النار استبدلوا الخير بالشرّ والجيد بالرديء والنعيم بالعذاب، وأهل الجنة على العكس من ذلك..، ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته أي: من وقع منه التصديق مع العمل الصالح استحقّ تكفير

(١) يُنظر: التفسير المنير ٢٨/٢٤٤

(٢) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٠/١١٨

سيئاته، ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، (ذلك الفوز العظيم) أي: الظفر الذي لا يساويه ظفر. (١)

وبعد أن ذكر سبحانه جزاء المؤمنين وفوزهم بالنعيم يوم التغابن، ذكر خسارة الفريق الآخر وعقوبته فقال: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} والذين كفروا وكذبوا أي: والذين جحدوا وحدانية الله تعالى وقدرته، وكذبوا بآياته المنزلة على عبده محمد صلى الله عليه وسلم، ومنها الآيات الدالة على البعث، أولئك أصحاب النار، خالدين فيها على الدوام، وبئس المرجع مرجعهم، وبئست النار مثوى لهم.

والآيتان دليل على حال السعداء وحال الأشقياء، لبيان ما تقدم من التغابن. (٢)

وبعد أن بين سبحانه عاقبة وجزاء الفريقين يوم التغابن، أوضح للجميع بأن كل ما يجري عليهم من خير أو شر إنما هو بتقديره وعلمه ومشيئته فقال: {مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} أي إن كل ما يصيب الإنسان من خير أو شر فهو بقضاء الله وقدره، فما على الإنسان إلا السعي والعمل لجلب الخير ودفع الضر عن نفسه، ثم التوكل على الله بعدئذ، فإن تحقيق النتائج يكون بقضاء الله وقدره. (٣)

وفي هذه الآية ردٌّ على القدرية كما ذكر ذلك السيوطي رحمه الله (٤) (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) أي من يصدق ويعلم أنه لا يصيبه إلا ما قدره الله عليه يهد قلبه للصبر والرضا بالقضاء... (والله بكل شيء عليم) بليغ العلم لا تخفى عليه من ذلك خافية. (٥)

ولما كان التقدير: فاصبروا عن هجوم المصائب عطف عليه قوله تحذيراً من أن يشتغل بها فتوقع في الهلاك وتقطع عن أسباب النجاة دالاً على تعلّم أمور الدين من معاداتها

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٨٣/٥

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٨٣/٥

(٣) يُنظر: التفسير المنير ٢٤٩/٢٨

(٤) يُنظر: الإكليل في استنباط التنزيل ص ٢٦٥

(٥) يُنظر: فتح القدير ٢٨٣/٥

مشيراً إلى أن العبادة لا تُقبل إلا بالاتباع لا بالابتداع^(١) فقال: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

الرَّسُولَ} فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٣﴾ {وأطيعوا الله

وأطيعوا الرسول أي: هَوَّنُوا على أنفسكم المصائب واشتغلوا بطاعة الله وطاعة رسوله، فإن

توليتكم أي: أعرضتم عن الطاعة فإنما على رسولنا البلاغ المبين ليس عليه غير ذلك وقد

فعل.^(٢) وفي اقتران وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بطاعة الله، دليل واضح

أن طاعة الرسول طاعة لله، وفي هذا ردُّ على كل من ينكر السنة ويتجَّح بأن مصدره

الوحيد هو القرآن، فعن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: ((ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول:

بيننا وبينكم كلام الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرَّمناه، وإن ما

حرم رسول الله كما حرمه الله)).^(٣) ولَمَّا كان هذا موجعاً لإشعاره بإعراضهم مع عدم

الحيلة في ردِّهم عَرَّفَ بأن ذلك إنما هو إليه وأنه القادر عليه، فقال جواباً لمن كأنه قال:

فما الحيلة في أمرهم؟ مكملًا لقسمي الدين بالاستعانة بعد بيان قسمه الآخر وهو العبادة^(٤)

{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} ﴿١٣﴾ {الله لا إله إلا هو

أي: هو المستحق للعبودية دون غيره، فوحده ولا تشركوا به وعلى الله

وعلى الله فليتكمل المؤمنون يفوضوا أمورهم إلى الله ويعتمدوا عليه لا على غيره.^(٥)

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٢٥/٢٠

(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٨٣/٥

(٣) أخرجه الترمذي، أبواب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ح ٢٦٦٤، ٣٨/٥،

وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم ٢٦٦٤.

(٤) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٢٧/٢٠

(٥) يُنظر: فتح القدير ٢٨٤/٥

المطلب الثاني

توجيهات للمؤمنين، الآيات (١٤-١٨)

{يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾
إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾
لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

التفسير الإجمالي للآيات:

بعد الأمر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، حذر تعالى من الأزواج والأولاد الذين يثبتون عن الطاعة، شأن أكثر ميل الناس عن الطاعات^(١) فقال: {يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما سأله رجل عن هذه الآية {يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} قال: "هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوه أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا

(١) يُنْظَرُ: التفسير المنير ٢٨/٢٥٣-٢٥٤

الناس قد فقهوا في الدين همّوا أن يعاقبهم فأنزل الله عزّ وجلّ: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ} ^(١)

يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم: أنهم يعادونكم ويشغلونكم عن الخير، ويدخل في ذلك سبب النزول دخولاً أولياً (كما ذكر آنفاً) فاحذروهم: أمر سبحانه بأن يحذروهم فلا يطيعوهم في شيء مما يريدونه منهم مما فيه مخالفة لما يريد الله، ثم أرشدهم إلى التجاوز فقال: ^(٢) {وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ} قال الواحدي: كان الرجل الذي يثبته أولاده عن الهجرة إذا رأى الناس قد سبقوه

إليها وفقهوا في الدين همّ أن يعاقب أزواجه وأولاده فأنزل الله {وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا

وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ^(٣) أي وإن تعفوا عن ذنوب أزواجكم وأولادكم التي

ارتكبوها بترك المعاقبة، وتصفحوا بترك اللوم والتثريب عليها، وتستروا الأخطاء تمهيدا لمعذرتهم فيها، فالله غفور لذنوب عباده، رحيم بهم، يعامل الناس بأحسن مما عملوا. ^(٤)

ولمّا حكم على البعض كان كأنه قيل: فما حكم سائرهم؟ فكأن الحكم بذلك يلزم منه الحذر من الكلّ لكن للتصريح سرّ كبير في ركون النفس إليه، فقال حاصراً الجميع ضامّاً إليهم المال الذي به قيام ذلك كله، وقدمه لأنه أعظم فتنة ^(٥) {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ

وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} إنما أموالكم وأولادكم فتنة أي: بلاء واختبار ومحنة

يحملونكم على كسب الحرام ومنع حق الله فلا تطيعوهم في معصية الله ^(٦) ولم يذكر

^(١) يُنظر: أسباب نزول القرآن ص ٤٣٤، والحديث أخرجه الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة التغابن،

ح ٣٣١٧، ٤١٩/٥ وقال حديث حسن صحيح، قال عنه الألباني: حسن.

^(٢) يُنظر: فتح القدير ٢٨٥/٥

^(٣) يُنظر: أسباب نزول القرآن ص ٤٣٤

^(٤) يُنظر: التفسير المنير ٢٥٤/٢٨

^(٥) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٣١/٢٠

^(٦) يُنظر: فتح القدير ٢٨٥/٥

الأزواج هنا اكتفاءً لدلالة فتنّة الأولاد عليهن بدلالة فحوى الخطاب، فإن فتنّتهن أشد من فتنّة الأولاد لأن جرأتهم على التسويل لأزواجهن ما يحاولونه منهم أشد من جرأة الأولاد... والفتنة: اضطراب النفس وحيرتها من جرّاء أحوال لا تلائم من عرضت له.^(١) وذكر ابن عطية: أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "لا يقل أحدكم اللهم اعصمني عن الفتنة فإنه ليس يرجع أحد إلى أهل ومال إلا وهو مشتمل على فتنة، ولكن ليقول: اللهم إني أعوذ بك من مضلّات الفتن"^(٢) (والله عنده أجر عظيم) لمن أثر طاعة الله وترك معصيته في محبة ماله وولده.^(٣)

ولما كان التقدير: وعنده عذاب أليم لمن خالف، سبّب عنه قوله فذلّة لما تقدّم في السورة كلها^(٤) فقال: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبیر رضي الله عنه قال: لما نزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} [آل عمران ١٠٢]، اشتدّ على القوم العمل فقاموا حتى ورمّت عراقيبهم وتقرحت جباههم، فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} فنسخت الآية الأولى.^(٥) فاتقوا الله ما استطعتم أي: أي فالزموا أوامر الله واجتنبوا نواهيه قدر جهدكم وطاقتكم... واسمعوا ما تؤمرون به وأطيعوا أوامر الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم، وأنفقوا من أموالكم التي رزقكم الله إياها في وجوه الخير ولا تبخلوا بها، فإن الإنفاق في مصالح الأمة والدين خير وسعادة لأنفسكم من الأموال والأولاد، وهو خير لكم في الدنيا والآخرة، وإن لا تفعلوا يكن شراً لكم في الدنيا والآخرة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون أي: من وقاه الله وحفظه من داء الشح والبخل، فأنفق في سبيل الله

(١) يُنظر: التحرير والتنوير ٢٨٦/٢٨

(٢) يُنظر: تفسير ابن عطية ٣٢٠/٥

(٣) يُنظر: فتح القدير ٢٨٥/٥

(٤) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٣٢/٢٠

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير رقم ١٨٩٠٥، ٣٣٥٨/١٠، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨٦/٨

ووجوه الخير، فأولئك هم الظافرون بما يرجون، الفائزون بما يطلبون.^(١) وبعد أن أرشدهم سبحانه إلى الإنفاق في وجوه الخير، أتبع ذلك ببيان الجزاء المضاعف للمنفقين فقال: {إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ} وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ

{القرض الحسن هو عبارة عن التصدق والإنفاق في سبيل الله مع خلوص نية وصحة قصد واحتساب أجر^(٢)، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله عز وجل: ((استقرضت عدي فأبى أن يقرضني، وسبني عدي ولا يدري يقول: وا دهراه وا دهراه، وأنا الدهر)) ثم تلا أبو هريرة رضي الله عنه قول الله عز وجل {إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعِفْهُ لَكُمْ}^(٣) يضاعفه لكم فيجعل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ويغفر لكم أي: ويضم إلى تلك المضاعفة غفران ذنوبكم، والله شكور حلیم يثيب من أطاعه بأضعاف مضاعفة ولا يعاجل من عصاه بالعقوبة.^(٤)

واسم الله (الشكور): هو الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقي النافع ويعفو عن الكثير من الزلل، ولا يضيع أجر من أحسن عملاً^(٥) واسم الله (الحليم): هو الذي له الحلم الحلم الكامل الذي وسع حلمه أهل الكفر والفسوق والعصيان، ومنع عقوبته أن تحل بأهل الظلم عاجلاً فهو يمهّلهم ليتوبوا ولا يهملهم إذا أصروا، وهو الحليم الذي يدّر على خلقه النعم الظاهرة والباطنة مع معاصيهم وكثرة زللهم.^(٦) ولما كان الحليم قد يُتهم في حلمه بأن بأن يُنسب إلى الجهل بالذنوب أو بمقداره^(٧) قال: {عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ

(١) يُنظر: التفسير المنير ٢٨/٢٥٥-٢٥٦

(٢) يُنظر: المرجع السابق ٥/٢٠٧-٢٠٨

(٣) يُنظر: أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب التفسیر، باب تفسیر سورة التغابن، ح ٣٨١٦، ٥٣٣/٢، قال الذهبي:

حديث صحيح على شرط مسلم.

(٤) يُنظر: فتح القدير ٥/٢٨٥

(٥) يُنظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي ص ٢١٠

(٦) يُنظر: المرجع السابق ص ١٨٩

(٧) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والصور ٢٠/١٣٧

الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ {عالم الغيب والشهادة أي: ما غاب وما حضر، لا تخفى عليه خافية، وهو

العزیز الحکیم أي: الغالب القاهر ذو الحكمة الباهرة. (١)}

وقد ختم السورة بوصف {عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾} وذلك تنميماً

للتذكير بعظمة الله تعالى مع مناسبتها للترغيب والترهيب اللذين اشتملت عليهما الآيات السابقة كلها، لأن العالم بالأفعال ظاهرها وخفيها لا يُفِيْتُ شيئاً من الجزاء عليها بما رتب لها، ولأن العزیز لا يعجزه شيء والحکیم الموصوف بالحكمة لا يدع معاملة الناس بما تقتضيه الحكمة من وضع الأشياء في مواضعها. (٢)}

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٨٥/٥

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير ٢٩١/٢٨

المبحث الثالث: مقاصد سورة التغابن وتوجيهاتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان عظمة الله وقدرته وحكمته.

المطلب الثاني: بيان رحمته سبحانه وتعالى بالمؤمنين.

المطلب الأول

بيان عظمة الله وقدرته وحكمته

تحدثت آيات هذه السورة عن عظمة الباري تبارك وتعالى وعن مظاهر قدرته في الكون وفي خلق الإنسان، وحكمته في تقدير الأمور، وقدرته على بعث الناس وإحيائهم، وتجلي ذلك فيما يلي:

١- افتتاح السورة بتسبيح وتمجيد كل ما في السماوات والأرض له، إذ الكون كله خاضع متّجه إليه سبحانه، فهو مالك الملك ذو الجلال والإكرام، لا ندّ له في ملكه، ولم يكن له كفواً أحد {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ^ط وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التغابن ١].

٢- ومن عظيم قدرته خلق السماوات والأرض بالحكمة البالغة والإتقان المشاهد، وخلق البشر في أحسن تقويم وأجمل صورة، فهو تعالى لم يخلق شيئاً عبثاً ولم يترك أحداً سدى، الكون كله بسماواته وأرضه وخلقهم خلقوا بحكمة بالغة {خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَهُمْ فَأَحْسَنَ صُورَهُمْ^ط وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [التغابن ٣].

٣- ويبيّن سبحانه بأنه لا يعجزه شيء، وكل شيء عنده يسير، ومن ذلك إحياء الموتى وبعثهم يوم القيامة، فلاحظنا في الآيات أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لمنكري البعث: {قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ^ج وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ^٧} [التغابن ٧].

٤- استغناؤه سبحانه عن الجميع، فلا تتفعه طاعة الطائعين، ولا تضرّه معصية العاصين، ولن يؤثر في ملكه كفر الكافرين {وَأَسْتَغْنَىٰ اللَّهُ^ج وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ^٦}. [التغابن ٦].

٥- كل ما يجري في هذا الكون هو من تقديره وبعلمه عزّ وجلّ، فهو الذي قدر الأمور، وعلم هواجس الصدور، ما من صغيرة ولا كبيرة ولا خير ولا شرّ إلا في كتاب مبين، وبتقدير العزيز العليم {مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} ثم يمتحن الإنسان ليرى

صبره عند المصائب وشكره عند النعم، فهو الذي يرزق المال والولد ثم يحذر أن يكونوا فتنة بمنع الإنسان عن طاعة الله والإنفاق في سبيله {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [التغابن ١٥].

٦- ثم يختم السورة كما بدأها سبحانه ببيان عظمته وسعة علمه وعزته وحكمته، يقول سيد قطب رحمه الله عن هذا الختام: "ويختم هذه الجولة بعد هذا الإيقاع العجيب بصفة الله التي بها الاطلاع والرقابة على القلوب {عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} فكل شيء مكشوف لعلمه، خاضع لسلطانه، مدبر بحكمته، كي يعيش الناس وهم يشعرون أن عين الله ترعاهم وسلطانه عليهم، وحكمته تدبر الأمر كله حاضره وغائبه، ويكفي أن يستقر هذا التصور في القلوب لتتقي الله وتخلص له وتستجيب".^(١)

٧- وإذا تأملنا ختام كثير من آيات السورة نرى أنها خُتِمت بما يدل على هذا المقصد، ففي قوله تعالى: {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} {وَصَوِّرَكُمْ فَاَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} {وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} {وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} {عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.

وهكذا تجلى هذا المقصد من خلال آيات سورة التغابن، فمن عظم الله قدره حق قدره، ومن قدره حق قدره أطاعه وعبدته حق عبادته، وأحبه وأحب شرعه، وأطاع نبيه صلى الله عليه وسلم.

(١) يُنظر: في ظلال القرآن ٣٥٩١/٦

المطلب الثاني

بيان رحمته سبحانه وتعالى بالمؤمنين

بعد أن كان المقصد الأعظم من سورة التغابن هو بيان عظمة الله وقدرته، فقد تخلل بعض الآيات في السورة إشارات منه سبحانه إلى رحمته بعباده المؤمنين الذين آمنوا به وبقضائه، وبرسوله صلى الله عليه وسلم وعملوا الطاعات، فخفف عنهم ووعدهم بمضاعفة الأجر وتكفير السيئات، وقد تجلّى هذا المقصد من خلال:

١- أنه لما كان لكل عبد ذنوب وتقصير، فقد وعد سبحانه كل من يؤمن به إيماناً صادقاً ويقرن هذا الإيمان بالعمل الصالح الخالص لوجه الله، أنه سيغفر له ذنوبه ويتجاوز عن سيئاته، فالحسنات يذهبن السيئات، كما وعده بالفوز العظيم والسعادة الأبدية فقال: {وَمَنْ

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التغابن ٩] وكل هذا

تفضلاً وتكرماً منه سبحانه ورحمة بالمؤمنين من عباده.

٢- وعد من آمن به وسلم بقضائه أن يهد قلبه للحق، وأن يريح الله باله وينزل الطمأنينة على نفسه، وهذا غاية المطلوب عند الإنسان في الدنيا، قال سبحانه: {مَا أَصَابَ مِنْ

مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن ١١].

٣- أمر سبحانه المؤمنين بتقواه وطاعته كل حسب استطاعته وقدر جهده، فمن رحمته بعباده لم يكلف أحداً فوق طاقته، ومن رحمته جعل هذا الدين دين يسر لا دين عسر وتنفير، فقال: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن ١٦]، فما أرحمه بعباده سبحانه. وعن

أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)).^(١)

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، ح ٧٢٨٨، ٩٤/٩

٤- ومن رحمته وكرمه أنه يضاعف للمنفقين الأجر والثواب أضعافاً كثيرة، يشكرهم فيعطي الكثير على القليل، يقول سيد قطب رحمه الله: "ومن ذا الذي لا يربح هذه الفرصة التي يُقرض فيها مولاه وهو يأخذ القرض فيضاعفه ويغفر به ويشكر المقرض ويحلم عليه حين يقصر في شكره، وهو الله {إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ} وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ" وتبارك الله ما أكرمه! وما أعظمه! وهو ينشيء العبد ثم يرزقه ثم يسأله فضل ما أعطاه قرضاً يضاعفه ثم يشكر لعبده الذي أنشأه وأعطاه" (١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار)) (٢) وعن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لك بها يوم القيامة سبع مائة ناقة كلها مخطومة)) (٣). وهكذا تتجلى رحمة الله بعباده المؤمنين، والتي ذكر طرف بسيط منها في هذه السورة، فله الحمد والشكر والثناء الحسن.

(١) يُنظر: في ظلال القرآن ٣٥٩١/٦

(٢) أخرجه البخاري، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، ح ٥٣٥٣، ٦٢/٧

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها، ح ١٨٩٢، ١٥٠٥/٣

الفصل الثاني: سورة الطلاق، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بين يدي السورة.

المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة.

المبحث الثالث: مقاصد سورة الطلاق وتوجيهاتها.

المبحث الأول: بين يدي السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها.

ثانياً: فضلها.

المطلب الثاني: أولاً: موضوعها.

ثانياً: مناسبتها لما قبلها.

المطلب الأول

أولاً: اسمها وترتيبها:

شاعت تسميته في المصاحف وفي كتب التفسير وكتب السنة "سورة الطلاق" ولم ترد تسميتها بهذا في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم موسوم بالقبول، وذكر في الإتيان أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه سمّاها "سورة النساء القصرى" أخذاً مما أخرجه البخاري وغيره عن مالك بن عامر قال: كنا عند عبد الله بن مسعود فذكر عنده الحامل المتوفى عنها تعتدّ أقصى الأجلين (أي أجل وضع الحمل إن كان أكثر من أربعة أشهر وعشر، وأجل الأربعة أشهر وعشر) فقال: أتجعلون عليها التخليط ولا تجدون عليها الرخصة لنزلت سورة النساء القُصرى بعد الطولى {وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ

يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق]؛^(١) وفي الإتيان عن الداودي إنكار أن تُدعى هذه السورة بالقُصرى للتنزه عن وصف القرآن بصفة النقص، وردّه ابن حجر بأن القصر أمر نسبيّ أي ليس مشعراً بنقص على الإطلاق، وابن مسعود رضي الله عنه وصفها بالقصرى احترازاً عن السورة المشهورة باسم "سورة النساء" التي هي الرابعة في الصحف التي أولها {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [النساء ١]، وأما قوله:

الطولى فهو صفة لموصوف محذوف أي: بعد السورة الطولى يعني سورة البقرة لأنها أطول سور القرآن، ويتعين أن ذلك مراده لأن سورة البقرة هي التي ذكرت فيها عدة المتوفى عنها، وقد يُتوهم أن سورة البقرة تسمى سورة النساء الطولى لمقابلتها بسورة النساء القصرى في كلام ابن مسعود رضي الله عنه، وليست كذلك، سورة الطلاق مدنيّة بالاتفاق، وعدد آياتها اثنتا عشرة آية في عدد الأكثر، وعدّها أهل البصرة إحدى عشرة آية^(٢) وكلماتها مائتان وأربعون، وحروفها ألف وستون.^(٣)

(١) يُنظر: التحرير والتنوير ٢٨/٢٨/٢٩٢، والحديث أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب (وأولات الأحمال أجلهن أن

يضعن حملهن)، ح ٤٩١٠، ١٥٦/٦

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير ٢٨/٢٩٢-٢٩٣

(٣) يُنظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/٦٩٤

هي معدودة السادسة والتسعون في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد، نزلت بعد سورة الإنسان وقبل سورة البينة^(١) وهي السورة الخامسة والستون في ترتيب المصحف، قبل سورة التحريم وبعد سورة التغابن.

ثانياً: فضلها:

لم يرد في فضلها من صحيح السنة سوى أنها من السور المُفصّل التي أوتِيها النبي صلى الله عليه وسلم نافلة ففُضّل بها على سائر الأنبياء^(٢) فعن واثلة بن الأسقع^(٣) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أُعطي مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المئين، ومكان الإنجيل المئاني، وفُضِّلَتْ بالمُفصّل)).^(٤)

(١) يُنظر: التحرير والتنوير ٢٩٣/٢٨

(٢) يُنظر: موسوعة فضائل سور وآيات القرآن ١٣٤/٢ ، ١٨٧

(٣) سبق ترجمته ص ١٦

(٤) سبق تخريجه ص ١٦

المطلب الثاني

أولاً: موضوعها:

موضوع هذه السورة المدنية بيان الأحكام التشريعية التي تنظم حال الأسرة أثناء قيامها وبعد انفصال الزوجين، شرعت السورة في الكلام على أحكام الطلاق السنّي الذي يُستقبل به العدة وأحكام العدة، وإحصاء وقتها مع تقوى الله ورقابته في إعلان انقضائها، وأمرت الأزواج بعدئذ بالإمساك بالمعروف أو المفارقة بإحسان، وأشادت في مجال العلاقات الزوجية وغيرها بتقوى الله والتوكل عليه، ثم أبانت حكم عدة المرأة اليائس من المحيض التي انقطع دمها لكبر سنّها، وعدة الصغيرة التي لم تحض، وعدة المرأة الحامل، وانقضت البيان توضيح حكم النفقة والسكنى أثناء العدة، وحكم إعطاء الأجر على الرضاع وتقدير النفقة يساراً وإعساراً، وتخلل ذلك الأمر بالتقوى منعاً من الظلم وتجاوز الحدود. وختمت السورة بالتحذير من مخالفة الأحكام وتعدي حدود الله، وهددت بالعقوبة المماثلة لعقوبات الأمم الباغية التي تخطّت أوامر الله، وكرر الأمر بالتقوى، وذكرت مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي تلاوة آيات الله لإخراج المؤمنين من الظلمات إلى النور، وأوضحت جزاء الإيمان والعمل الصالح، ثم أوردت البرهان القاطع على قدرة الله الشاملة وعلمه الواسع بخلق السماوات السبع والأرضين السبع وتنزّل وحي الله وأمره بين السماء والأرض.^(١)

ثانياً: مناسبتها لما قبلها: تتعلق مناسبة هذه السورة بما قبلها (سورة التغابن) من وجهين:

١- أنه لما وقع في آخر سورة التغابن {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ} [التغابن: ١٤]، وكانت عداوة الأزواج تقضي إلى الطلاق وداوة الأولاد قد تؤدي إلى القسوة وترك الإنفاق عليهم، فعقبت ذلك بسورة فيها ذكر أحكام الطلاق والإنفاق والمطلقات بسببهم.^(٢)

(١) يُنظر: التفسير المنير ٢٨/٢٦١-٢٦٢

(٢) يُنظر: أسرار ترتيب القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المتوفى ٩١١ هـ الناشر: دار الفضيلة

للنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: ١، ص ١٤٤

٢- أشار الله تعالى في آخر سورة التغابن إلى كمال علمه فقال {عَلِمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} {١٨} وأشار في آخر هذه السورة إلى كمال علمه بمصالح
النساء وبالأحكام الخاصة بطلاقهن فكأنه بيّن ذلك العلم الكلي بهذه الجزئيات.^(١)

^(١) يُنظر: التفسير المنير ٢٨/٢٦١

المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: من أحكام الطلاق والعدة والسكنى والنفقة، الآيات (١-٧).

المطلب الثاني: تحذير المعاندين، ووعده المؤمنين، والتذكير بقدرة الله،
الآيات (٨-١٢).

المطلب الأول

من أحكام الطلاق والعدة والسكنى والنفقة، الآيات (١-٧)

{يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ^ط وَاتَّقُوا^ط
اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ
بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ^ج وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ^ج وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ^ج
لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا^١ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ
لِلَّهِ^ج ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ^ج مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ^ج وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ^ج
يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا^٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ^ج وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ
حَسْبُهُ^ج إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ^ج قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا^٣ وَالَّتِي يَمْسَسْنَ
مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ تَحْضَنْ^ج
وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ^ج وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ^ج يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا^ج مِنْ أَمْرِهِ^ج
يُسْرًا^٤ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ^ج إِلَيْكُمْ^ج وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ^ج يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ
وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا^٥ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا
تُضَارَّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ^ج وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ
حَمْلَهُنَّ^ج فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ^ط وَاتَّمَرُوا^ط بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ^ط وَإِنْ
تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُ^ج أُخْرَى^٦ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ^ط وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ

رَزَقُهُ فَلْيَنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ^ج لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَهَا^ج سَيَجْعَلُ اللَّهُ
بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

التفسير الإجمالي للآيات:

لَمَّا خَتَمَتِ التَّغَابِنَ بِأَنَّهُ تَعَالَى شُكُورٌ حَلِيمٌ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مَعَ تَمَامِ الْعِلْمِ وَشُمُولِ الْقُدْرَةِ بَعْدَ
التَّحْذِيرِ مِنَ النِّسَاءِ بِالْعِدَاوَةِ، وَكَانَتِ الْعِدَاوَةُ تَجَرُّ إِلَى الْفِرَاقِ، افْتَتَحَ هَذِهِ بَزْمَ الْأَنْفُسِ عِنْدَ
ثَوْرَانِ الْحُظُوظِ بِزِمَامِ التَّقْوَى، وَأَعْلَى الْخُطَابِ جَدًّا بِتَوْجِيهِهِ إِلَى أَعْلَى الْخَلْقِ تَنْبِيهًا عَلَى
عَظَمَةِ الْأَحْكَامِ الْوَارِدَةِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ فَإِنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْأَسْمَاءِ الْأَرْبَعَةِ لِتُتْلَقِيَ بِغَايَةِ
الرَّغْبَةِ^(١) فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا
الْعِدَّةَ^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ^ط لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ إِلَّا
أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ^ج وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ^ج وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ
نَفْسَهُ^ج لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿٨﴾} رَوَى قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ:
(طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَفْصَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، وَقِيلَ لَهُ: رَاجِعْهَا فَإِنَّهَا
صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ وَهِيَ إِحْدَى أَزْوَاجِكَ وَنِسَائِكَ فِي الْجَنَّةِ)^(٢) وَقَالَ السَّيِّدِيُّ: "نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ
بَنِ عَمْرِو وَذَلِكَ أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ حَائِضًا فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَرَاغِبَهَا
وَيَمْسُكَهَا حَتَّى تَطْهَرَ ثُمَّ تَحِيضَ حِيضَةً أُخْرَى فَإِذَا طَهَّرْتَ طَلَّقَهَا إِنْ شَاءَ قَبْلَ أَنْ
يَجَامِعَهَا، فَإِنَّهَا الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا".^(٣)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ: قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: "خَصَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنِّدَاءِ
وَعَمَّ الْخُطَابَ لِأَنَّ النَّبِيَّ إِمَامُ أُمَّتِهِ وَقُدُوتُهُمْ، كَمَا يُقَالُ لِرَئِيسِ الْقَوْمِ وَكَبِيرِهِ: يَا فُلَانُ: افْعَلُوا

(١) يُنْظَرُ: نَظْمُ الدَّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ ١٣٩/٢٠

(٢) يُنْظَرُ: أَسْبَابُ نَزُولِ الْقُرْآنِ ص ٤٣٥، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ح ١٨٩٠٧، وَذَكَرَهُ السَّيُّوطِيُّ فِي الدَّرَرِ ١٨٩/٨،

وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ، رَقْمٌ ٢٠٠٧، ١٧/٥

(٣) يُنْظَرُ: أَسْبَابُ نَزُولِ الْقُرْآنِ ص ٤٣٥، وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ (إِنْ ارْتَبْتُمْ)، ح ٤٩٠٨، ١٥٥/٦

كيت وكيت، إظهاراً لتقدّمه واعتباراً لترؤسه^(١) والمعنى: يخاطب الله تبارك وتعالى رجال أمة الإسلام في شخصية نبيها محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: إذا طلقتم أي إذا أردتم طلاقهن لأمر اقتضى ذلك فطلقوهن لعدتهن أي لأول عدتهن وذلك في طهر لم تجامع فيه لتعد ذلك الطهر أول عدتها، وأحصوا العدة: أي احفظوها فاعرفوا بدايتها ونهايتها لما يترتب على ذلك من أحكام من صحة المراجعة وعدمها، ومن النفقة والإسكان وعدمهما، واتقوا الله ربكم فامتثلوا وأوامره وقفوا عند حدوده فلا تتعدوها، لا تخرجوهن أي المطلقات من بيوتهن اللاتي طلقن فيهن، ولا يخرجن أي ويجب أن لا يخرجن من بيوتهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة كزناً ظاهراً أو تكون سيئة بذينة اللسان فتؤذي أهل البيت أذى لا يتحملونه فعندئذ يباح إخراجها.

وتلك حدود الله: أي المذكورات من الطلاق لأول الطهر، وإحصاء العدة، وعدم إخراجهن من بيوتهن، ومن يتعد حدود الله فيتجاوزها ولم يقف عندها فقد ظلم نفسه وتعرض لعقوبة الله تعالى عاجلاً أو آجلاً.^(٢) قال السيوطي رحمه الله في الآية: "فيه وجوب السكنى لها ما دامت في العدة، وتحريم إخراجها أو خروجها إلا أن يأتين بفاحشة مبينة كسوء الخلق والبذاء فتُنقل".^(٣)

وتلك حدود الله: المعنى: أن هذه الأحكام التي بينها لعباده هي حدوده التي حدّها لهم لا يحلّ لهم أن يتجاوزوها إلى غيرها، ومن يتعدّ حدود الله أي: يتجاوزها إلى غيرها أو يخلّ بشيء منها فقد ظلم نفسه بإيرادها مورد الهلاك وأوقعها في مواقع الضرر بعقوبة الله له على مجاوزته لحدوده وتعدّيه لرسمه، (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) قال القرطبي: قال جميع المفسرين: أراد بالأمر هنا الرغبة في الرجعة، والمعنى: التحريض على طلاق الواحدة والنهي عن الثلاث فإنه إذا طلق ثلاثاً أضّر بنفسه عند الندم على الفراق والرغبة في الارتجاع فلا يجد إلى المراجعة سبيلاً.^(٤) ولما حدّ سبحانه ما يفعل

(١) يُنظر: الكشف ٥٥٢/٤

(٢) يُنظر: أيسر التفاسير ٣٧٢/٥

(٣) يُنظر: الإكليل في استنباط التنزيل ص ٢٦٦

(٤) يُنظر: فتح القدير ٢٨٨/٥

بالعدة أتبعه ما يفعل عند انقضائها^(١) فقال: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} فإذا بلغن أجلهن، فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف أي إذا شارفن على انقضاء العدة، وقاربن ذلك، أي قاربت العدة على الانتهاء، ولكنها لم تنته تماماً، فلكن أيها الأزواج اختيار أحد أمرين: إما الإمساك بالمعروف وهو الرجعة إلى عصمة الزوج والاستمرار في الزوجية مع الإحسان إليها في الصحبة، وإما المفارقة بالمعروف أي تركهن إلى انقضاء عدتهن مع إيفاء حقهن واتقاء الضرر بهن، من غير توبيخ ولا تعنيف ولا مشاتمة، بل تطلق المرأة على وجه جميل وسبيل حسن، أما الإمساك للمضارة أو التسريح مع الأذى ومنع الحق، فإن ذلك لا يحل لأحد، ثم أمر الله تعالى بالإشهاد على الرجعة أو الفراق، فقال: (وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله) أي وأشهدوا على الرجعة إن راجعتم، أو المفارقة إن فارقتم، قطعاً للنزاع، وحسماً لمادة الخصومة أو الإنكار، وأدوا الشهادة أيها الشهود وأتوا بها خالصة لوجه الله، وتقرباً إليه لإظهار الحق، دون تحيز أو مجاملة لأحد الخصمين، المشهود له أو عليه.

وهذه الشهادة على الرجعة والفرقة مندوبة، والأمر للندب والاستحباب عند أئمة المذاهب الأربعة..، وأقيموا الشهادة لله دليل على وجوب أداء الشهادة عند القضاة على الحقوق كلها، لأن الشهادة هنا اسم للجنس. وإنما حث تعالى على أداء الشهادة لإظهار الحق، وترك التكاسل والتهرب من بعض المتاعب أو المشاق في الذهاب إلى المحاكم وانتظار القضاة، خشية تعطيل العمل أو الوقت بالنسبة للشاهد، ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر أي ذلكم المذكور الذي أمرناكم به من الإشهاد على الرجعة والفرقة وإقامة الشهادة خالصة لله، وإيقاع الطلاق على وجه السنة، وإحصاء العدة، والكف عن الإخراج والخروج، إنما يأتى به من يؤمن بالله واليوم الآخر ويخاف عقاب الله في الدار الآخرة. وخص المؤمن، لأنه المنتفع بذلك دون غيره..، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٤٧/٢٠

حيث لا يحتسب: أي ومن يتق الله فيما أمره به، وترك ما نهاه عنه، ووقف عند حدوده التي حدّها لعباده، يجعل له من أمره مخرجاً أو مخلصاً مما وقع فيه، ويرزقه من وجه لا يخطر بباله، ولا يكون في حسابه، وهذا دليل على أن التقوى سبيل النجاة من المآزق والهموم والغموم الدنيوية والأخروية وعند الموت، وهي أيضاً سبب للرزق الطيب الحلال الواسع غير المتوقع.

{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} ^٢ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ^٣ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ

شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾ أي ومن يثق بالله فيما نابه وفوض إليه أمره بعد اتخاذ الأسباب ومنها

السعي لكسب الرزق، كفاه ما أهمه، في جميع أموره، لأن الله هو القادر على كل شيء، الغني عن كل شيء، إن الله يبلغ ما يريد، ولا يفوته مراد، ولا يعجزه مطلوب، قد جعل للأشياء قدراً قبل وجودها، وقدر لها أوقاتها، فجعل سبحانه للشدة أجلاً تنتهي إليه، وللرخاء أجلاً ينتهي إليه، وإذا كان الرزق وغيره من الأشياء لا يكون إلا بتقدير الله تعالى، ولا يقع إلا على وفق علمه، فليس للعاقل إلا التسليم للقدر ^(١) قال ابن القيم رحمه الله: "قلماً ذكر كفايته للمتوكل عليه فربما أوهم ذلك تعجيل الكفاية وقت التوكل فعقبه بقوله:

{قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} أي وقتاً لا يتعداه، فهو يسوقه إلى وقته الذي قدره

له، فلا يستعجل المتوكل ويقول: قد توكلت ودعوت فلم أر شيئاً ولم تحصل لي الكفاية،

فإنه بالغ أمره في وقته الذي قدره له". ^(٢) قال الواحدي في قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ

تَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} ^٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} نزلت الآية في عوف بن مالك

الأشجعي ^(٣) وذلك أن المشركين أسروا ابناً له فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الفاقة وقال: إن العدو أسر ابني وجزعت الأم فما تأمرني؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((اتق الله واصبر وأمرك وإياها أن تستكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فعاد

(١) يُنظر: التفسير المنير ٢٨/٢٧٠-٢٧٢

(٢) يُنظر: إعلام الموقعين لابن القيم ٤/١٢٣

(٣) سبق ترجمته ص ١٩٢

إلى بيته وقال لامرأته: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني وإياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فقالت: نعم ما أمرنا به فجعلنا يقولان، فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه وهي أربعة آلاف شاة، فنزلت هذه الآية^(١). وبعد أن أمر الله بتطليق النساء لعدتهن، وبين أمر الطلاق والرجعة في التي تحيض، بين مقدار العدة للآيسة والصغيرة اللتين لم تريا الدم وعدة الحامل^(٢) فقال: {وَأَلَّتِي يَيْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ تَحِضْ^ج وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ^ج وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا^٤} عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: " لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد من عدد النساء قالوا: قد بقي عدد من النساء لم يذكرن الصغار والكبار، ولا من انقطعت عنهن الحيض، وذوات الأحمال فأنزل الله عز وجل هذه الآية"^(٣) واللائي يئسن من المحيض من نسائكم أي والنسوة اللواتي انقطع حيضهن لكبر سنهن، إن شككتم وجهلتم كيف عدتهن؟ فهذا حكمهن (فعدتهن ثلاثة أشهر) أي فعدة الواحدة منهن ثلاثة أشهر، كل شهر يقوم مقام حيضة (واللائي لم يحضن) أي وكذلك اللواتي لم يحضن لصغرهن عدتهن ثلاثة أشهر، (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) أي والمرأة الحامل تنتهي عدتها بوضع الحمل، سواء كانت مطلقة، أو متوفى عنها زوجها، (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) أي ومن يخشى الله في أقواله وأفعاله، ويجتنب ما حرم الله عليه، يسهل عليه أمره ويوفقه لكل خير.^(٤) ولما كان تكرير الحث على التقوى للسؤال

(١) يُنظر: أسباب نزول القرآن ص ٤٣٥-٤٣٦، وذكره ابن حجر في الإصابة ٩/٣، وأخرجه الحاكم في المستدرک عن جابر بن عبدالله.. فذكر معناه، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة الطلاق، ح ٣٨٢٠، ٥٣٤/٢، قال الذهبي: منكر

(٢) يُنظر: التفسير المنير ٢٨٠/٢٨ (بتصرف)

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة الطلاق، ح ٣٨٢١، ٥٣٤/٢، وقال: صحيح الإسناد ولم

يخرجاه، وقال الذهبي: حديث صحيح

(٤) يُنظر: صفوة التفاسير ٣٧٧/٣

عن سببه، استأنف قوله كالتعليل له^(١) فقال: {ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ} وَمَنْ يَتَّقِ

اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٦٦﴾} ذلك أمر الله أنزله إليكم، أي جميع

الأحكام المتقدمة في الطلاق والعدة والسكنى هو أمر الله الذي أمر به عباده، وأنزله إليهم في قرآنه، ومن يخف الله، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، يمح عنه ذنوبه من صحائف أعماله، ولا يؤاخذ به.. ويضاعف له جزاء حسناته ويجزل له المثوبة على عمله، وقد

كرر الأمر بالتقوى للتأكيد عليها، وكونها عماد النجاة والسعادة الدنيوية والأخروية.^(٢)

ونلاحظ أن الله أمر بالتقوى في أحكام الطلاق ثلاث مرات ووعد كل مرة نوعاً من الجزاء،

فقال أولاً {تَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} يخرج به مما دخل فيه وهو يكرهه ويبيح له محبوبه من حيث

لا يأمل، وقال في الثاني يسهل عليه الصعب من أمره ويبيح له خيراً ممن طلقها، والثالث

وعد عليه أفضل الجزاء وهو ما يكون في الآخرة من النعماء.^(٣) وبعد بيان عدة الآيسة

والصغيرة والحامل، ذكر تعالى ما يجب للمعتدة من نفقة وسكنى بقدر الطاقة، وما يجب

للمطلقة من أجره على إرضاع ولدها إذا هي أرضعته^(٤) فقال: {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ

سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَى حَمَلٍ

فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ

وَاتَمَرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمَ فَسَرِّضُ لَهُنَّ أُخْرَى ﴿٦٧﴾} أسكنوهن من

حيث سكنتم من وجدكم: أي أسكنوا هؤلاء المطلقات في بعض مساكنكم التي تسكنونها،

على قدر طاقتكم ومقدرتكم، فإن كان موسراً وسَّع عليها في المسكن والنفقة، وإن كان فقيراً

فعلى قدر الطاقة (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) أي ولا تضيقوا عليهن في السكنى

والنفقة، حتى تضطروهن إلى الخروج أو الافتداء (وإن كن أولات حمل) أي وإن كانت

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٥٨/٢٠

(٢) يُنظر: التفسير المنير ٢٨١/٢٨-٢٨٢

(٣) يُنظر: أسرار التكرار في القرآن ص ٢٣٧-٢٣٨

(٤) يُنظر: التفسير المنير ٢٨٤/٢٨

المطلقة حاملاً (فأنفقوا عليهن حتى يرضعن حملهن) أي فعلى الزوج أن ينفق عليها ولو طال مدة الحمل حتى تضع حملها (فإن أرضعن لكم) أي فإذا ولدت ورضيت أن ترضع له ولده (فآتوهن أجورهن) أي فعلى الرجل أن يدفع لها أجر الرضاعة، لأن الأولاد ينسبون إلى الآباء.. (وأتومروا بينكم بمعروف) أي وليأمر كل منهما صاحبه بالخير، من المسامحة والرفق والإحسان.. (وإن تعاسرتم) أي تضايقتم وتشددتم، وعسر الاتفاق بين الزوجين، فأبى الزوج أن يدفع لها ما تطلب، وأبت الزوجة أن ترضعه بأنقص من ذلك الأجر (فسترضع له أخرى) أي فليستأجر لولده مرضعةً غيرها وهو خيرٌ بمعنى الأمر أي فليسترضع لولده مرضعةً أخرى.^(١) وفي الآية "أن الأم إذا طلبت إرضاعه أجر مثل واجب على الأب دفعها إليها وليس له أن يسترضع غيره، وفيه دليل أن الأم أولى بالحضانة، وقال الكيا: وفيها دلالة أن الأجر إنما تستحق بالفراغ من العمل".^(٢) وبعد أن ذكر سبحانه التعاسر بين الزوجين من أجل أجره الإرضاع، بيّن أن الإنفاق يكون على قدر الطاقة وعلى حسب وضع الزوج يساراً أو إفساراً فقال: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝}

سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝} لينفق ذو سعة من سعته: فيه الأمر لأهل السعة أن يوسعوا على المرضعات من نسائهم على قدر سعتهن، ومن قُدِرَ عليه رزقه أي: كان رزقه بمقدار القوت أو مضيق ليس بموسع فلينفق مما آتاه الله أي: مما أعطاه من الرزق ليس عليه غير ذلك، لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها أي: ما أعطاه من الرزق فلا يكلف الفقير بأن ينفق ما ليس في وسعه بل عليه ما يقدر عليه وتبلغ إليه طاقته مما أعطاه الله من الرزق، سيجعل الله بعد عسر يسراً أي: بعد ضيق وشدة سعة وغمى.^(٣)

(١) يُنظر: صفوة التفاسير ٣٧٨/٣

(٢) يُنظر: الإكليل في استنباط التنزيل ص ٢٦٧

(٣) يُنظر: فتح القدير ٢٩٣/٥

قال السيوطي رحمه الله: "فيها أن النفقة يراعى فيها حال المنفق يساراً أو إعساراً، وأن نفقة المعسر أقل من نفقة الموسر ولا حال المنفق عليها، واستدل بقوله {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا} مَنْ قَالَ لَا فسخ بالعجز عن الإنفاق للزوجة، وفي الآية استحباب مراعاة الإنسان حال نفسه في النفقة والصدقة".^(١)

^(١) يُنظر: الإكليل في استنباط التنزيل ص ٢٦٨

المطلب الثاني

تحذير المعاندين، ووعد المؤمنين، والتذكير بقدرة الله، الآيات (٨-١٢)

{وَكَايِّنَ مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا} ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ^ط فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَىٰ الْأَلْبَبِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّخُرْجِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ^ج وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ^ط قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

التفسير الإجمالي للآيات:

بعد بيان أحكام الطلاق والعدة وما يجب للمعتدة من نفقة وسكنى والنهي عن تجاوز حدود الله تعالى، توعده كل من خالف أمره وكذب رسله عليهم السلام بعقاب مماثل لعقاب الأمم الخالية التي كفرت وكذبت رسلها^(١) فقال: {وَكَايِّنَ مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا} ﴿٨﴾ وكايِّن من قرية عتت عن أمر ربها ورسله أي وكثير من أهل القرى عصوا أمر الله ورسله، وأعرضوا وتكبروا وتمردوا عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله، حاسبها الله بأعمالها التي عملتها في الدنيا، وعذب أهلها عذاباً عظيماً منكرًا في الآخرة، وفي الدنيا بالجوع والقحط والسيوف

(١) يُنظر: التفسير المنير ٢٨/٢٩٥

والخسف، وعبر سبحانه بقوله (فحاسبناها) و (عذبناها) بالماضي عن المستقبل في الآخرة للدلالة على التحقق والوقوع لوعيد الله مثل: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ} [النحل ١]، فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً أي: لقيت شدة أمرها وعقوبة كفرها، وكان مصيرها الخسران والهلاك والنكال في الدنيا، والعذاب في الآخرة، ففسدوا أنفسهم وأموالهم وأهلهم^(١)، قال القشيري: "من زرع الشوك لم يجنِ الورد، ومن أضاع حق الله لا يطاع في حظ نفسه، ومن اجتراً بمخالفة أمر الله فليصبر مقاساة عقوبة الله".^(٢)

ثم فسر الخسر أو استأنف الجواب لمن يقول: هل لها غير هذا في هذه الدار؟^(٣) فقال: {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ قَدْ

أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝} أعد الله لهم عذاباً شديداً أي هياً الله لهم عذاباً شديداً الوقع والألم لكفرهم وعتوهم وتمردهم، وهو عذاب النار، ثم ذكر الله تعالى العبرة من الإنذار والوعيد وهي حث المؤمنين على التقوى، فقال: (فاتقوا الله يا أولي الألباب) أي فخافوا عقاب الله يا أصحاب العقول الراجحة، والأفهام المستقيمة، فلا تكونوا مثلهم، فيصيبكم مثلما أصابهم، ثم أوضح لهم ما يذكرهم بنحو دائم، فقال: {الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ قَدْ أَنْزَلَ

اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} أي فاتقوا الله يا أولي العقول من هذه الأمة الذين صدقوا بالله ورسله، وأسلموا الله، واتبعوا رسولهم محمداً صلى الله عليه وسلم، قد أنزل الله إليكم ذكراً دائماً وهو القرآن العظيم، وأرسل إليكم رسولاً بهذا القرآن، فهو الترجمان الصادق، وهو الذي يبلغكم وحى الله، ويقرأ عليكم كلام الله وآياته في حال كونها بيينة واضحة جلية، يبين فيها للناس ما يحتاجون إليه من الأحكام، ليخرج الله بالآيات والرسول الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الصالحات من ظلمات الضلالة إلى

(١) يُنظر: التفسير المنير ٢٨/٢٩٥-٢٩٦

(٢) يُنظر: لطائف الإشارات ٣/٦٠٢

(٣) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٠/١٦٧

نور الهداية، ومن ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ثم أكرمهم ورجبهم ببيان جزاء الإيمان والعمل الصالح، فقال: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١٢﴾} أي ومن يصدق بالله، ويعمل العمل الصالح، فيجمع بين التصديق والعمل بما فرضه الله عليه، يدخله جنات، أي بساتين تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها أبداً على الدوام، وقد وسع الله له رزقه في الجنة. (١) وفي هذا قال القشيري كلاماً جميلاً عن الرزق الحسن: "والرزق الحسن ما كان على حد الكفاية لا نقصان فيه تتعطل الأمور بسببه، ولا زيادة فيه تشغله عن الاستمتاع بما رُزق لحرصه، كذا أرزاق القلوب أحسنها أن يكون له من الأحوال ما يشتغل به في الوقت من غير نقصان يجعله يتعذب بتعطشه، ولا تكون فيه زيادة فيكون على خطر من مغاليط لا يخرج منها إلا بتأييد سماوي من الله". (٢) ثم يجيء ذلك الإيقاع الكوني الهائل فيربط موضوع السورة وتشريعاتها وتوجيهاتها بقدر الله وقدرته الله وعلم الله في المجال الكوني العريض (٣) فيقول: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٣﴾} الله الذي خلق سبع سموات: أي إن الله هو الذي أبدع السموات السبع، والأرضين السبع، أي سبعة مثل السموات السبع، يتنزل أمر الله وقضاؤه وحكمه ووحيه من السموات السبع إلى الأرضين السبع. (٤) ولم يذكر في القرآن كون الأرضين سبعاً إلا هنا، (٥) قال القرطبي: "اختلف فيهن على قولين: أحدهما: وهو قول الجمهور، أنها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض، بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والسماء، وفي كل أرض سكان من خلق الله، وقال الضحاك: ومن

(١) يُنظر: التفسير المنير ٢٨/٢٩٦-٢٩٧

(٢) يُنظر: لطائف الإشارات ٣/٦٠٢-٦٠٣

(٣) يُنظر: في ظلال القرآن ٦/٣٦٠

(٤) يُنظر: التفسير المنير ٢٨/٢٩٧

(٥) يُنظر: الإكليل في استنباط التنزيل ص ٢٦٨

الأرض مثلهن أي: سبعاً من الأرضين ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السماوات، والأول أصح لأن الأخبار دالة عليه في الترمذي والنسائي وغيرهما^(١) ومن الأحاديث التي تؤكد ما رجحه القرطبي واستدل بها:

ما رواه مسلم عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوّقه من سبع أرضين))^(٢) وعن عطاء ابن أبي مروان عن أبيه أن كعباً حلف له بالذي فلق البحر لموسى أن صهيياً حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يرى قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها: ((اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الرياح وما ذرين، ورب الشياطين وما أضللن، نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرّها وشرّ أهلها وشرّ ما فيها)).^(٣)

(لتعلموا أن الله على كل شيء قدير) أي: فعل ذلك لتعلموا كمال قدرته وإحاطته بالأشياء، وهو معنى (وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) فلا يخرج عن علمه شيء منها كائناً ما كان.^(٤) وقد قال الماوردي في قوله تعالى {لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}: "لأن من قدر على هذا الملك العظيم فهو على ما بينهما من خلقه أقدر، ومن العفو والانتقام أمكن، وإن استوى كل ذلك في مقدوره ومكنته، {وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} أوجب التسليم بما تفرد به من العلم كما أوجب التسليم بما تفرد به من القدرة".^(٥)

وهكذا تخدم السورة بهذا الإيقاع الذي يهول ويروع بقدر ما يحرك القلوب لتخبت وتطيع، فسبحان خالق القلوب العليم بما فيها من المنحنيات والدروب.^(٦)

(١) يُنظر: تفسير القرطبي ١٧٤/١٨-١٧٥

(٢) أخرجه مسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، ح ١٦١٠، ١٢٣١/٣

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب المسافر، ذكر ما يستحب للمرء الإيضاح إذا دنا من بلده، ح ٢٧٠٩،

٤٢٥-٤٢٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٢٧٥٩، ٦/٦٠٩

(٤) يُنظر: فتح القدير ٢٩٥/٥-٢٩٦

(٥) يُنظر: النكت والعيون ٣٧/٦

(٦) يُنظر: في ظلال القرآن ٣٦٠٧/٦

المبحث الثالث: مقاصد سورة الطلاق وتوجيهاتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان أحكام الطلاق.

المطلب الثاني: الأمر بتقوى الله والتزام حدوده.

المطلب الأول

بيان أحكام الطلاق

وبعدّ هذا هو المقصد العام للسورة ولعل اسمها يدل على ذلك، فقد شرع الله في هذه السورة تشريعات ونهى عن أمور كلها تخصّ الطلاق، ومن يتأمل هذه الأحكام يرى أنها كلها لضمان حق المرأة من الضياع والضرر، كما أن فيها أيضاً ضماناً لحق الرجل، فنلاحظ:

١- أن الله تعالى أمر في حال الطلاق أن تطلق المرأة في طهر لم تجامع فيه ، ونهى عن الطلاق وقت الحيض أو في طهر جومعت فيه لئلا يكون ذلك ضرراً عليها، {يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ} [الطلاق ١].

٢- وأمر بإحصاء العدة وضبط وقتها حفظاً لحق الله وحق الزوج {وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ} [الطلاق ١].

٣- ونهى عن إخراجهن من البيوت التي كن فيها {لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ} [الطلاق ١]، وذلك خلال فترة العدة، حيث فرض سبحانه للمطلقة السكنى والنفقة حسب الاستطاعة، وأمر الرجل بالإنفاق على المطلقة الحامل حتى تضع حملها، وفرض لها أجراً على إرضاع ولدها، وكل هذا حفظاً لحقوقها وصوناً لكرامتها، وهذا الإنفاق يكون حسب استطاعة الرجل {لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ} ^ط وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَتْهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَتْهَا} [الطلاق ٧].

٤- أمر سبحانه في الآيات مَنْ يريد إرجاع زوجته المطلقة أن يرجعها بمعروف وإحسان لا بضرر وانتقام، ومن أراد أن يفارقها فليفارقها أيضاً بمعروف وإحسان {فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} [الطلاق ٢].

٥- بيّنت الآيات عدّة الكبيرة التي انقطع حيضها والصغيرة التي لم تحض بأنها ثلاثة أشهر، وعدة النساء الحوامل المطلقات هي وضع الحمل دون اعتبار آخر {وَالَّتِي يَبْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ تَحْضَنْ^ج وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق ٤].

إن آيات سورة الطلاق نظمت العلاقة بين الرجل وطليقته، وأطرتها بإطار المعروف والإحسان وعدم التشاجر والتظالم وهضم الحقوق، فقله تعالى: {وَأَتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ} [الطلاق ٦]، خير دليل على أن المعاملة الحسنة والمعاشرة الطيبة بين الرجل وزوجته ضرورة لازمة في كل الأحوال، في حال الوفاق وفي حال الطلاق، وما عليهما إلا الاحتكام لشرع الله والتزام حدوده التي بيّنها خاصة في سورة الطلاق حتى يجعل لهم الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر.

المطلب الثاني

الأمر بتقوى الله والتزام حدوده

حين شرع الله وبيّن أحكام الطلاق في الآيات خلّل هذه الآيات الأمر بالتقوى والتحذير من تجاوز حدوده، وتجلّى هذا المقصد بما يلي:

١- بعد أن أمر الله بعدم الطلاق إلا في طهر لم تجامع فيه المرأة، ونهى عن إخراجهن من البيوت أثناء العدة، أردف ذلك قائلاً سبحانه: {وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ

حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ} [الطلاق ١]، فأحكام الله هي حدوده التي لا يجوز لنا تجاوزها، ومن يتجاوزها فقد عرض نفسه لعقوبة الله وغضبه، كما أن هذه الأحكام وغيرها شرعت لصالح دين العبد ودنياه وآخرته، فمن تجاوزها خسر خسراناً عظيماً.

٢- أمر سبحانه بالتقوى في هذه السورة ثلاث مرات وبيّن ثمرة التقوى في كل مرة حيث أن التقوى هي الوقاية من عذاب الله وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه، ومن كان متقياً لله طبق أحكامه:

* فبعد أن أمر الرجل بإمساك زوجته بمعروف أو مفارقتها بمعروف، بيّن أن من يتق الله سيفرج الله همه ويرزقه الرزق الكريم في الدنيا والآخرة فقال: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق ٢-٣].

* وبعد أن بيّن عدة الآيسة والصغيرة أتبع ذلك بأن من يتق الله سيجعل الله التيسير لأمره كلها والتوفيق في دنياه وأخراه فقال: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق ٤].

* وبعد أن أجمل سبحانه الأحكام في الطلاق أخبر بأن هذه الأحكام منزلة من عنده وغايتها صلاح أمور دنياكم وأخراكم أتبع ذلك بأن من يتق الله سيغفر له ذنوبه ويعطيه

أَجْرًا عَظِيمًا مُضَاعَفًا فَقَالَ: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا} [الطلاقه].

وهكذا تبين أن الله سبحانه ركّز على ذكر التقوى وآثارها في هذه السورة ثلاث مرات، وذلك للتأكيد والتنبيه على أهمية التقوى في حياة المسلم، وأنها سبب سعادته في الدارين، وقد ختم سبحانه السورة أيضاً ببيان كمال قدرته وإحاطة علمه، مما يدفع الإنسان ليتقي ربه ويطيع أوامره ويلتزم حدوده التي شرعها سبحانه له {لَتَعْمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}.

الفصل الثالث: سورة التحريم، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بين يدي السورة.

المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة.

المبحث الثالث: مقاصد سورة التحريم وتوجيهاتها.

المبحث الأول: بين يدي السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها.

ثانياً: سبب نزولها.

المطلب الثاني: أولاً: موضوعها.

ثانياً: فضلها.

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها.

المطلب الأول

أولاً: اسمها وترتيبها:

سورة {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} [التحریم ١]، سميت "سورة التحريم" في كتب السنة وكتب التفسير، ووقع في رواية عن أبي ذر الهروي "لصحيح البخاري" تسميتها باسم سورة "اللّم تحرم" بتشديد اللام، وفي الإتيان تسمى سورة "اللّم تحرم" وفي تفسير الكوشي، أي: بهمزة وصل وتشديد اللام مكسورة وبفتح الميم وضم التاء محققة وتشديد الراء مكسورة بعدها ميم على حكاية جملة (لم تحرم) وجعلها بمنزلة الاسم وإدخال لام التعريف العهد على ذلك اللفظ وإدغام اللامين^(١) وذكر القرطبي في تفسيره بأنها "سورة النبي"^(٢) وذكر الألوسي في تفسيره أن ابن الزبير سماها "سورة النساء"^(٣) ولم يذكر السيوطي في الإتيان هذين الاسمين، ولم أجد أحداً ذكر هذين الاسمين غيرهما. هي سورة مدنية بإجماع أهل العلم بلا خلاف^(٤) وهي معدودة الخامسة بعد المائة في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الحجرات وقبل سورة الجمعة، واتفق أهل العلم على أن عدة آياتها اثنا عشرة^(٥) وكلماتها مائتان وأربعون، وحروفها ألف وستون^(٦) وهي السورة السادسة والستون في ترتيب المصحف، فهي بعد سورة الطلاق وقبل سورة الملك.

ثانياً: سبب نزولها: الصحيح في نزولها روايتان:

الأولى: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب نبت جحش ويشرب عندها عسلاً، فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل: إني أجد منك ريح مغاير، أكلت مغاير؟ فدخل على إحدهما

(١) يُنظر: التحرير والتنوير ٣٤٣/٢٨

(٢) يُنظر: تفسير القرطبي ١٧٧/١٨

(٣) يُنظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المتوفى ١٢٧٠هـ، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، عدد الأجزاء: ١٦، ٣٤١/١٤

(٤) يُنظر: تفسير ابن عطية ٣٢٩/٥

(٥) يُنظر: التحرير والتنوير ٣٤٣/٢٨

(٦) يُنظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤٧١/١

فقالت له ذلك، فقال: ((لا، شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له)) فنزلت {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} [التحریم ١]، إلى {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ} [التحریم ٤]، لعائشة وحفصة، {وَإِذْ أَسْرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ} [التحریم ٣]، لقوله: "بل شربت عسلاً".^(١)

الثانية: عن عمر رضي الله عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأُمّ ولده مارية في بيت حفصة فوجدته حفصة معها فقالت: لِمَ تدخلها بيتي؟ ما صنعت بي هذا من بين نسائك إلا من هواني عليك، فقال لها: ((لا تذكرني هذا لعائشة، هي عليّ حرام إن قربتها، فقالت: كيف تحرم عليك وهي جاريتك؟ فحلف لها لا يقربها وقال لها: لا تذكره لأحد)) فذكرته لعائشة فألى ألا يدخل على نسائه شهراً واعتزلهن تسعاً وعشرين ليلة، فأنزل الله تبارك وتعالى: {لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} [التحریم ١]^(٢) وقد رجّح المفسرون إحدى الروایتين على الأخرى ومنهم من جمع بينهما، فالقرطبي رجح الرواية الأولى فقال: "إنما الصحيح أنه كان في العسل وأنه شربه عند زينب وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه، وجرى ما جرى فحلف ألا يشربه وأسرّ بذلك، ونزلت الآية في الجميع"^(٣) وكذلك ابن كثير قال: "والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل"^(٤) والأرجح هو الجمع بين الروایتين وعدم ردّ إحداهن، كما قال الشوكاني: "هذان سبيان صحيحان لنزول الآية والجمع ممكن بوقوع القصتين، قصة العسل وقصة مارية، وأن القرآن نزل فيهما جميعاً وفي كل واحد

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطلاق، باب (لم تحرم ما أحل الله لك)، ح ٥٢٦٧، ٤٤/٧، وأخرجه مسلم، كتاب الطلاق،

باب وجوب الكفارة على من حرّم امرأته ولم ينو الطلاق، ح ١٤٧٤، ١١٠٠/٢

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٣٩، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب العين، الضحّاك عن ابن

عباس، ح ١٢٦٤٠، والدارقطني في كتاب الطلاق والخلع والإيلاء وغيره، ح ٤٠١٣، ٧٥/٥، وأخرجه الحاكم في كتاب

التفسير، باب تفسير سورة التحريم، ح ٣٨٢٤، ٥٣٥/٢، وقال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي

(٣) يُنظر: تفسير القرطبي ١٧٩/١٨

(٤) يُنظر: تفسير ابن كثير ١٦٠/٨

منهما أنه أسرّ الحديث إلى بعض أزواجه^(١) وقال ابن حجر في شرح صحيح البخاري:
"فيحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين معاً".^(٢)

(١) يُنظر: فتح القدير ٣٠٠/٥

(٢) يُنظر: فتح الباري لابن حجر ٦٥٧/٨

المطلب الثاني

أولاً: موضوعها:

هذه السورة تتضمن بعض أحكام التشريع الخاصة بأمهات المؤمنين لتكون نموذجاً يُحتذى لجميع الأمة، ابتدأت السورة بعتاب النبي صلى الله عليه وسلم على تحريمه على نفسه شيئاً مباحاً وهو العسل (أو تحريمه مارية رضي الله عنها كما ذكر في سبب النزول) إرضاءً لبعض أزواجه، ثم وجهت العتاب لبعض أزواج النبي لإفشاءهن السر حين أسر النبي صلى الله عليه وسلم إلى زوجته حفصة فأخبرت به عائشة رضي الله عنها مما أغضب النبي صلى الله عليه وسلم وهم بتطليق أزواجه وهدّدهن الله بإبداله أزواجاً خيراً منهن، وناسب هذا التذكير باتقاء أهل الإيمان النار والترهيب من الجزاء وبالتوبة النصوح وبجهاد الكفار والمنافقين من غير انشغال بأحوال البيت والأسرة من أزواج وأولاد، وختمت السورة بضرب مثلين عظيمين، أحدهما للكافرين والثاني للمؤمنين، والأول مثل الزوجة الكافرة _ امرأة نوح وامرأة لوط _ عند الرجل المؤمن الصالح، والثاني مثل الزوجة المؤمنة _ امرأة فرعون _ عند الرجل الكافر الفاجر، ومثل المرأة الحرة النقية البتول في غير عصمة أحد (مريم ابنة عمران) تنبيهاً للناس على وجوب اعتماد الإنسان على نفسه وأنه لا يغني في الآخرة أحد عن أحد، ولا ينفع حسب ولا نسب إذا ساء العمل.^(١)

ثانياً: فضلها:

لم يصح في فضلها من الأحاديث سوى أنها من السور المفصل التي أوتيها النبي صلى الله عليه وسلم نافلة ففُضِّل بها على سائر الأنبياء^(٢) فعن واثلة بن الأسقع^(٣) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أُعطي مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المئين، ومكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلَت بالمُفَصَّل)).^(٤)

(١) يُنظر: التفسير المنير ٣٠١/٢٨

(٢) يُنظر: موسوعة فضائل سور وآيات القرآن ١٣٤/٢، ١٨٧

(٣) سبق ترجمته ص ١٦

(٤) سبق تخريجه ص ١٦

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها:

أ- لما قبلها: تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها (سورة الطلاق) من وجوه ثلاثة:

- ١- افتتاح السورتين كلتيهما بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم.
- ٢- اشتراك السورتين في الأحكام المخصصة بالنساء، فالأولى سورة الطلاق في بيان أحكام الطلاق والعدة وحقوق المعتدة وحسن المعاشرة، وهذه السورة في موقف بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم وكيفية معاملة النبي لهن بالحسنى واللين والنصح.
- ٣- إن سورة الطلاق المتقدمة في تحريم ما أحل الله بالطلاق، وإنهاء خصومة بعض نساء الأمة، وهذه السورة في تحريم ما أحل الله من نوع آخر بالإيلاء وإنهاء خصومة نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وإفرادها بأحكامهن تعظيماً لهن، لذا ختمت بذكر زوجته في الجنة آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران.^(١)

ب- لما بعدها: وجه تعلقها بما بعده (سورة الملك) من وجهين:

- ١- وجه عام: وهو أن سورة الملك تؤكد مضمون السورة السابقة (التحريم) في جملتها، فالسورة المتقدمة تبين مدى قدرة الله وهيمنته وتأبيده لرسوله صلى الله عليه وسلم في مواجهة احتمال ظهور تأمر امرأتين ضعيفتين من نسائه عليه، وسورة الملك توضح بصيغة عامة أن بيد الله ملك السماوات والأرض ومن فيهن وأنه القدير على كل شيء.
- ٢- وجه خاص: وهو أنه تعالى ذكر في آخر (التحريم) مثالين فريدين بامرأتي نوح ولوط الكافرتين، وبامرأة فرعون المؤمنة، ومريم العذراء البتول للمؤمنين، وسورة الملك تدل على إحاطة علم الله تعالى وتدبيره وإظهاره في خلقه من العجائب والغرائب، فإن كفر امرأتي نوح ولوط لم يمنع اتصالهما بنبيين كريمين، وإيمان امرأة فرعون لم يضر به اتصالها بفرعون الطاغية الجبار العنيد، كما لم يززع إيمان مريم حملها غير المعهود بعيسى عليه السلام.^(٢)

(١) يُنظر: التفسير المنير ٣٠٠/٢٨

(٢) يُنظر: المرجع السابق ٦-٥/٢٩

المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع بعض أزواجه، ثم نداء للمؤمنين والكافرين، الآيات (١-٨).

المطلب الثاني: أمر للنبي بجهاد الكفار والمنافقين، ثم ضرب مثلين لنساء كافرات، ومثلين لنساء مؤمنات، الآيات (٩-١٢).

المطلب الأول

قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع بعض أزواجه، ثم نداء للمؤمنين والكافرين

(الآيات ١-٨)

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنَّ تَتُوبَآ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴿٤﴾ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلْحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٥﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسَلِّمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنِيتٍ تَتَّبِعْتِ عِبْدَاتٍ سَلَحَتْ نَيْبَتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾}

التفسير الإجمالي للآيات:

لَمَّا ختم سبحانه الطلاق بإحاطة علمه وتنزل أمره بين الخافقين في تدبيره، دلّ عليه أول هذه بإعلاء أمور الخلق بأمر وقع بين خير خلقه وبين نسائه اللاتي من خير النساء..^(١) فقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ} وَاللَّهُ

غَفُورٌ رَحِيمٌ {١} افتتاح السورة بنداء النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء تنبيهه على أن ما سيذكر بعده مما يهتم به النبي صلى الله عليه وسلم والأمة، ولأن سبب النزول كان من علاقته.. أي: لا يوجد ما يدعو إلى أن تحرّم على نفسك ما أحل الله لك، ذلك أنه لما التزم عدم العود إلى ما صدر منه التزاماً بيمين أو بدون يمين أراد الامتناع منه في المستقبل قاصداً بذلك تطمين أزواجه اللاتي تملأن عليه لفرط غيرتهن، أي: ليست غيرتهن ما تجب مراعاته في المعاشرة إن كانت فيما لا هضم فيه لحقوقهن ولا هي من إكرام إحداهن لزوجها إن كانت الأخرى لم تتمكن من إكرامه بمثل ذلك الإكرام في بعض الأيام، وهذا يومئ إلى ضبط ما يراعى من الغيرة وما لا يراعى.. وما أحله الله لعبده ينبغي أن يتمتع به ما لم يعرض له ما يوجب قطعه من ضرر أو مرض، لأن تناوله شكر الله واعتراف بنعمته والحاجة إليه، وفي قوله: (تبتغي مرضاة أزواجك) عذر للنبي صلى الله عليه وسلم فيما فعله من أنه أراد به خيراً وهو جلب رضا الأزواج لأنه أعون على معاشرته مع الإشعار بأن مثل هذه المرضاة لا يُعبأ بها لأن الغيرة نشأت عن مجرد معاكسة بعضهن بعضاً، وذلك مما يختلّ به حسن المعاشرة بينهن، فأنبأه الله أن هذا الاجتهاد معارض بأن تحرّم ما أحل الله له يُفضي إلى قطع كثير من أسباب شكر الله عند تناول نعمه، وأن ذلك ينبغي إبطاله في سيرة الأمة، (والله غفور رحيم) استثناساً للنبي صلى الله عليه وسلم من وحشة هذا الملام أي: والله غفور رحيم لك مثل قوله: {عَفَا اللَّهُ

عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ} [التوبة ٤٣].^(٢) وبما أن "أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته مصدر تشريع للأمة، لذا كانت المبادرة إلى تنبيهه أن الامتناع عن المباح

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٧٩/٢٠

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير ٣٤٦-٣٤٧

لغير مصلحة معتبرة سابقة تشريعية قد تؤدي إلى حرج الأمة، فكان الأمر بالرجوع عن هذا الموقف الاجتهادي^(١) واستدل بالآية على أن من حرم على نفسه أمة أو طعاماً أو زوجةً لم تحرم عليه وتلزمه كفارة اليمين^(٢) ثم بيّن سبحانه الحكم فقال: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} أي شرع الله لكم تحليل أيمانكم بأداء الكفارة المقررة في سورة المائدة {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُكُمْ بِطَعَامٍ عَشْرَةَ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ {المائدة ٨٩}، وبين لكم ذلك، وليس لأحد أن يحرم ما أحل الله، فالتحليل والتحرير إلى الله سبحانه، فإن فعل الإنسان شيئاً من ذلك لا ينعقد ولا يلزم صاحبه، والله متولي أموركم وناصركم على الأعداء، وهو العليم بما فيه صلاحكم وفلاحكم، الحكيم في أقواله وأفعاله وتدبير أموركم^(٣) ومن آثار هذه الآية ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لو فد عبد القيس بعد أن استحمله وحلف أن لا يحملهم إذ ليس عنده ما يحملهم عليه فجاءه ذودٌ من إبل الصدقة فقال لهم: ((واني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني وفعلت الذي هو خير)).^(٤) ثم ذكر الدليل على إحاطة علم الله بكل شيء^(٥) فقال: {وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ

(١) يُنظر: مقالة أ.د. مصطفى مسلم على موقع شبكة الألوكة الشرعية/0/47912/www.alukah.net

بعنوان: التفسير الموضوعي لسورة التحريم

(٢) يُنظر: الإكليل في استنباط التنزيل ص ٢٦٩

(٣) يُنظر: التفسير المنير ٣٠٧/٢٨

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير ٣٤٧/٢٨، والحديث أخرجه البخاري عن أبي بردة عن أبيه، كتاب الأيمان والنذور، باب

قوله تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم..)، ح ٦٦٢٣، ١٢٨/٨

(٥) يُنظر: التفسير المنير ٣٠٨/٢٨

وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ

الْخَبِيرُ ﴿٢﴾} وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً: قال أكثر المفسرين هي حفصة رضي الله عنها، والحديث هو تحريم مارية أو العسل..، (فلما نبأت به) أي: أخبرت به غيرها، وأظهره الله عليه أي: أطلع الله نبيه على ذلك الواقع منها من الإخبار لغيرها، عرّف بعضه أي: عرّف حفصة بعض ما أخبرت به..، (وأعرض عن بعض) أي: وأعرض عن تعريف بعض ذلك كراهة أن ينتشر في الناس، وقيل: الذي أعرض عنه هو حديث مارية.. (فلما نبأها به) أي: أخبرها بما أفشت من الحديث، قالت من أنبأك هذا أي: مَنْ أخبرك به قال: نبأني العليم الخبير أي: أخبرني الذي لا تخفى عليه خافية. ^(١) ويستدل بهذه الآية "بأنه لا بأس بإسرار الحديث إلى من يركن إليه من زوجة أو صديق وأنه يلزمه كتمه، وفيها حسن العشرة مع الزوجات والتلطف في العتاب والإعراض عن استقصاء الذنب". ^(٢)

وبعد أن بين سبحانه ما وقع منهما من تظاهرها على النبي صلى الله عليه وسلم وإفشاء سره عاتبهما وأرشدتهما إلى التوبة فقال: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا

وَأِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ

بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أردت أن أسأل عمر

رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فما أتممت كلامي حتى قال: "عائشة وحفصة" ^(٣) إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما: الخطاب لعائشة وحفصة رضي الله عنهما أي: إن تتوبا إلى الله فقد وجد منكما ما يوجب التوبة..، والمراد بالتظاهر: التعاضد والتعاون، والمعنى: وإن تعاضدا وتعاوننا في الغيرة عليه منكما وإفشاء سره، فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين

^(١) يُنظر: فتح القدير ٢٩٨/٥

^(٢) يُنظر: الإكليل في استنباط التنزيل ص ٢٦٩

^(٣) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً)، ح ٤٩١٤، ١٥٨/٦

أي: فإن الله يتولى نصره، وكذلك جبريل ومن صلح من عباده المؤمنين فلن يعدم ناصرًا ينصره، والملائكة بعد ذلك أي: بعد نصر الله ونصر جبريل وصالح المؤمنين، (ظهير) أي: أعوان يظاهرونه.^(١) قال الزمخشري: بأن الله ذكر جبريل وقرن ذكره بذكره مفرداً له من بين الملائكة تعظيماً له وإظهاراً لمكانته عنده.^(٢)

وبعد أن أمرهما سبحانه بالتوبة وبيّن أنه تولى نصرته صلى الله عليه وسلم حدّهما وهدّهما بالطلاق واستبدلهن بأزواج خير منهن فقال: {عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكُمْ مَّسَلَمَتٍ مُّؤْمِنَةٍ قَلْبَتْ تَبَيَّتْ عِبْدَاتٍ

سَبَّحَتْ تَبَيَّتْ وَأَبْكَارًا} عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن أي: يعطيه بديلن أزواجاً أفضل منكن، وقد علم سبحانه أنه لا يطلقهن ولكن أخبر على قدرته على أنه إن وقع منه الطلاق أبدله خيراً منهن تخويفاً لهن، وهو كقوله: {وَإِنْ تَوَلَّوْا

يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} [سورة محمد ٣٨]، فإنه إخبار عن القدرة وتخويف لهن، ثم نعت سبحانه الأزواج بقوله: (مسلمات مؤمنات) أي: قائمات بفرائض الإسلام مصدقات بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره، وقال سعيد بن جبیر: مسلمات أي: مخلصات، وقيل معناه: مسلمات لأمر الله ورسوله، (قانتات) مطيعات لله، والقنوت: الطاعة، وقيل: مصليات، (تائبات) يعني من الذنوب، (عابدات) عابدات لله متذللات له، قال الحسن وسعيد بن جبیر: كثيرات العبادة، (سائحات) أي: صائمات، وقال زيد بن أسلم: أي: مهاجرات وليس في أمة محمد صلى الله عليه وسلم سياحة إلا الهجرة، قال ابن قتبية والفراء وغيرهما: وسمي الصيام سياحة لأن السائح لا زاد معه، وقيل: المعنى ذاهبات في طاعة الله من ساح الماء إذا ذهب، وأصل السياحة الجولان في الأرض، (تبيات وأبكاراً) وسط بينهما العاطف لتنافيهما، والتبيات جمع تيب وهي المرأة التي تزوجت ثم ثابتت عن زوجها فعادت كما كانت غير ذات زوج، والأبكار جمع بكر وهي العذراء سميت بذلك

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٩٨/٥-٢٩٩

(٢) يُنظر: الكشف ٥٦٦/٤

لأنها على أول حالها التي خُلقت عليها^(١) وهذه الآية من الثلاث التي وافق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ربه فيها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: "وافقت ربي في ثلاث: فقلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة ١٢٥]، وآية الحجاب قلت يا رسول الله: لو أمرت نساءك أن يتحجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن فنزلت هذه الآية.^(٢)

وبعد أن عاتب سبحانه أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهن وحذرهن ووعظهن، فقال تعالى متبعا لهذه الموعظة الخاصة بموعظة عامة دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للأقرب فالأقرب^(٣) فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُواْ

أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ

لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦١﴾} يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم

بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه، (وأهليكم) بأمرهم بطاعة الله ونهيهم عن معاصيه، (نارا وقودها الناس والحجارة) أي: نارا عظيمة تتوقد بالناس والحجارة كما يتوقد غيرها بالحطب.^(٤) وهذا وصف عظيم للنار "الناس فيها كالحجارة، سواء في مهانة الحجارة وفي رخص الحجارة وفي قذف الحجارة دون اعتبار ولا عناية، وما أفضعها نارا هذه التي توقد بالحجارة! وما أشده عذابا هذا الذي يجتمع إلى شدة اللذع المهانة والحقارة! وكل ما بها وما يلبسها فظيع رهيب"^(٥) قال مقاتل بن سليمان: المعنى: قوا أنفسكم وأهليكم بالأدب الصالح النار في الآخرة، وقال قتادة ومجاهد: قوا أنفسكم بأفعالكم وأهليكم بوصيتكم، قال

(١) يُنظر: فتح القدير ٢٩٩/٥

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة ومن لم ير الإعادة على من سها فصلى إلى غير القبلة،

ح ٤٠٢، ٨٩/١

(٣) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٩٦/٢٠

(٤) يُنظر: فتح القدير ٣٠٢/٥

(٥) يُنظر: في ظلال القرآن ٣٠٦١٨/٦

ابن جرير: فعلينا أن نعلم أولادنا الدين والخير وما لا يُستغنى عنه من الأدب، ومن هذا قوله: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} [طه ١٣٢]، وقوله: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء ٢١٤].^(١) وتدل هذه الآية على "أن الرجل يجب عليه تعلم ما يجب من الفرائض وتعليمه زوجه وولده وعبدته وأمتة"^(٢) (عليها ملائكة غلاظ شداد) أي: على النار خزنة من الملائكة يلون أمرها وتعذيب أهلها، غلاظ على أهل النار شداد عليهم لا يرحمونهم إذا استرحمهم، لأن الله سبحانه خلقهم من غضبه وحبب إليهم تعذيب خلقه.. (لا يعصون الله ما أمرهم) أي: لا يخالفونه في أمره..، ويفعلون ما يؤمرون: يؤدونه في وقته دون تراخٍ، ولا يؤخرونه عنه ولا يقدمونه^(٣) قال الزمخشري: " (لا يعصون الله ما أمرهم) و (يفعلون ما يؤمرون) فإن قلت: أليست الجملتان في معنى واحد؟ قلت: لا، فإن معنى الأولى: أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها، ومعنى الثانية: أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه".^(٤)

وبعد أن حذر سبحانه المؤمنين من النار التي عليها الغلاظ الشداد "وعظ المؤمنين بما يقال للكافرين عند دخولهم النار"^(٥) فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ

إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم أي: يقال لهم هذا القول عند إدخالهم النار تأسيساً لهم وقطعاً لأطماعهم، إنما تجزون ما كنتم تعملون من الأعمال في الدنيا، ومثل هذا قوله: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} [الروم ٥٧].^(٦) ولما أفهم الأمر بالوقاية والمدح

(١) يُنظر: فتح القدير ٣٠٢/٥

(٢) يُنظر: الإكليل في استنباط التنزيل ص ٢٦٩

(٣) يُنظر: فتح القدير ٣٠٢/٥

(٤) يُنظر: الكشاف ٥٦٨-٥٦٩/٤

(٥) يُنظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٣٢١/٦

(٦) يُنظر: فتح القدير ٣٠٢/٥

للملائكة أن المأمورين بالوقاية مقصرون، قال مرشداً إلى دواء التقصير^(١) {يَتَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ

النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ

رَبَّنَا أَتْمَمَ لَنَا نُورَنَا وَآغْفَرَ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يا أيها الذين

آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً أي: يا من آمنتم بالله حق الإيمان، توبوا إلى الله تعالى

توبة صادقة بحيث تندمون على ما فرط منكم من ذنوب، وتعزمون على عدم العودة إليها،

وتستمرون على توبتكم طوال حياتكم، فإنكم متى فعلتم ذلك غفر الله لكم ذنوبكم، وكفر

عنكم سيئاتكم، وأدخلكم جنات تجري من تحت أشجارها وثمارها الأنهار.

يدخلكم الله- بفضله وكرمه- جنات تجري من تحتها الأنهار يوم القيامة، يوم ينجي

سبحانه النبي صلى الله عليه وسلم وينجي الذين آمنوا معه من عذاب النار، ومن خزي

هذا اليوم العصيب، وهم جميعاً وعلى رأسهم الرسول صلى الله عليه وسلم نورهم وهم على

الصراط، يسعى ويمتد وينتشر بين أيديهم أي: أمامهم وبأيمانهم أي: وعن أيمانهم،

ويقولون- على سبيل الحمد والشكر لله: يا ربنا أتمم لنا نورنا بأن تزيده ولا تنقصه حتى

ندخل جنتك.

واغفر لنا ذنوبنا إنك يا ربنا، فأنت على كل شيء قدير، وفي عطف الذين آمنوا على

النبي صلى الله عليه وسلم إشعار بأن سبب انتفاء خزيهم، هو إيمانهم الصادق، وعملهم

الصالح، وصحبتهم الكريمة للنبي صلى الله عليه وسلم.^(٢) وفي هذه الآية دليل على

المغفرة لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.^(٣)

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٠٠/٢٠

(٢) يُنظر: التفسير الوسيط ٤٧٨/١٤-٤٧٩ (بتصرف)

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير ٣٧٠/٢٨

عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قول الله عز وجل: {يَوْمَ لَا تُخْزَى
اللَّهُ النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ} نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ
يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا{[التحريم ٨]، قال: "ليس أحد من الموحدين إلا يعطى نوراً
يوم القيامة، فأما المنافق فيطفئ نوره والمؤمن مشفق مما رأى من إطفاء نور المنافق فهو
يقول: ربنا أتمم لنا نورنا".^(١)

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب التفسیر، باب تفسیر سورة التحريم، ح ٣٨٣٢، ٥٣٨/٢، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: فيه عتبة، وعتبة وإه

المطلب الثاني

أمر النبي بجهاد الكفار والمنافقين، ثم ضرب مثلين لنساء كافرات ومثلين لنساء

مؤمنات، الآيات (٩-١٢)

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ^ج وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ^ط
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ
لُوطٍ^ط كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ
وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرِيَمَ
ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ
بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهَا وَكَانَتْ مِنَ الْغَنِيِّينَ ﴿١٢﴾}

التفسير الإجمالي للآيات:

بعد أن أمر الله نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالتوبة عما حدث من الزلات وحذرهم من مخالفته، ووعظهم وأدبهم وهددهم بالطلاق، أمر المؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم من النار بترك المعاصي وفعل الطاعات، ثم أخبر بأن الكافرين لن ينفعهم الاعتذار، ثم أمر المؤمنين بالتوبة الخالصة النصوح، ثم توج جميع ذلك الأمر بجهاد الكفار المعتدين والمنافقين المستترين، والمجاهدة قد تكون بالقتال وقد تكون بالحجة والبرهان^(١) فقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ^ج وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ^ط

(١) يُنظر: التفسير المنير ٣١٦/٢٨ (بتصرف)

وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين: أي يا أيها الرسول النبي

قاتل الكفار بالسيف، والمنافقين بالحجة والبرهان وإقامة الحدود عليهم إذا ارتكبوها، وشدد عليهم في الدعوة إلى الإسلام في الدنيا، واستعمل العنف والقسوة والشدة مع الفريقين، فيما تجاهد هما به من القتال والمحاجة والوعيد...، ومأواهم جهنم وبئس المصير وسيكون مقر الفريقين ومسكنه في الآخرة جهنم، وبئس المرجع والمثوى والمقيل.^(١)

ولما كان أمر الاستئصال في الإنجاء والإهلاك أشبه شيء بحال أهل الآخرة في الدينونة بالعدل والفضل وكان المفتاح به السورة عتاب النساء، ثم أتبع الأمر بالتأديب لجميع الأمة إلى أن ختم بهلاك المخالف في الدارين، وكان للكفار قرابات بالمسلمين وكانوا يظنون أنها ربما تنفعهم، وللمسلمين قرابات بالكفار وكانوا ربما توهّموا أنه لا تضرهم، قال مجيباً لما يتخيل من ذلك تأديباً لمن ينكر عليه صلى الله عليه وسلم من النساء وغيرهم^(٢) {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾} ضرب الله مثلاً للذين كفروا: المثل قد يراد به إيراد حالة غريبة يُعرف بها حالة أخرى مماثلة لها في الغرابة أي: جعل الله مثلاً لحال هؤلاء الكفرة وأنه لا يُغني أحد عن أحد، امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين: وهما نوح ولوط عليهما السلام أي: كانتا في عصمة نكاحهما، (فخانتاهما) أي: فوقعت منهما الخيانة لهما، قال عكرمة والضحاك: بالكفر، وقيل: كانت امرأة نوح تقول للناس إنه مجنون، وكانت امرأة لوط تخبر قومه بأضيافه، وقد وقع الإجماع على أنه ما زنت امرأة نبي قطّ، وقيل: كانت خيانتها بالنفاق، وقيل: خانتاهما بالنميمة^(٣) والصحيح ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما بقوله: "ما زنتا، أما امرأة نوح

(١) يُنظر: التفسير المنير ٣٢٠/٢٨

(٢) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٠٨-٢٠٧/٢٠

(٣) يُنظر: فتح القدير ٣٠٤/٥

فكانت تقول للناس إنه مجنون، وأما امرأة لوط فكانت تدلّ على الضيف فذلك خيانتها^(١) (فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً) أي: فلم ينفعهما نوح ولوط بسبب كونهما زوجين لهما شيئاً من النفع ولا دفعا عنهما شيئاً من عذاب الله مع كرامتهما على الله شيئاً من الدفع^(٢) قال الماوردي: "أي لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله لَمَّا عصتاه شيئاً من عذاب الله تنبيهاً لذلك على أن العذاب يُدفع بالطاعة دون الوسيلة"^(٣) (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) أي: وقيل لهما في الآخرة أو عند موتهما: ادخلا النار مع الداخلين لها من أهل الكفر والمعاصي، وقال يحيى بن سلام: ضرب الله مثلاً للذين كفروا يحذّر به عائشة وحفصة من المخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين تظاهرتا عليه.^(٤) ومناسبة ضرب المثل بامرأة نوح وامرأة لوط دون غيرهما من قرابة الأنبياء نحو أبي إبراهيم وابن نوح عليهما السلام، لأن ذكر هاتين المرأتين لم يتقدّم، وقد تقدّم ذكر أبي إبراهيم وابن نوح لتكون في ذكرهما فائدة مستجدة وليكون في ذكرهما عقب ما سبق من تمالؤ أمي المؤمنين على زوجهما صلى الله عليه وسلم تعريض لطيف بالتحذير من خاطر الاعتزاز بغناء الصلّة الشريفة عنهما من الوفاء بحق ما يجب من الإخلاص للنبيّ صلى الله عليه وسلم، ليكون الشبه في التمثيل أقوى.^(٥)

ولمّا ضرب المثل للذين كفروا أعقب بضرب مثل للذين آمنوا لتحصل المقابلة فيتّضح مقصود المثلين معاً، وجرياً على عادة القرآن في اتباع الترهيب والترغيب^(٦) فقال: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَخَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَخَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} {١١} وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون أي: جعل الله حال امرأة

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب التفسیر، تفسیر سورة التحريم، ح ٣٨٣٣، ٥٣٨/٣، قال الذهبي: صحيح

(٢) يُنظر: فتح القدير ٣٠٤/٥

(٣) يُنظر: النكت والعيون ٤٧/٦

(٤) يُنظر: فتح القدير ٣٠٤/٥

(٥) يُنظر: التحرير والتنوير ٣٤٧/٢٨

(٦) يُنظر: المرجع السابق ٣٧٦/٢٨

فرعون مثلاً لحال المؤمنين ترغيباً لهم في الثبات على الطاعة والتمسك بالدين والصبر في الشدة، وأن صولة الكفر لا تضرهم كما لم تضر امرأة فرعون وقد كانت تحت أكفر الكافرين وصارت بإيمانها في جنات النعيم، إذ قالت ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة أي: ابن لي بيتاً قريباً من رحمتك، أو في أعلى درجات المقربين منك، أو في مكان لا يُتصرف فيه إلا بإذنك وهو الجنة، ونجني من فرعون وعمله أي: من ذاته وما يصدر عنه من أعمال الشرّ، ونجني من القوم الظالمين: قال الكلبي: هم أهل مصر، وقال مقاتل: هم القبط، قال الحسن وابن كيسان^(١): نجاها الله أكرم نجاة ورفعها إلى الجنة فهي تأكل وتشرب^(٢) وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: "كانت امرأة فرعون تُعذّب بالشمس فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة"^(٣) وقد قال القشيري في هذا حيث قالت: ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة، "قالوا: صغرت همتها حيث طلبت بيتاً في الجنة وكان من حقها أن تطلب الكثير، ولا كما توهموا، فإنها قالت: ربّ ابن لي عندك، طلبت جوار القربى والبيت في الجوار أفضل من ألف قصر في غير الجوار، ومن المعلوم أن العنديّة هنا عنديّة القربى والكرامة، ولكنه على كل حال بيت له مزية على غيره وله خصوصيّة"^(٤).

ثم يكمل سبحانه المثل الثاني للمؤمنات فيقول: {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهَا فَتْحٌ مِّنْ لَّقَيْنِ} (ومريم ابنة عمران) أي ومريم ابنة عمران مثل آخر في الإيمان (التي أحصنت فرجها) أي حفظت فرجها وصانته عن مقارنة الفواحش، فهي عفيفة شريفة طاهرة، لا كما زعم اليهود عليهم لعنة الله، أنها زنت وأن ولدها عيسى ابن زنا، (فنفخنا

(١) ابن كيسان: المعمر الثقة النحوي، أبو محمد، الحسن بن محمد بن أحمد بن كيسان الحربي، توفي في شوال سنة

ثمان وخمسين وثلاث مائة. يُنظر: سير أعلام النبلاء ٢١٢/١٢

(٢) يُنظر: فتح القدير ٣٠٥/٥

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب التفسیر، تفسیر سورة التحريم، ح ٣٨٣٤، ٥٣٨/٢، قال الذهبي: على شرط

البخاري ومسلم.

(٤) يُنظر: لطائف الإشارات ٦٠٩/٣

فيه من روحنا) أي فنفخ رسولنا جبريل في فتحة جيبها، فوصل أثر ذلك إلى فرجها فحملت بعبسى عليه السلام.. (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أي وآمنت بشرائع الله القدسية، وكتبه السماوية (وكانت من القانتين) أي وكانت من القوم المطيعين، العابدين لله عز وجل، وهو ثناء عليها بكثرة العبادة والطاعة والخشوع.^(١)

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء: إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)).^(٢)

وهكذا ختمت سورة التحريم بهذه الأمثال التي ضربها الله للذين كفروا وللذين آمنوا فكان ختاماً يناسب السورة كلها، "ثم في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة فإنها سيقّت في ذكر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وتحذيرهن من التظاهر عليه وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله ويردن الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله صلى الله عليه وسلم كما لم ينفع امرأة نوح وامرأة لوط اتصالهما بهما".^(٣)

(١) يُنظر: صفوة التفاسير ٣/٣٨٣

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الانبياء، باب قوله تعالى: (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون..)، ح ٣٤١١،

١٥٨/٤

(٣) يُنظر: تفسير القرآن الكريم، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى ٧٥١هـ، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، بإشراف الشيخ: إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال_بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ص ٥٤٩

المبحث الثالث: مقاصد سورة التحريم وتوجيهاتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان مكانة النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: الأمر باتّقاء عذاب الله وعقوبته.

المطلب الأول

بيان مكانة النبي صلى الله عليه وسلم

تجلى هذا المقصد في كثير من آيات هذه السورة، حيث أن محورها هو ما دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وبعض أزواجه، فحرم على نفسه عليه الصلاة والسلام ما أحله الله له، فكانت الآيات تعاتبه عتاباً لطيفاً، وفي نفس الوقت تحذّر من إيذائه وتبيّن أن الله ناصره، وقد تجلى هذا المقصد من خلال ما يلي:

١- ابتدأت السورة بندائه عليه الصلاة والسلام بوصف النبوة وفيه من التشريف والتطمين على أن ما يُذكر بعد لا يؤثر على مقامه العالي فهو النبي المكرم، ثم يأتي العتاب في صيغة تطف {لَمْ تُحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} ثم ذكر السبب الدافع للتحريم {تَبْتَغِي

مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ} ^(١) وبعدها أنسه الله تعالى بقوله: {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فنلاحظ أن الله أمره بالتراجع عن هذا التحريم ولكن بعتاب لطيف وتذكير بأنه مغفور له، وهذا يدل على عظيم مكانته صلوات الله عليه.

٢- عندما أظهرت حفصة رضي الله عنها السر الذي أسره لها النبي صلى الله عليه وسلم أخبره الله بذلك، ثم هدّدت الآيات كل من يحاول إيذاءه أو التعاون عليه بأن الله هو من تولى نصرته، وجبريل عليه السلام مُجَنَّدٌ أيضاً لنصرته، والمؤمنون الصالحون أيضاً جنوده وأنصاره، والملائكة كلهم متعاونون لنصرته والدفاع عنه، فأَيُّ مكانة أعظم من هذه

المكانة! أن يكون محفوفاً بحفظ الله ورعايته ونصرة أهل السماء وأهل الأرض {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلْحُ الْمُؤْمِنِينَ^ص وَالمَلَائِكَةُ بَعْدَ

ذَلِكَ ظَهِيرٌ} [التحريم: ٤].

(١) يُنظر: مقالة أ.د. مصطفى مسلم بعنوان: (التفسير الموضوعي لسورة التحريم) على موقع شبكة الألوكة الشرعية،

٣- ويندرج ضمن إظهار مكانته صلى الله عليه وسلم تلطف الآيات مع زوجاته أمهات المؤمنين، فلم تذكر الآيات أسماء من تظاهرتا عليه إكراماً لهما ولزوجهما صلى الله عليه وسلم، ففي الآيات "تكريم أمهات المؤمنين بالطف العبارات وأخفها عند تهديدهن بالطلاق والاستبدال، حيث جاء التعبير (عسى ربه إن طلقكن) ودلالة عسى تفيد الترجي أولاً، ثم علق هذا الترجي بشرط (إن طلقكن) واستخدم في الشرط حرف (إن) وهو يفيد التشكيك بخلاف (إذا) التي تفيد تحقق الوقوع".^(١)

٤- ومن عظيم مكانته صلى الله عليه وسلم أن الله لن يسوؤه يوم القيامة ولا صحابته رضي الله عنهم ولا زوجاته وكل من آمن به وصدقته واتبعه {يَوْمَ لَا تُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ} نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ [التحریم ٨].

وهكذا تجلّى هذا المقصد من خلال آيات سورة التحريم، فكان واضحاً لنا من خلاله أن نقدر لرسول الله حقّ قدره وأن نلتزم سنته وأن نحتكم لشرعه ونبتعد عن كل ما كرهه ونهى عنه حتى ندخل تحت قول الله: {يَوْمَ لَا تُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ}.

^(١) يُنظر: مقالة د. مصطفى مسلم بعنوان: (التفسير الموضوعي لسورة التحريم) على موقع شبكة الألوكة الشرعية،

المطلب الثاني

الأمر باتقاء عذاب الله وعقوبته

المحور الأساسي في السورة هو قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع بعض أزواجه، وتأيد الله لنبيه وإظهار عظيم مكانته، ووعظ لأمهات المؤمنين، ثم وعظ لعموم هذه الأمة بأساليب تربوية قرآنية بليغة بضرورة اتقاء عذاب الله، وتجلي ذلك من خلال ما يلي:

١- أمر الله تعالى بضرورة حماية المسلم نفسه وأهله ومن يعول من نار جهنم، وذلك بأداء الفرائض والعبادات وتعليمهم إياها ونصحهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، لأنه هو المسؤول عن أخلاقهم وسلوكهم وعباداتهم، والله سائل كل راع عما استرعاه {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ

وَالْحِجَارَةُ...} [التحريم ٦]، فعلى كل مسلم محب لأهله مشفق على أولاده رؤوف بهم أن يعلم أن المحبة والاهتمام ليس في الدنيا فقط بل لا بد من التربية والحث على الخير والحق والطاعة حتى ينجو من عذاب الله يوم القيامة.

٢- ومن الأساليب التربوية القرآنية، الجمع بين الترغيب والترهيب فبعد أن هدد وأوعد من لا يجنب أهل بيته النار وأنهم على خطر الوقوع في الكفر، جاء الترغيب لمن يتدارك تقصيره ويرجع إلى هداية الشرع ويجزم على اتباع الحق في رعاية الواجبات والالتزام بالهدايات والقيام بالوفاء بالعهود والمواثيق وما يترتب عليها، فجاء قوله تعالى: {يَأَيُّهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...} [التحريم ٨]،^(١)

فأوضحت الآيات أن التوبة الصادقة هي سبيل اتقاء عذاب الله وعقوبته، وهذا من رحمة

(١) يُنظر: مقالة د. مصطفى مسلم بعنوان: (التفسير الموضوعي لسورة التحريم) على موقع شبكة الألوكة الشرعية،

الله بعباده ولطفه بهم، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضلّه في أرض فلاة)).^(١)

٣- ومن خلال الاعتبار بالأمثلة التي ضربها الله سبحانه في سورة التحريم لأخذ العبرة والعظة بأن الإنسان لن ينفعه يوم القيامة مال أو ولد أو نسب، ولن يشفع له إلا عمله الصالح، فقد ضرب المثل بامرأة نوح وامرأة لوط لم ينفعهما قرابتهما من النبيين الكريمين وقيل لهما: {أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ}، وضرب المثل للمؤمنين بامرأة فرعون التي لم يضرّها كفر زوجها وطغيانه فصبرت وثبتت فجعلها الله في عليين، وكذلك ابنة عمران التي سلّمت أمرها لله فكانت هي وابنها آية للعالمين.

وهكذا نرى أن هذا المقصد تجلّى في دعوة الله للمسلم أن يقي نفسه من نار جهنم، وبيّن له الأسباب وذلك بالالتزام بطاعة الله وعبادته، وتعليم أهل بيته وأمرهم بذلك، وبالتوبة النصوح الخالصة الصادقة، وبالاعتبار بمن مضى.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، ح ٦٣٠٩، ٦٨/٨

أحمد الله تعالى على معونته لي بدراسة سور الجزء الثامن والعشرين، هذه السور العظيمة التي عشتُ مع آياتها قارئاً ومتدبراً ودارساً، فكان الجزء بأكمله صورة حية عن فترة زمنية عبّر عنها القرآن الكريم بأعظم تعبير، حتى أحسست كأني أعيش تلك الفترة، ووجدت فيها العبر والمواعظ الشيء الكثير سواء في العقيدة والتوحيد أو في الأخلاق والمعاملات، أو في الأحكام والكفارات، وقد أعجبني قول سيد قطب رحمه الله بعد انتهائه من تفسير هذا الجزء قال: "وهذا الجزء كله قطعة حية من السيرة رسمها القرآن بأسلوبه الموحى، لا تملك روايات البشر التاريخية عن تلك الفترة أن ترسمها، فالتعبير القرآني أكثر إحياءً وأبعد آماداً وهو يستخدم الحادثة المفردة لتصوير الحقيقة المجردة الباقية وراء الحادثة ووراء الزمان والمكان كما هو شأن القرآن".^(١)

تسع سور من القرآن الكريم ذات نسيج متكامل _ كما هو كل القرآن _ ومقاصد وأهداف تكمل بعضها بعضاً، وما على المسلم إلا أن يتدبرها ويلتزم بها حتى يطمئن ويسعد في الدارين، وسيكون هذا الفصل للأهداف العامة والمقاصد المشتركة بين سور الجزء كاملاً.

(١) يُنظر: في ظلال القرآن ٣٦٢٢/٦

الفصل الرابع: المقاصد والأهداف العامة للجزء الثامن والعشرين، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيان عظمة الله تعالى، ومكانة نبيّه صلى الله عليه وسلم في الجزء الثامن والعشرين.

المبحث الثاني: التشريعات والأحكام في الجزء الثامن والعشرين.

المبحث الثالث: الأساليب التربويّة في الجزء الثامن والعشرين.

المبحث الأول: بيان عظمة الله تعالى ومكانة نبيّه صلى الله عليه وسلم في
الجزء الثامن والعشرين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عظمة الله وقدرته وسعة علمه.

المطلب الثاني: مكانة النبيّ صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام.

المطلب الأول

عظمة الله وقدرته وسعة علمه

نلاحظ أن الآيات في سور هذا الجزء كله ذكّرت بعظمة الله تعالى وقدرته على كل شيء، وسعة علمه وأسمائه وصفاته، وتسبيح مخلوقات السماوات والأرض وتزيهها وتمجيدها له سبحانه في كل وقت، والهدف من ذلك كله معرفة الله بحقّ وثبوت اليقين به عزّ وجلّ، وقدره حقّ قدره، وعبادته حقّ عبادته، ودعاؤه والتضرع إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، فإنه "إذا عرفت الأمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعته، وإذا عرفت الأمر ولم تعرف الأمر نفّنت في التفلّت من الأمر" ^(١) ففي سورة المجادلة وسع سمعه الأصوات فسمع المجادلة التي تجادل رسول الله {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا} [المجادلة ١]، الأمر الذي دفع عائشة رضي الله عنها أن تقول: ((الحمد لله الذي توسع لسمع الأصوات كلها، لقد جاءت المجادلة فكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في جانب البيت لا أدري ما تقول)) ^(٢) ثم بيّن في السورة نفسها سعة علمه وإحاطته بالسرّ وأخفى فقال: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^ط مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} [المجادلة ٧].

أما في سورة الحشر فقد ابتدأت السورة واختتمت بتسبيح جميع مخلوقات السماوات والأرض له سبحانه لعظمته، وبين البدء والختام بيّن سبحانه قدرته العظيمة في إخراج بني النضير من ديارهم وإجلالهم من حصونهم المنيعه {فَأَتْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ

^(١) يُنظر: موسوعة النابلسي www.nabulsi.com/blue/ar/te.php?art وقاله الدكتور راتب النابلسي في ندوة

على قناة اقرأ الفضائية بعنوان "الإسلام منهج حياة" بتاريخ ٢٦/٨/٢٠٠٩م

^(٢) سبق تخريجه ص ١٣

تَحْتَسِبُوا^ط وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ{الحشر ٢}، وذكر في السورة ما يزيد عن واحد وعشرين اسماً وصفة له عز وجل وتقدس.

وفي سورة الممتحنة نبه إلى علمه بالإسرار والإعلان تماشياً مع موضوع السورة {وَأَنَا

أَعْلَمُ بِمَا أَخَفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ}{الممتحنة ١}، وفي سورة الصف وسورة الجمعة افتتحهما

بتسبيح المخلوقات وتمجيدها له لكمال عظمتها، وذلك بصيغة الماضي والمضارع إشارة إلى أن تسبيح هذه المخلوقات له تعالى مستمرة في كل زمان ومكان فقال في الصف:

{سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^ط وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}{الصف ١}

وقال في الجمعة: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ

الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}{الجمعة ١}، وكذلك في سورة التغابن حيث افتتحت بتسبيح الله

واختصاصه بالملك والحمد فهو مالك الملك المحمود من كل مخلوقاته {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^ط لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ^ط وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

{التغابن ١} وبين في السورة مظاهر قدرته في خلق السماوات والأرض بإتقان وحكمة،

وخلق البشر بأحسن تقويم، وإحاطة علمه بكل صغير وكبير وسر وعلانية {خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ^ط وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}{٢}

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ^ج وَاللَّهُ عَلِيمٌ

بِدَاتِ الصُّدُورِ}{التغابن ٣-٤} ثم ختم السورة أيضاً بتكرار التذكير بسعة علمه

سبحانه {عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}{التغابن ١٨}.

وفي سورة المنافقون، عندما جهل المنافقون عظمة الله تعالى وقدرته وأنه الرازق الذي بيده ملكوت السماوات والأرض قال لهم: {وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ} [المنافقون ٧].

وفي سورة الطلاق، بعد أن بيّن الله الأحكام فيها، وأمر بتقواه سبحانه خمس مرات ختم السورة ببيان عظمتة في الخلق والقدرة والعلم، فهو الإله المستحق للعبادة والتقوى فقال: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق ١٢].

وهكذا نلاحظ في كل سور الجزء الثامن والعشرين الحديث عن عظمة الله ومظاهر قدرته وسعة علمه، ومن أدرك هذه العظمة أحبّ الله وعظمه فقام بأمره واجتنب نهيه، وقد قال ابن عثيمين رحمه الله في الفتاوى: "والعبادة مبنية على أمرين عظيمين هما: المحبة والتعظيم".^(١)

(١) يُنظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المتوفى ١٤٢١هـ، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن، دار الثريا، الطبعة الأخيرة ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ٢٦، ١٧/٨

المطلب الثاني

مكانة النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام

أولاً: مكانة النبي صلى الله عليه وسلم:

في معظم سور هذا الجزء ذِكرٌ للنبي صلى الله عليه وسلم سواء ببيان مهمته وفضل الله على الأمة ببعثته، ووجوب الأدب معه والأمر بالترام أوامره وطاعته فطاعته طاعة لله. ففي سورة الجمعة بين سبحانه فضله على الأمة ببعثته عليه الصلاة والسلام فعلم الأمة وزكّاهما وأخرجها بإذن ربها من الظلمات إلى النور {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ

رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ

كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾} [الجمعة ٢] فقد بعثه الله في حين فترة من الرسل

وكان البشر بأمس الحاجة إليه، وكذلك في سورة الطلاق بين مهمته وفضله على الأمة بأنه السبب في هدايتهم بإذن الله {..قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠٠﴾} رَّسُولًا يَتْلُوا

عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّخُرْجِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ..} [الطلاق ١٠-١١]، وقد شهد له ربّ العزة سبحانه بنبوته ورسالته

فقال: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ} [المنافقون ١]، وقد أمر سبحانه وركّز على وجوب طاعته

واتباعه، ففي سورة الحشر قال أمراً {وَمَا ءَاتَكُمْ الرَّسُولُ فَاخْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ

فَأَنْتَهُوا} [الحشر ٧]، بل إنه سبحانه قرن طاعته بطاعة نبيّه إشارة إلى أن طاعته صلوات

الله عليه طاعة لله، ومعصيته معصية لله فقال في سورة التغابن: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ

﴿١٢﴾} [التغابن ١٢] وكذلك في سورة المجادلة: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ [المجادلة ١٣] وبعد أن بيّن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بطاعته والتزام أمره من خلال الآيات التي ذكرت آنفاً، ختم الجزء الثامن والعشرين في سورة التحريم بالتحذير من إيذائه بالقول أو الفعل أو بأي شيء يكرهه عليه الصلاة والسلام، وبيّن أن الله وليّه وناصره وأنه محفوف بالحفظ والرعاية من أهل السماء وأهل الأرض **وَأَن تَظْهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ [التحريم ٤].**

وهكذا بيّنت آيات الجزء الثامن والعشرين مكانة النبي صلى الله عليه وسلم ووجوب طاعته وذلك حتى يسير المسلمون على دربه ويستتوا بسنته، ويقوموا بحقه على أكمل وجه: من دراسة لسيرته العطرة واستخلاص الدروس منها، وطاعته فيما أمر والابتعاد عما نهى عنه، والإكثار من الصلاة عليه ((كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى)) قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: "من عصاني فقد أبى" ^(١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشراً)). ^(٢)

ثانياً: مكانة الصحابة رضي الله عنهم:

إن الصحابة رضي الله عنهم هم خير جيل عرفته البشرية، فهم الذين اختارهم الله لصحبة نبيّه ونشر رسالته فكانوا خير القرون وخير الأصحاب والأعوان، سواءً من آمن منهم قبل الفتح أو بعده وكلاً وعد الله الحسنی، اكتمل عندهم فهم الكتاب والسنة فقادوا الأمة إلى برّ الأمان وكانوا سلفها المبارك، زكّاهم الله في كثير من آيات القرآن الكريم فضلاً عن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي تبرز فضائلهم وتنتهي عن بغضهم، فكان حبّهم من الإيمان وبغضهم من النفاق، ومن يقرأ سور الجزء الثامن والعشرين يتبيّن له ذلك: ففي سورة المجادلة، ختمها الله بوصف مطول عنهم في إيمانهم وإخلاصهم الذي تجلّى ببراءتهم من أعداء الدين ولو كانوا أقرب الناس إليهم، ليشهد لهم سبحانه بالإيمان

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب الإيمان، حدیث سمرة بن جندب، ح ١٨٢، ١٢٢/١، وقال: حدیث صحیح علی

شرط الشیخین ولم یخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألبانی فی السلسلة الصحیحة رقم ٢٠٤٤

(٢) أخرجه مسلم، کتاب الصلاة، باب الصلاة علی النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد، ح ٤٠٨، ٣٠٦/١

الصادق ويعدّهم بالفوز والرضا والسعادة {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ
إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾}

[المجادلة ٢٢].

أما في سورة الحشر فقد خصّهم بالفضل والمدح، فالمهاجرون تركوا ديارهم وأموالهم
وهاجروا من أجل دينهم، همّهم الأول والأخير الرسول والرسالة، فكان وصف الله لهم
بـ(الصادقين) رمزاً لهم {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾} [الحشر ٨] أما الأنصار أهل الإيمان وأهل الكرم والإيثار، أفلحوا وفازوا
وبالاه من فوز عظيم وعدهم به ربّ العزة تبارك وتعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ
وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا تَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقِ شُحَّ
نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾} [الحشر ٩] حتى في حال ارتكب أحد منهم
مخالفة يعاتبه سبحانه عتاباً لطيفاً بل ويخاطبه بـ (يا أيها الذين آمنوا) كما حدث لحاطب
بن أبي بلتعة رضي الله عنه عندما كتب الكتاب لقريش يخبرهم بمسير النبي إليهم، وقد
علم الله صدقه وإيمانه فعاتبه في سورة الممتحنة بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ...» [المتحنة ١]، وكذلك ما حدث مع عائشة وحفصة رضي الله عنهما حين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم عاتبهما الله دون ذكر أسمائهن.

وفي نهاية الجزء في سورة التحريم أوضح سبحانه أنه يوم القيامة لن يخزي النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، بل هم من المغفور لهم الذين سيدخلون الجنة بإذن الله {يَوْمَ لَا تُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم ٨].

هؤلاء هم سلفنا المبارك الذين نحبههم ونترضى عنهم ونرجو الله أن يحشرنا معهم، فالمؤمن هذا حاله وهذا اعتقاده بالسلف الصالح لأن الله قال في سورة الحشر بعد أن مدح المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التحريم ١٠] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه)).^(١)

(١) أخرجه البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لو كنت متخذاً

المبحث الثاني: التشريعات والأحكام في الجزء الثامن والعشرين، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التشريعات والأحكام في حقّ الفرد.

المطلب الثاني: التشريعات والأحكام في حقّ الأسرة.

المطلب الثالث: التشريعات والأحكام في حقّ المجتمع.

تعدّ هذه السمة الغالبة على السور المدنية، وقد زحرت سور الجزء الثامن والعشرين بالتشريعات الإلهية والأحكام التي نظمّ الشرع بها الفرد والأسرة والمجتمع، وكان الخطاب بـ (يا أيها الذين آمنوا) في هذا الجزء خمس عشرة مرة، وقد سأل رجل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال: "أعهد إليّ، فقال: "إذا سمعت الله يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) فأزعها سمعك فإنه خير يأمره أو شرّ ينهى عنه".^(١)

المطلب الأول

التشريعات والأحكام في حق الفرد

أولاً: آداب المجالس وحفظ الأسرار:

فقد أمر الإسلام بكل خلق وأدب ينشر المحبة بين الناس، ونهى عن كل خلق يتسبب في نشر البغضاء، من الأمور التي تنشر المحبة والوئام والتي يجب أن يتخلق بها الفرد المسلم التوسعة لأخيه في المجلس، فمن وسّع لأخيه وسّع الله له، وكل هذا قرره قول الله تعالى في سورة المجادلة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ} ^ط وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا... [المجادلة ١١]، كما أمر سبحانه بحفظ الأسرار وعدم إفشائها، ففي إفشائها سبب للبغضاء والخلافات الأسريّة، وهذا ما حدث مع أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها حين أفشت سرّ النبي صلى الله عليه وسلم فعاتبها الله في سورة التحريم ولتكون درساً لكل الأمة فقال: {وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ} ^ط فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا ^ط قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ [التحريم ٣] وهذا دليل على وجوب حفظ السرّ وعدم إفشائه لما يترتب على ذلك من مفساد.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، رقم ١٠٣٧، ٩٦/١، وقال عنه أحمد شاكر: إسناده جيد، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣٧٤/١

ثانياً: الولاء والبراء:

في الجزء الثامن والعشرين تركيز واضح على هذا المبدأ، مبدأ موالاتة المؤمنين ومعاداة أعداء الدين، إذ هو أصل من أصول الإيمان بل إن سورة الممتحنة وموضوعها الغالب هو مبدأ الولاء والبراء، حيث افتتحها سبحانه بقوله: {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا

عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ^١ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي^٢ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ^٣ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾}

[الممتحنة ١] فحذر من موالاتة أعداء الله بكل الأحوال وتوعد من يتولاهم بالسر أو العلن، وحذر أيضاً من تولي الكفار الذين يقاتلون المسلمين ويخرجونهم من ديارهم فقال: {إِنَّمَا يَنهَيْكُمُ اللَّهُ

عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ^٤ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢﴾}

[الممتحنة ٢] ثم ختم السورة بتكرار المبدأ نفسه بالنهي عن موالاتة أعداء الله فقال: {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَيسُوْا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَيسَ الْكُفَّارُ

مِّن أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿٣﴾}

[الممتحنة ٣] أما في سورة المجادلة حذر من موالاتة أعداء الدين وتوعد من يوالاهم بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة وذلك لسوء صنيعهم فقال: {أَلَمْ

تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ

عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾} أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا^٥ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ [المجادلة ١٤-١٥] وفي نهاية السورة مدح الصحابة رضي الله عنهم وكل مؤمن يعادي أعداء الله مهما كانت قرابتهم {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [المجادلة ٢٢].

ثالثاً: الأمر بالتقوى:

والتقوى هي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه، وقد أمر الله بالتقوى في الجزء الثامن والعشرين وبيّن آثارها في اثني عشر موضعاً، ونلاحظ أنه بعد أن يأمر الله أمراً أو يبيّن حكماً أو ينهى عن شيء يُتبع ذلك بالأمر بالتقوى، وكأنه تأكيد للالتزام بما ورد من الأمر أو النهي، وبيّن أن التقوى سبب سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة وسبيل رضا الله. ففي سورة المجادلة، بعد أن نهى سبحانه عن التناجي بالإثم والعدوان وأمر بالتناجي بالبر والتقوى أتبع ذلك بقوله: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [المجادلة ٩]، وفي سورة الحشر بعد أن بيّن حكم الفیء وأمر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وحذر من مخالفته قال: {وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر ٧]، وعندما أمر عباده بالاستعداد ليوم المعاد أمر بالتقوى مرتين للتأكيد، وليعلم المسلم أنه لن ينجيه في ذلك اليوم سوى تقوى الله {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر ١٨]، أما في سورة

المتحنة، بعد أن ذكر سبحانه حكم المهر المسترجع للنساء المهاجرات اللاتي يأتين للمسلمين والنساء اللاتي يكفرن ويذهبن للكفار أعقب ذلك قائلاً: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ} [المتحنة ١١]، وفي سورة التغابن أمر بالتقوى والسمع والطاعة لله ورسوله بعد أن بين فتنة المال والولد فقال: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ} [التغابن ١٦]، أما في سورة الطلاق، فقد أمر بالتقوى وبين آثارها في هذه السورة خمس مرات، فبعد أن أمر الأزواج بإرجاع زوجاتهم المطلقات بمعروف وعدم الإضرار بهن أو مفارقتهن بمعروف أيضاً قال: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ تَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} [٢] وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق ٢-٣]، وبعد أن بين عدة الأيسة والصغيرة وأولات الأحمال المطلقات قال: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} [٤] [الطلاق ٤]، وبعد أن ذكر أن كل هذه الأحكام هي من أمره وقضائه قال: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا} [٥] وعندما أمر الأزواج ألا يطلقوا وقت الحيض أو في طهر جامعوا فيه لئلا يتسبب بالضرر للمرأة قال: {وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ} [الطلاق ١]، ثم بعد ذلك أمر بعدم إخراجهن من البيوت أثناء العدة، فكان الأمر بالتقوى هنا توسط بين أمر قبله ونهي بعده، وبعد أن ذكر أمر القرية التي عذبها بسبب كفرها وعنادها قال: {فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا} [الطلاق ١٠]، فهذا بمثابة أمر للمؤمنين بالاعتبار، فإن من اتقى الله اتعظ بمن قبله. وهكذا نرى أن الأمر بالتقوى في هذا الجزء جاء بعد الأمر أو النهي أو تشريع الحكم، وحين الأمر بالاعتنا والاستعداد ليوم الجزاء، وهذا يدل على وجوب تقوى الله في كل الأحوال، بل هي الدافع لأن يطبق ما أراه الله من خلال الآيات، وبهذا يستقيم حال العبد، ولو لم تكن التقوى هي الوسيلة لصلاح دين العبد ودنياه وآخرته لما كررها سبحانه وأكدها.

رابعاً: الحذر من أساليب الشيطان:

عندما أعلن الشيطان بخبث عن عداوته لبني آدم، وتمرد على أوامر الله كما أخبر القرآن بذلك بقوله: {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾} [الأعراف ١٦-١٧]، حينها أنزل الله الآيات يحذر فيها الإنسان من اتباع الشيطان وإطاعة وساوسه، وأمر باتخاذهِ عدواً {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾} [فاطر ٦]، وإن المتأمل لآيات الجزء الثامن والعشرين، يلاحظ أن الله سبحانه ذكر الشيطان وإفساده في الخلق من خلال ثلاثة أمور:

١- إدخال الحزن والهم على قلوب المؤمنين: وذلك من خلال استعمال أتباعه من الإنس كاليهود والمنافقين، وهذا ما ذكره سبحانه في سورة المجادلة حين قال: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾} [المجادلة ١٠] حيث نبه سبحانه أن هدف الشيطان وأتباعه هو إدخال الحزن والهم على قلوب المؤمنين، وفي نفس الوقت بين أنه لن يضرهم، وما على المؤمنين إلا الاستعاذة بالله والالتجاء إليه {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾} [النساء ٧٦].

٢- محاولته الاستيلاء على الإنسان لمنعه عن الطاعة وذكر الله: فالشيطان يوسوس للإنسان ويحاول بكل السبل إيقاعه في المعصية، فإن لم يستطع حاول إبعاده عن الطاعة والذكر، وهذا ما قررته سورة المجادلة أيضاً بقوله سبحانه: {أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ

فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ
الْخٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ [المجادلة ١٩] ومن أطاع الشيطان خسر خسراناً مبيناً.

٣- التبرؤ من الأتباع يوم القيامة: بعد أن أوقع الإنسان في الكفر والمعصية، وزين له
الفاحشة والرذيلة، تبرأ منه يوم القيامة بكل لؤم وعداوة، وهذا ما قررته سورة الحشر عندما
ضرب الله به المثل فقال: (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ
قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾) [الحشر ١٦].

لذلك على المؤمن أن يأخذ حذره من الشيطان باتجاهين: الأول: عدم إطاعته وتجنب
الوقوع في دسائسه ووساوسه، الثاني: الالتجاء إلى الله وعدم الالتفات لأساليب الشيطان
التي تحزن القلب وتوهن العزم. قال القشيري رحمه الله: "عداوة الشيطان بدوام مخالفته...،
ولن تقوى على عداوته إلا بدوام الاستغاثة بالرب، وتلك الاستغاثة تكون بصدق الاستعانة،
والشيطان لا يفتر في عداوتك، فلا تغفل أنت عن مولاك لحظة فيبرز لك عدوك فإنه أبداً
متمكن لك".^(١)

(١) يُنظر: لطائف الإشارات ١٩٣/٣

المطلب الثاني

التشريعات والأحكام في حق الأسرة

أولاً: حكم الظهار:

بيّنت سورة المجادلة حكم الظهار بل إنه كان الموضوع الغالب في السورة، حيث حذرت الآيات منه باعتباره كذباً منكراً، ومن ظاهر من زوجته فعليه الكفارة وهي: تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين قبل أن يتماساً، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، وقد غلّظت الآيات كفارة الظهار لاعتباره زوراً، وحتى يضمن أمن الأسرة واستقرارها ويحفظ حق المرأة، وتنبهها للرجل على أن لا يعود لذلك، قال سبحانه: {وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا^ج ذَلِكُمْ تُوَعُّظُونَ بِهِ^ح وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ^د فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا^ه فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا^ز ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ^ح وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ^ط وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ^ي} [المجادلة ٣-٤].

ثانياً: أحكام الطلاق: ذكر سبحانه هذه الأحكام في سورة الطلاق:

١- نهى عن الطلاق وقت الحيض أو في طهر جومعت فيه حتى لا يقع عليها الضرر، وأمر بإحصاء العدة قياماً بحق الله وحق الزوج فقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ} [الطلاق ١].

٢- أمر ألا تخرج المطلقة من بيتها التي طُلقَت فيه حتى تقضي عدتها في بيتها فقال: (لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ) [الطلاق ١].

٣- بين عدة المطلقة الآيسة من المحيض والصغيرة التي لم تحض، وعدة المطلقات الحوامل هي وضع الحمل دون أي اعتبار آخر فقال: {وَأَلَّتِي يَبْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ تَحْضَنْ^ج وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق:٤].

٤- أمر بالسكن للمطلقة أثناء العدة والنفقة عليها قدر المستطاع، كما أمر بالإفراق على الحامل حتى تضع حملها، وفرض لها أجرة على إرضاع ولدها سواء كانت أجرة مسماة أو أجرة مثل فقال: {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ^ج وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ^ج فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} [الطلاق:٦].

نلاحظ في أحكام الطلاق وجوب الرأفة والرحمة والمعروف بين الرجل وزوجته حتى في حال الفراق والطلاق، وفيها من حكمة الباري عز وجل ما يضمن حق الطرفين إن هما التزما حدود الله وأحكامه.

ثالثاً: حكم من حرّم على نفسه امرأته أو طعاماً:

وكان ذلك في سورة التحريم عندما حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه شرب العسل أو حرّم على نفسه سرّيته مارية رضي الله عنها التي أحلها الله له، فعاتبه سبحانه على ذلك ودلّه على أن ذلك يوجب كفارة اليمين {يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ^ط تَبَتَّغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ^ج وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾} قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ^ج وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ^ط وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾} [التحريم ١-٢] فمن حرّم على نفسه طعاماً، أو امرأته ولم ينو الطلاق، فعليه كفارة اليمين وهي المذكورة في سورة المائدة بقوله سبحانه: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا

عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ^ط إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ^ط فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ^ج ذَلِكَ كَفَرَةٌ أَيْمَانُكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ^ج وَأَحْضُوا أَيْمَانَكُمْ^ط [المائدة ٨٩].

رابعاً: لا تحل مؤمنة لكافر:

وذلك في سورة الممتحنة عندما أمر الله المؤمنين إذا جاءهم نساءً مؤمنات من عند الكفار فعليه أن يمتحنوهن لتتبين لهم حقيقة إسلامهن، فإذا ثبت إسلامهن فلا يجوز إرجاعهن إلى الكفار لعدم حل ذلك الأمر، ولما يترتب عليه من مفسد فقال: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ^ط اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ^ط فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ^ط لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ^ط} [الممتحنة ١٠].

خامساً: وجوب تعليم المسلم لأسرته وتربيتهم:

فقد ذكرت الآيات في الجزء الثامن والعشرين أن الأموال والأزواج والأولاد فتنة ولن ينفعوا في الآخرة إلا في حين تمّ تعليمهم الفرائض والعبادات، وتأديبهم وفق منهج الإسلام ، فيكون ذلك وقاية له ولهم من العذاب.

فقد قال سبحانه في سورة المجادلة: {لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً^ج} [المجادلة ١٧]، وقال في سورة الممتحنة: {لَنْ تَنْفَعَكُمُ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ^ج

يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ^ط} [الممتحنة ٣]، وفي سورة المنافقون أمر أن لا يغفل المسلم عن طاعة الله بسبب المال والولد فقال: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ^ج وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ^١}

[المنافقون ٩] أما في سورة التغابن فذكر أن الأزواج والأولاد حين لا يتم تعليمهم وتأديبهم بشرع الله سيكونوا أعداء يوم القيامة فقال: {يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ^ج وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾} [التغابن ١٤-١٥]، لذلك كله، أرشد الله في سورة التحريم إلى سبيل النجاة بالنفس والأهل والولد، فلن ينجو الإنسان من عذاب الله إلا عندما يعلم أسرته وأهل بيته البر والخير والأخلاق والفرائض والعبادات، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويقوم بحق الله في الرعية التي استرعاه الله إياها فقال سبحانه: {يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾} [التحريم ٦].

ومن جميل ما قاله ابن القيم رحمه الله في ذلك: "فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم كباراً، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال: يا أبت إنك عققنتي صغيراً فعققتك كبيراً، وأضعنتي وليداً فأضعتك شيخاً"^(١) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((كلكم راع ومسئول عن رعيته، والإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع ومسئول عن رعيته، قال: وحسبت أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه)).^(٢)

(١) يُنظر: تحفة المودود بأحكام المولود، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى ٧٥١هـ، تحقيق: عبد القادر الأرئووط، الناشر: مكتبة دار البيان - دمشق، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ، عدد الأجزاء: ١، ص ٢٢٩

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب تأويل قوله تعالى: (من بعد وصية يوصى بها أو دين)، ح ٢٧٥١، ٥/٤

المطلب الثالث

التشريعات والأحكام في حق المجتمع

أولاً: علاقة المسلمين بالكفار:

وذلك في سورة الممتحنة، حيث بيّنت آياتها معاملة المسلمين مع صنف الكفار:

١- رَخَّصَ اللهُ سبحانه في صلة الكفار الذين لم يقاتلوا المسلمين ولم يخرجوهم من أوطانهم ولم يعاونوا أحداً على إخراجهم، فهؤلاء غير محاربين فتجوز صلتهم والبر إليهم ومعاملتهم فقال سبحانه: {لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

الممتحنة ٨}، وهذا من عدل الإسلام فهو لا يعتدي على أحد ولا يعادي إلا من عاداه.

٢- أما الكفار الذين قاتلوا المسلمين أو أخرجوهم من ديارهم أو عاونوا أحداً على المسلمين فهؤلاء تحرم صلتهم والمعاملة معهم، قال سبحانه: {إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٩} الممتحنة ٩.

ثانياً: حكم الفيء:

وذلك في سورة الحشر، بعد أن من الله على نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بإجلاء يهود بني النضير عن حصونهم المنيعة دون قتال، أخبر بأن هذا الفيء لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ذكرت الآيات بشكل عام مصارف الفيء في كل قرية يفتتحها المسلمون دون قتال فقال: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ

وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٧} [الحشر ٧].

ثالثاً: حكم التناجي:

وذلك في سورة المجادلة، لما كان التناجي سبب البغضاء ونشر الكراهية بين أفراد المجتمع تُهي عنه، فهو من أساليب الشيطان لإدخال الحزن على قلوب المؤمنين، واتصف به اليهود والمنافقون، لذلك فالتناجي منهى عنه إلا إذا كان في الخير والتقوى ولا يدخل الحزن على القلوب، قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِاللَّيْلِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّجُوا بِالْبَرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾} إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾} [المجادلة ٩-١٠]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: ((إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه)).^(١)

رابعاً: أحكام صلاة الجمعة:

لقد منّ الله على هذه الأمة بيوم مبارك هو يوم الجمعة، هذا اليوم الذي ميّز الله به هذه الأمة عن باقي الأمم، وفيه صلاة الجمعة التي جعل الله فيها الخير الكثير والأجر العظيم، وأنزل سورة كاملة باسم سورة الجمعة، وبيّن فيها أنه يجب الاستعداد لهذه الفريضة العظيمة، من استعداد قبل الصلاة بالاغتسال والتطيّب ولبس الثياب النظيفة، والتبكير والإسراع إليها والإنصات للإمام وهو يخطب، وعدم الانشغال عنها بالبيع والشراء وسائر المعاملات بعد أذانها الذي يصعد بعده الخطيب إلى المنبر، قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾} فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا

(١) سبق تخريجه ص ٥٥

فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ [الجمعة ٩-١٠].

خامساً: الأمر بالجهاد:

بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم واستقر بالمدينة بدأت الآيات التي تأمر بالجهاد بالنزول ليعلم المؤمنون أن الجهاد ذروة سنام الإسلام والسد المنيع للدفاع عن الأمة ورد المعتدين، وفي سور هذا الجزء نلاحظ:

في سورة الصف بين سبحانه بأنه يحب صفوف المجاهدين المستوية المنتظمة التي تبرز هيبة الأمة وتدخل الخوف على قلوب أعدائها فقال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنِينَ مَرَصُوصٍ} [الصف ٤]، بل وجعل

الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس من التجارة الرباحة معه عز وجل، والتي تتجي صاحبها من العذاب الأليم وسبيل مغفرة الذنوب فضلاً عن أنها سبب للعزة والنصر والتمكين، قال: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرٌ عَلَى تَحَرَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ

أَلِيمٍ} [١١] تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ

ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [١٢] يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [الصف ١٣].

أما في سورة التحريم فقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والأمة من بعده أمراً صريحاً بجهاد الكافرين دفاعاً عن الدين وحماية للأمة، وبجهاد المنافقين بإبطال حججهم وكشف

مؤامراتهم والحذر منهم فقال: {يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ

عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} [التحريم ٩] وبئس المصير [١٤] فأبي عمل أعظم من عمل

وصفه الله بأنه يحبه وأنه تجارة رابحة معه سبحانه، وأمر نبيّه به أمراً صريحاً فكان الأمر للأمة من باب أولى.

سادساً: اليهود والمنافقون:

ورد ذكر اليهود والمنافقين في السور المدنية، فالنفاق لم يكن في العهد المكيّ لأن الذي كان يعادي النبيّ صلى الله عليه وسلم في ذلك الحين يعاديه علانية، وكذلك لم يختلط المسلمون باليهود في مكة، وعندما استقر رسول الله بالمدينة، خالط المسلمون اليهود، وقويت شوكة المسلمين فبرزت ظاهرة النفاق.

وفي الجزء الثامن والعشرين ذكر الله المنافقين وبين أوصافهم، وأنزل سورة كاملة باسمهم بيّن فيها كذبهم وحذر منهم، فهم يشهدون بألسنتهم أمام رسول الله أنهم مؤمنون بنبوته ولكن باطنهم كافر بذلك، ويحلفون الأيمان الكاذبة اتقاء لأنفسهم ففضحهم الله في أول سورة المنافقون فقال: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ

يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ

جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾} [المنافقون ١-٢]

وكذلك وصفهم بأنهم جبناء وأعداء حقيقيون يجب الحذر منهم لأنهم مندسون بين المسلمين عيون لأعداء المسلمين {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ} وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْنَدَةٌ تَحْسَبُونَ كُلَّ صِيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ

فَاَحْذَرُوهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾} [المنافقون ٤]، كذلك هم مستكبرون عن التوبة

مستهزئون برسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفاره {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ

لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ

﴿٥﴾} [المنافقون ٥]، ويكفيهم ذلاً ومهانة بأن الله وصفهم بأنهم إخوة لليهود، فقد والوا يهود

بني النضير عندما حاصرهم النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال سبحانه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى

الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ {الحشر ١١}، أما اليهود فقد ذكر الله أوصافهم كذلك، فهم لم ينتفعوا بالتوراة ولم يعملوا بها فكان مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل الكتب ولا يدري بها، فقال في سورة الجمعة: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ تَحْمِلُ أَسْفَارًا^ط بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ^ع وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾} {الجمعة ٥}، ووصفهم كذلك في سورة الصف بأن دأبهم الكذب وإيذاء الأنبياء فقال: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ^ط يَتَقَوْمِ^ط لِمَ تُوذُّونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ^ط فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ^ع وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾} {الصف ٥}، وقد ذكر الله في سورة الحشر قصة إجلاء يهود بني النضير من ديارهم من المدينة بعدما غدروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله.

لذلك نلاحظ أن سور الجزء الثامن والعشرين بيّنت أوصاف اليهود والمنافقين الذين كانوا يعيشون مع المسلمين في المدينة، ومن أبرز صفاتهم الكذب والكيد للإسلام وأهله، كما بيّنت الآيات الاتفاق الواضح والتضامن بين المنافقين واليهود ضد الإسلام والمسلمين، ولهذا أمر الله بجهاد الفتنين بشتى أنواع الجهاد، فقال في سورة التحريم: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ^ج وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ^ج وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ^ط وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾} {التحريم ٩} فيجب الحذر منهم وإعداد العدة لهم لإفشال مخططاتهم و مؤامراتهم، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

المبحث الثالث: الأساليب التربويّة في الجزء الثامن والعشرين، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الترغيب والترهيب.

المطلب الثاني: ضرب المثل للاعتبار بمن سبق.

المطلب الثالث: بثُّ الأمل في النفوس.

المطلب الرابع: "النساء" في الجزء الثامن والعشرين.

المطلب الأول

الترغيب والترهيب

اعتمد القرآن الكريم أسلوب الترغيب والترهيب، وهذا الأسلوب من أنجح أساليب التربية والدعوة لأنه يعتمد على مبدأ الثواب والعقاب، ومن طبيعة البشر أنها تُقبل على كل أمر تنتفع بعمله وتبتعد عن كل أمر فيه الضرر والعقوبة، وكثير من الآيات في الجزء الثامن والعشرين اتبعت هذا الأسلوب التربوي في دعوتها إلى الطاعة ونهيها عن المعصية.

* ففي أمر الصدقة والإنفاق في سبيل الله: حذر من تركها بأسلوب الترهيب وأنه سيندم تارك الإنفاق عند الموت ويتمنى لو تصدق في حياته، فقال في سورة المنافقون:

{وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ

لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾} [المنافقون ١٠]

بينما أمر بنفس الأمر بأسلوب الترغيب وما يجده المتصدق من أجر مضاعف ومغفرة للذنوب، فقال في السورة التي بعدها: {إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ^ج وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾} [التغابن ١٧].

* في النهي عن موالة أعداء الله: في سورة المجادلة اتبع أسلوب الترغيب والوعيد بالعذاب الشديد لمن والى أعداء الدين فقال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ

اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾}

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا^ط إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾} [المجادلة ١٤-١٥]،

ثم ختم السورة نفسها بمدح الذين يمتنعون عن موالة أعداء الدين ولو كانوا أقرب الناس إليهم وذكر ما أعد لهم من المغفرة والرضا والجنة، فقال بأسلوب الترغيب: {لَا تَحْذُ

قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ

كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ^ح أُولَئِكَ كَتَبَ فِي

قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ^ط وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ^ج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ^ج أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ^ج أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١﴾ [المجادلة ٢٢].

* في وعظ المؤمنين: في سورة التحريم عندما اتجهت الآيات لوعظ المؤمنين ابتدأت بتخويفهم من نار جهنم التي تحرق الحجر والبشر فيجب على الإنسان أن يقي نفسه وأهل بيته منها، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٩﴾} [التحريم ٩]، ثم أتبع هذا التخويف والترهيب بالدعوة إلى التوبة الصادقة لينال المسلم مغفرة الذنوب ودخول الجنان والنعيم المقيم، فقال بأسلوب الترغيب: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ^ط نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾} [التحريم ١١].

المطلب الثاني

ضرب المثل للاعتبار بمن سبق

اعتمد القرآن الكريم في أساليبه التربويّة الدعويّة على ذكر الأمم السابقة وما حلّ بها من العذاب لما كفرت وطغت وأعرضت عن الله ورسله، وذلك لأخذ المواعظ والعبر من هلاكهم والابتعاد عن ما وقعوا فيه حتى لا تُصاب بما أُصيبوا، وقد يذكر قصة المؤمنين السابقين والأنبياء للعمل بعملهم والافتداء بهم لنفوز كما فازوا، وفي الجزء الثامن والعشرين ظهر هذا الأسلوب واضحاً، فقد ذكر سبحانه أمماً سابقة أهلكهم، وذكر أنبياء ورسلاً قائلًا بأنهم لكم قدوة.

* في سورة الممتحنة، بعد أن نهى الله عن موالاة أعداء الدين ووجوب التبرؤ منهم، قصّ سبحانه قصة إبراهيم عليه السلام وكيف تبرأ من أبيه وقومه فهو أسوة وقدوة حسنة في ذلك، فقال: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ} [الممتحنة: ٤].

* في سورة التغابن: نهى عن تكذيب الرسول والتولي والإعراض عن شرع الله، حيث أخبر بمصير من فعلوا ذلك من قبل فأهلكهم الله، فقال: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [التغابن: ٥].

* في سورة الطلاق: بعد أن ذكر الله أمر القرى التي أهلكها عندما عتت عن أمر ربها وطغت، أمر المؤمنين بالاعتبار والاتعاظ قائلًا سبحانه: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكَرًا} [الطلاق: ٨] فذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا

شَدِيدًا ^ط فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَبِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ^ج قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿٨﴾ {الطلاق ٨-١٠}.

* في سورة التحريم: ضرب مثلاً لامرأتين كافرتين كانتا تحت عصمة نبيين كريمين، لأخذ العبرة بأنه لا ينفع يوم القيامة نسب ولا جاه، فقال سبحانه: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ^ط كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ} {التحريم ١٠}، وأتبع ذلك بضرب مثلين لامرأتين مؤمنتين كانت إحداهن تحت عصمة كافر طاغية ومع ذلك لم يضرها ذلك لأنها صبرت وثبتت فنجأها الله، إنها امرأة فرعون {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَخِجْنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَخِجْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} {التحريم ١١}، ثم ضرب المثل بمريم ابنة عمران، الطاهرة العفيفة التي ثبتت وصبرت أيضاً وسلّمت أمرها إلى الله فجعلها الله هي وابنها آية للعالمين {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا وَكَانَتْ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} {التحريم ١٢}.

المطلب الثالث

بثُّ روح الأمل في النفوس

لقد جعل الله الدنيا كثيرة التقلب، لا تستقيم لأحد على حال، ولا تصفو لمخلوق من الكدر، ففيها خير وشر، وصلاح وفساد، وسرور وحزن، وأمل ويأس، ويأتي الأمل والتفاؤل كشعاعين يضيئان دياجير الظلام ويشقان دروب الحياة للأنام، ويبعثان في النفس البشرية الجدَّ والمثابرة، ويلقنانهما الجدَّ والمصابرة، فإن الذي يغري التاجر بالأسفار والمخاطرة: أمله في الأرباح، والذي يبعث الطالب إلى الجدَّ والمثابرة أمله في النجاح..، والذي يدعو المؤمن أن يخالف هواه ويطيع مولاه أمله في الفوز بجنته ورضاه، فهو يلاقي شوائدها بقلب مطمئن ووجه مستبشر وثرغ باسم وأمل عريض، فإذا حارب كان واثقاً بالنصر، وإذا أعسر لم ينقطع أمله في تبدل العسر إلى يسر، وإذا اقترف ذنباً لم ييأس من رحمة الله ومغفرته.^(١) فهذا الأسلوب التربوي العظيم الذي يحيي القلوب الميتة باليأس، نجده في عدة آيات بالجزء الثامن والعشرين:

* في سورة الممتحنة: عندما اشتدَّ الكرب بالمسلمين بعد أن نهاهم الله عن صلة الكفار من أرحامهم وموالاتهم، وذلك بعد حادثة كتاب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، جاءهم الفرج من الله ونزلت الآية التي بثَّت الأمل في نفوسهم وأعادت لهم التفاؤل بإمكانية أن يهديهم الله للإسلام فيعود شمل القرابة والأرحام بعد طول انتظار فقال سبحانه: {عَسَى اللَّهُ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الممتحنة ٧].

* في سورة الطلاق: عندما يشتدَّ النزاع بين الزوجين وتصل بهم الأمور إلى أعلى درجات الكرب وألجأهم ذلك إلى الطلاق، أمر سبحانه ألا تُخرج المطلقة من بيتها أثناء العدة، ثم بين سبحانه السبب فكان بلسماً للجراح وأملاً يشعُّ بعد ظلمة النزاع واحتمال الفراق بلا رجعة فقال: {لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} [الطلاق ١] لتعيد الأمل في النفوس بإمكانية رجوع الزوجين وإكمال حياتهما بعيداً عن الشقاق والنزاع.

(١) يُنظر: مقالة حسام العيسوي على شبكة الألوكة الشرعية / 0/47912/ www.alukah.net

* وفي السورة نفسها أيضاً عندما ذكر سبحانه أن الإنفاق على المطلقة أثناء العدة يكون حسب الاستطاعة، الغني ينفق من غناه والفقير ينفق مما أعطاه الله، أعقب ذلك بقوله:

{سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} [الطلاق ٧] فهذه الآية تبتُّ الأمل في نفوس كل المسلمين على اختلاف حاجاتهم وشدائدهم، وتغرس في قلوبهم بأن العسر لن يدوم، ووعد من الله أنه سيبدله باليسر، فما أعظم هذه البشارة من رب العالمين تنزل على قلوب المثقلين بالهموم والديون والحاجات، سيجعل الله بعد عسرٍ يسراً.

* كما أن حال الأمة اليوم وما تعيشه من مصائب ومحن لأمرٍ يورث الحزن والألم، وربما يصل الأمر إلى تمكّن اليأس من القلوب، فإذا نظرنا إلى آية في سورة المجادلة كفيّلة للوثوق بموعد الله وبتّ الأمل في النفوس بأن هذه الأمة قد تضعف لكنها لا تموت، فقد كتب الله الغلبة لنفسه ولرسله ولدينه فقال: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي^ج

إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة ٢١]، وما على الأمة إلا أن تعود إلى دينها عودة صادقة حتى يتحقق موعد الله ولن يخلف الله الميعاد.

إن هذا الأسلوب هو اللبنة الأساسية لبناء الإنسان، وعلى المربين والدعاة بتّ الأمل في نفوس الناس للتخلص من كل الآثار السلبية، والتطلع إلى مستقبل أفضل بالعمل والجِدِّ والاجتهاد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يسرو ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا)).^(١)

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا،

المطلب الرابع

النساء في الجزء الثامن والعشرين

كَرَّمَ اللهُ المرأةَ بهذا الدين ورفع قدرها بعد أن كانت في الجاهلية لا يُؤبه لها وليس لها قيمة، جاء الإسلام رافعاً من شأنها وحافظاً لحقوقها ومحذراً من إيذاها، ونلاحظ في الجزء الثامن والعشرين اهتماماً واضحاً بالمرأة المسلمة، ففيه أربع سورٍ أساس نزولها "النساء وأحكامهن": ففي سورة المجادلة سمع الله شكوى المجادلة (خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها) التي جادلت رسول الله في شأن الظهار، وشكت حالها إلى الله فاستجاب الله لها وفرج كربها، وأنزل في شأنها سورة تُتلى إلى قيام الساعة نهى فيها عن الظهار وعده منكرًا وزورًا وغلظ الكفارة على الرجل الذي يقع فيه، وكل هذا من تكريم الله للمرأة وحتى لا يتلاعب بها الرجل فتضيع حقوقها.

وفي سورة الممتحنة أمر بعدم إرجاع النساء المهاجرات المؤمنات إلى أزواجهن الكفار لما في ذلك من ضرر عليهن وخطر على حياتهن {فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ} [الممتحنة ١٠].

وفي سورة الطلاق نهى عن طلاق المرأة في فترة الحيض أو في طهر جومت فيه لما في ذلك من ضرر عليها وزيادة في عدتها، وأمر بمعاملتها بمعروف وإحسان حتى في حال النزاع والطلاق، وفرض للمطلقة السكنى والنفقة، بل وأمر لها أجراً على إرضاع ولدها، وكل هذه الأحكام مغزاها ضمان حق المرأة من الضياع وإكرام لها وحفظ لها. وفي سورة التحريم نهى عن تحريم الرجل على نفسه زوجته، وعدّ ذلك يميناً يكفر بها عن يمينه في حين لم ينو الطلاق، وختم السورة بضرب مثلين لنساء كافرات ومثلين لنساء مؤمنات.

وكل هذا يدل على أن الإسلام لم يهمل المرأة كما يدّعي بعض الجهلة بهذا الدين، بل وضع لها أحكاماً وخصّها بسور بعينها، والجزء الثامن والعشرون خير دليل على ذلك.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والشكر له على ما تفضل به عليّ من الإعانة على إنهاء دراسة الجزء الثامن والعشرين من كتابه الكريم، فكان لي الشرف العظيم أن أكون ممن يبحث فيه، راجياً من الله القبول والسداد، والصلاة والسلام على إمام الخلق ورسول الحق وعلى آله وصحابه أجمعين:

بعد أن أنهيت دراسة سور الجزء الثامن والعشرين دراسة إجمالية واستخرجت المقاصد والأهداف العامة للجزء بأكمله مُعلنًا عجزِي عن إيفاء الموضوع حقّه، ولكن حسبي أن الله أعانني على هذا القدر فبذلت فيه ما استطعت، فإذا أسأتُ فهو الطبع الإنسانيّ المَجْبُول على النقص، وإن أحسنتُ فهو توفيق من الله الكريم المثّان.

وفي النهاية سأذكر النتائج التي خلصتُ إليها وبعض التوصيات:

أولاً: أهمّ النتائج:

١- إن الجزء الثامن والعشرين بجميع سوره وآياته المترابطة والمنسجمة مع بعضها البعض كمثّل جميع سور القرآن الكريم، حيث ارتبط اسم السورة بمضمونها، وفتحة السورة بخاتمتها، والسورة بما قبلها وما بعدها، لذلك فالباحث الذي يبحث في مقاصد السور وأهدافها لا غنى له عن علم المناسبة الذي يبحث في تلك الارتباطات والمناسبات.

٢- صحيحٌ أن الحديث عن عظمة الله ووحدانيته من سمات السور المكيّة، ومع ذلك فأيات السور المدنيّة فيها ذلك أيضاً، وذلك لأن المسلم في كل أوقاته وأحيانه بحاجة إلى ذكر الله ومعرفته حق المعرفة حتى يزداد به إيماناً وله طاعةً.

٣- وصف النبيّ صلى الله عليه وسلم بالأميّ ليس انتقاصاً من قدره الشريف، بل إن أميّته صلوات الله عليه بحدّ ذاتها معجزة له بأنه على الرغم من أميّته ملأ الدنيا علماً وأخرج الناس من الظلمات إلى النور، كما أنه أغلق الباب أمام من سيّتهمه بأنه تعلم القرآن من الكتب السابقة، فكانت أميّته حكمة من الله تعالى.

٤- وردت كلمة (الخاسرون) في الجزء الثامن والعشرين مرتين فقط، الأولى في سورة المجادلة بقوله: {أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ^ع أُولَئِكَ حِزْبُ

الشَّيْطَانِ^ع أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾} [المجادلة ١٩]، والثانية في سورة

المنافقون بقوله: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ

ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾} [المنافقون ٩] وهذا دليل

أن الخسارة الحقيقية هي خسارة الآخرة، وأن أهم أسبابها هي الغفلة عن ذكر الله.

٥- "ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون"، لم تذكر هذه الصيغة في القرآن إلا مرتين فقط، وهاتان المرتتان في الجزء الثامن والعشرين، الأولى في سورة الحشر بعد أن مدح الله

الأنصار بإيثارهم: {وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ

شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾} [الحشر ٩]، والثانية في سورة التغابن

عندما خاطب الأمة فقال: {وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ

فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾} [التغابن ١٦] وفي هذا إشارة للأمة بأن تنفق وتبتعد عن

البخل والشح لنُفلح كما أفلح الأنصار رضي الله عنهم.

٦- ورد ذكر (الكذب والكاذبين) في الجزء الثامن والعشرين في خمسة مواضع، وكل المواضع كانت في حق المنافقين، دليل أن الكذب صفة متأصلة فيهم لا ينفكون عنها، ومن اتصف بالكذب فقد اتصف بصفة من صفات المنافقين.

٧- حبّ الصحابة رضي الله عنهم من الإيمان، وبغضهم وسبهم خروج من دائرة الإيمان.

٨- في هذا الجزء ذكر لأولي العزم من الرسل (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد) عليهم الصلاة والسلام أجمعين، الذين أودوا فثبتوا فكانوا خير قدوة.

٩- من بذل أسباب الهدى هداه الله، ومن نسي الله أنساه نفسه.

١٠- العبرة ليست بجمال المظهر وبلاغة اللسان، بل العبرة بصدق المخبر.

١١- أكثر من يبعد الإنسان عن ذكر الله ويصدّه عن الطاعة: الشيطان، والمنافقون (رفاق السوء).

١٢- خاطب الله في هذا الجزء كل من كان مسلماً وارتكب مخالفة شرعية بيا أيها الذين آمنوا، دليل أن المعصية لا تخرج صاحبها من الدين ما دام قلبه مطمئن بالإيمان.

١٣- من أهم أسباب مغفرة الذنوب: الإكثار من العمل الصالح، والتوبة النصوح.

١٤- عظيم مكانة العلم عند الله، فهو يرفع صاحب العلم المؤمن على غيره درجات في الدنيا والآخرة.

ثانياً: التوصيات:

بناءً على ذلك أوصي نفسي وأوصي المسلمين عامة:

١- أن يبحثوا في كتاب الله ويتدبروا مقاصده ويتبعوا الطريق الذي رسمه سبحانه لبناء الفرد والأسرة والمجتمع، سواء بالعقيدة والعبادات، أو الأخلاق والمعاملات، لأنها أساسات مستمدة من النص الخالد، وهي التي بنت مجتمع الصحابة رضي الله عنهم، وأن يتحمل كل فرد منا مسؤوليته تجاه ذلك.

٢- على الدول الإسلامية وأفرادها أخذ الحيطة والحذر من اليهود والمنافقين، وأن يكونوا على يقظة من أمرهم وعلى أهبة الاستعداد لما يحكيونه من مؤامرات تفتك بالأمة، وعلى الحكومات إنشاء مراكز متخصصة لدراسة خططهم وإفشالها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً.

٣- الإكثار من ذكر الله تعالى في كل وقت، ففي ذكر الله راحة النفوس وسعادة الدنيا والآخرة.

٤- يجب تربية الأطفال على محبة النبي صلى الله عليه وسلم والتخلق بأخلاقه، وتعليمهم القرآن الكريم، واصطحابهم إلى صلاة الجمعة، كل هذه الأمور تنمي في الطفل محبة دينه وتغرس في قلبه سرّ تميّزه.

* وأوصي طلبة العلم والدعاة والمريّين خاصّة:

١- أن يكثرُوا الحديث عن عظمة الله، حتى يُعظّم في القلوب فيزداد الناس له محبة ومعرفة وطاعة.

٢- أن يُنوّعوا في أساليبهم الدعويّة والتربويّة، فالتنوع من أنجح الأمور وأدعى للقبول، وأبعد للملل، كضرب الأمثال، والقصص، والترغيب والترهيب، وبتّ الأمل في النفوس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	الآية	رقمها	رقم الصفحة
ال فاتحة	{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}	٢	٢٢، ٢١
ال فاتحة	{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ }	٧، ٦، ٥	٢٢
البقرة	{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى}	١١١	١٥٣
البقرة	{وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى}	١٢٥	٢٤٦
آل عمران	{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴿٧٧﴾}	٧٧	٤
آل عمران	{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ..}	١٨٧	٣
آل عمران	{رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ}	١٩٢	٤٣، ٤٢

		أَخْزَيْتُهُ ... {	
النساء	١	٢١١ {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...}	
النساء	٧٦	٢٧٤ {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾}	
النساء	٨٢	ب {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ ^ج وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾}	
المائدة	١٨	١٥٣ {خُنْ أَبْنَتُوا اللَّهَ وَأَحْبَبُوهُ ^ر }	
المائدة	٨٩	٢٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٤٣ {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ ^ط الْأَيْمَانَ {	
الأنعام	١١٨	١٧ {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَايَتِهِ ^{هـ} مُؤْمِنِينَ}	
الأعراف	١٧، ١٦	٢٧٤ {قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ لَا تَيَسَّرُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ^ط ... ﴿١٦﴾}	
الأعراف	١٨١	١٩ {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا}	
التوبة	٤٣	٢٤٢ {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ}	

يونس	{وَيَسْتَنْبِغُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾}	٥٣	١٩٥
يونس	{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾}	٦٣، ٦٢	١٦٢، ١٦١
هود	{وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى.....}	١٠٢	٨٧
النحل	{أَتَى أَمْرُ اللَّهِ}	١	٢٢٦
الإسراء	{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}	١١٠	١٩
طه	{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا}	١٣٢	٢٤٧
النور	{أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ}	١٧	٢٥
الفرقان	{وَلَا يَأْتُونَكَ بِمِثْلِ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾}	٣٣	١
الشعراء	{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}	٢١٤	٢٤٧
النمل	{إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}	٣٠	٢٠
الروم	{فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا}	٥٧	٢٤٧

		مَعَذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ {	
الأحزاب	٤	١٣ {وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ {	
الأحزاب	٧١، ٧٠ ب	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴿٧٢﴾}	
سبأ	٣	١٩٥ {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ط قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمِ الْغَيْبِ ..}	
فاطر	٦	٢٧٤ {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾}	
الشورى	١١	٨٣ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ط}	
محمد	٢٤ ب	{أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}	
الحديد	٤	١٥ {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ج وَاللَّهُ بِمَا	

		تَعْمَلُونَ بَصِيرًا	
٢٣		سورة المجادلة، الآيات (١-٦)	
١٣، ٢٣، ٣٠، ٤٧، ٤٨، ٢٦١	١	{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ...}	المجادلة
٢٥، ٢٤	٢	{الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ ...}	المجادلة
٢٧٦، ٢٥	٣	{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ...}	المجادلة
٢٧٦، ٢٦	٤	{فَمَنْ لَمْ يَحْذَ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا	المجادلة
٢٧	٥	{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ...}	المجادلة
٤٨، ٤٧، ٢٨	٦	{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ...}	المجادلة
٣٠، ٢٩		سورة المجادلة، الآيات (٧-١٣)	
٢٦١، ٤٨، ٣٠، ١٥	٧	{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ	المجادلة

		وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿٧﴾	
المجادلة	٨	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوُوا عَنْهُ ﴿٨﴾﴾	٣١
المجادلة	٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِاللَّيْلِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ﴿٩﴾﴾	٢٧٢، ٢٨١، ٣٣، ٣٢
المجادلة	١٠	﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿١٠﴾﴾	٢٨١، ٢٧٤، ٥١، ٣٣
المجادلة	١١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ ﴿١١﴾﴾	٢٧٠، ٥٢، ٤٨، ٣٤
المجادلة	١٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ...﴾	٣٦، ٣٥
المجادلة	١٣	﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ ﴿١٣﴾﴾	٢٦٦، ٢٦٥، ٤٨، ٣٧
	٣٨	سورة المجادلة، الآيات (١٤-٢٢)	
المجادلة	١٤	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ﴿١٤﴾﴾	٢٨٦، ٢٧١، ٤٩، ٣٩

المجادلة	١٥	٢٨٦، ٢٧١، ٤٩، ٣٩	{أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾}
المجادلة	١٦	٤٠	{اتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾}
المجادلة	١٧	٢٧٨، ٤٠	{لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا.....}
المجادلة	١٨	٤٨، ٤١	{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا تَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴿١٨﴾}
المجادلة	١٩	٢٩٣، ٢٧٥، ٤٢	{أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ....}
المجادلة	٢٠	٤٢	{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾}
المجادلة	٢١	٢٩١، ٥٩، ٤٣	{كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾}
المجادلة	٢٢	٢٧٢، ٢٦٧، ٤٩، ٤٣ ٢٨٧، ٢٨٦	{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ.....}
		٦١	سورة الحشر، الآيات (١-٧)
الحشر	١	٨٨، ٨٧، ٦٢، ٥٦	{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

		الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ	
الحشر	٢	{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ }	٨٩، ٨٧، ٦٢، ٥٩، ٥٦ ٢٦٣
الحشر	٣	{وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾}	٨٨، ٦٤
الحشر	٤	{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾}	٨٨، ٨٧، ٦٤
الحشر	٥	{مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾}	٨٨، ٦٥
الحشر	٦	{وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴿٦﴾}	٨٨، ٦٦
الحشر	٧	{مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ...}	٨٨، ٦٧، ٦٦، ٢٦٥، ٢٨٠، ٢٧٢
		سورة الحشر، الآيات (٨-١٧)	٦٩

الحشر	٨	٢٦٦، ٩٠، ٧٠	{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا..}
الحشر	٩	٢٩٤، ٢٦٦، ٩٠، ٧١	{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ تُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ}
الحشر	١٠	٩٠، ٧٣	{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ.....}
الحشر	١١	٢٨٤، ٧٤	{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ.....}
الحشر	١٢	٧٥	{لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا تَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ}
الحشر	١٣	٨٨، ٧٦، ٧٥	{لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ }
الحشر	١٤	٨٩، ٧٦	{لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ}

الحشر	١٥	٨٨، ٧٧	{كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾}
الحشر	١٦	٢٧٥، ٧٧	{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكَفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴿١٦﴾}
الحشر	١٧	٧٧	{فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾}
		٧٩	سورة الحشر، الآيات (١٨-٢٤)
الحشر	١٨	٢٧٢، ٨٩، ٨٠، ٧٩	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ.....}
الحشر	١٩	٨٠	{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }
الحشر	٢٠	٨١	{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ }
الحشر	٢١	٨٩، ٨٨، ٨١	{لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ..... ﴿٢١﴾}
الحشر	٢٢	٨٢	{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ

		الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ	
الحشر	٢٣	٨٣ {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ ﴿٢٣﴾}	
الحشر	٢٤	٨٤ {هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٢٤﴾}	
		سورة الممتحنة، الآيات (١-٧)	٩٨
الممتحنة	١	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ..... ﴿١﴾}	٢٦٣، ١١٧، ٩٩، ٩٤، ٩٣، ٢٧١، ٢٦٧
الممتحنة	٢	{إِنْ يَتَّقِفُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمُ....}	١٠٠
الممتحنة	٣	{لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ ﴿٣﴾}	٢٧٨، ١١٦، ١٠١
الممتحنة	٤	{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴿٤﴾}	١١٧، ١١٥، ١٠٢، ١٠١، ٢٨٨
الممتحنة	٥	{رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾}	١٠٣
الممتحنة	٦	{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن	١١٥، ١٠٣

		كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴿٦﴾	
٢٩٠ ، ١١٨ ، ١٠٤ ، ٩٣	٧	{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ ... ﴿٧﴾}	المتحنة
١٠٦ ، ١٠٧		سورة الممتحنة، الآيات (٨-١٣)	
٢٨٠ ، ١١٦ ، ١٠٧	٨	{لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ﴿٨﴾}	المتحنة
٢٨٠ ، ٢٧١ ، ١١٥ ، ١٠٨	٩	{إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ}	المتحنة
٢٩٢ ، ٢٧٨ ، ١١٦ ، ١٠٨	١٠	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ}	المتحنة
٢٧٣ ، ١١٠	١١	{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ ﴿١١﴾}	المتحنة
١١١ ، ١١٠	١٢	{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ﴿١٢﴾}	المتحنة
٢٧١ ، ١١٥ ، ١١٢	١٣	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَيسُوْا مِنَ الْآخِرَةِ ﴿١٣﴾}	المتحنة

١٢٦		سورة الصف، الآيات (١-٩)	
١٢١، ١٢٢، ١٢٧، ١٤٠، ٢٦٣	١	{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾}	الصف
١٢٣، ١٢٧، ١٤٠	٢	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾}	الصف
١٢٨	٣	{كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾}	الصف
١٢٧، ١٢٨، ١٣٧، ٢٨٢	٤	{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ ۖ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوعِينَ ﴿٤﴾}	الصف
١٢٨، ١٢٩	٥	{وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ... ﴿٥﴾}	الصف
١٢٩	٦	{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ... ﴿٦﴾}	الصف
١٣٠، ١٤٠	٧	{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ... ﴿٧﴾}	الصف
١٣٠، ١٣٩	٨	{يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴿٨﴾}	الصف

		وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ{	
الصف	٩	{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِأُهْدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ{٩}}	١٣٩، ١٣١
		سورة الصف، الآيات (١٠-١٤)	١٣٢
الصف	١٠	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُلُّكُمْ عَلَى تَجَرَّةٍ تُنَجِّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ{١٠}}	٢٨٢، ١٣٢
الصف	١١	{تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ.....{١١}}	٢٨٢، ١٣٣
الصف	١٢	{يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ.....{١٢}}	٢٨٢، ١٣٣
الصف	١٣	{وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ{١٣} وَدَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ{١٣}}	٢٨٢، ١٣٤
الصف	١٤	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ{١٤}}	١٣٩، ١٣٧، ١٣٤
		سورة الجمعة، الآيات (١-٨)	١٤٩

الجمعة	{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾	١	٢٦٣، ١٦٤، ١٥٠
الجمعة	{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ....} ﴿٢﴾	٢	١٤٧، ١٥٠، ١٥٩، ١٦٣، ٢٦٥
الجمعة	{وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ﴿٣﴾	٣	١٦٠، ١٥١
الجمعة	{ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} ﴿٤﴾	٤	١٥٢
الجمعة	{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} ﴿٥﴾	٥	٢٨٤، ١٦٣، ١٥٢
الجمعة	{قُلْ يَتَّيْبُهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنَّ زَعْمَتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ..} ﴿٦﴾	٦	١٦١، ١٥٣
الجمعة	{وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} ﴿٧﴾	٧	١٦١، ١٥٤
الجمعة	{قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ	٨	١٥٤

		فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ﴿٨﴾	
١٥٥		سورة الجمعة، الآيات (٩-١١)	
٢٨١، ١٦١، ١٥٥	٩	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ..... ﴿٩﴾}	الجمعة
٢٨١، ١٦٤، ١٥٦، ٢٨٢	١٠	{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ... ﴿١٠﴾}	الجمعة
١٥٧، ١٤٥	١١	{وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْءًا آنَفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا ﴿١١﴾}	الجمعة
١٧٢		سورة المنافقون، الآيات (١-٨)	
٢٦٥، ١٨١، ١٧٣، ١٦٨، ٢٨٣	١	{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ.... ﴿١﴾}	المنافقون
٢٨٣، ١٨١، ١٧٣	٢	{اتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}	المنافقون
١٧٤	٣	{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾}	المنافقون
١٨٣، ١٨٢، ١٨١، ١٧٤، ٢٨٣	٤	{وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﷻ وَإِنْ	المنافقون

		يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ^ط كَانَ مِنْهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ ﴿٤﴾	
٢٨٣ ، ١٨٢ ، ١٧٥	٥	{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْأَ رُءُوسُهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾}	المنافقون
١٨٢ ، ١٧٥	٦	{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٦﴾}	المنافقون
٢٦٤ ، ١٧٦ ، ١٦٨	٧	{هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا}	المنافقون
١٨٢ ، ١٧٧ ، ١٧٦	٨	{يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾}	المنافقون
١٧٨		سورة المنافقون، الآيات (٩-١١)	
٢٩٤ ، ٢٧٨ ، ١٨٣ ، ١٧٨	٩	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿٩﴾}	المنافقون
٢٨٦ ، ١٧٩	١٠	{وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴿١٠﴾}	المنافقون
١٧٩	١١	{وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا}	المنافقون

		وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾	
١٩١		سورة التغابن، الآيات (١-١٣)	
٢٦٣، ٢٠٥، ١٩٢	١	{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ..... ﴿١﴾}	التغابن
١٩٣	٢	{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}	التغابن
٢٦٣، ٢٠٥، ١٩٣	٣	{خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾}	التغابن
٢٦٣، ١٩٤	٤	{يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٤﴾}	التغابن
٢٨٨، ١٩٤	٥	{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}	التغابن
٢٠٥، ١٩٤	٦	{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا}	التغابن
٢٠٥، ١٩٥	٧	{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ}	التغابن
١٩٦	٨	{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي}	التغابن

		أَنْزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾	
٢٠٧، ١٩٦	٩	{يَوْمَ تَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۚ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۖ ﴿٩﴾}	التغابن
١٩٧	١٠	{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾}	التغابن
٢٠٧، ١٩٧	١١	{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ ﴿١١﴾}	التغابن
٢٦٥ ، ١٩٨	١٢	{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾}	التغابن
١٩٨	١٣	{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾}	التغابن
١٩٩		سورة التغابن، الآيات (١٤-١٨)	
٢٧٩ ، ٢١٣، ٢٠٠، ١٩٩	١٤	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَا حَذَرُوهُمْ ۚ ... ﴿١٤﴾}	التغابن

التغابن	{إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾}	١٥	٢٧٩ ، ٢٠٦ ، ٢٠٠
التغابن	{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ...}	١٦	٢٩٤ ، ٢٧٣ ، ٢٠٧ ، ٢٠١
التغابن	{إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ}	١٧	٢٨٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٢
التغابن	{عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾}	١٨	٢١٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢ ٢٦٣
	سورة الطلاق، الآيات (١-٧)		٢١٦
الطلاق	{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ... ﴿١﴾}	١	٢١٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٧٣ ٢٩٠ ، ٢٧٦
الطلاق	{فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ﴿٢﴾}	٢	٢١٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٧٣
الطلاق	{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ	٣	٢٢٠ ، ٢٧٣

		شَيْءٍ قَدَرًا ﴿٢﴾	
٢٣٢، ٢٣١، ٢٢١، ٢١١ ٢٧٧، ٢٧٣	٤	{وَأَلَّتِي يَيْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَأَلَّتِي لَمْ تَحْضَنْ ۚ... ﴿٤﴾}	الطلاق
٢٧٣، ٢٣٣، ٢٢٢، ٢٢١	٥	{ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۚ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾}	الطلاق
٢٧٧، ٢٣١، ٢٢٢	٦	{أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُنَّ... ﴿٦﴾}	الطلاق
٢٩١، ٢٣٠، ٢٢٣	٧	{لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۚ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ...}	الطلاق
٢٢٥		سورة الطلاق، الآيات (٨-١٢)	
٢٨٨، ٢٢٥	٨	{وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ۚ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا}	الطلاق
٢٨٩، ٢٧٣، ٢٦٥، ٢٢٦	١٠	{أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا...}	الطلاق
٢٦٥، ٢٢٦	١١	رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ	الطلاق

		لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.....{	
٢٦٤، ٢٣٣، ٢٢٧	١٢	{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ.....{	الطلاق
٢٤١		سورة التحريم، الآيات (١-٨)	
٢٥٦، ٢٤٢، ٢٣٧، ٢٣٦، ٢٧٧	١	{يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ.....{ ط	التحريم
٢٧٧، ٢٤٣	٢	{قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ { ط	التحريم
٢٧٠، ٢٤٤، ٢٤٣	٣	{وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ.....{	التحريم
٢٦٦، ٢٥٦، ٢٤٤	٤	{إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ.....{	التحريم
٢٤٥	٥	{عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسَلِّمَتٍ.....{	التحريم
٢٧٩، ٢٥٨، ٢٤٦	٦	{يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ	التحريم

		وَالْحِجَارَةُ..... ﴿٦﴾	
٢٤٧	٧	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ﴿٧﴾	التحريم
٢٥٨، ٢٥٧، ٢٤٩، ٢٤٨ ٢٦٨	٨	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا.....}	التحريم
٢٥٠		سورة التحريم، الآيات (٩-١٢)	
٢٨٧، ٢٨٤، ٢٨٢، ٢٥٠	٩	{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ...} ﴿٩﴾	التحريم
٢٨٩، ٢٦٨، ٢٥٩، ٢٥١	١٠	{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتِ نُوحٍ وَأَمْرَاتِ لُوطٍ	التحريم
٢٨٩، ٢٨٧، ٢٥٢	١١	{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتِ فِرْعَوْنَ	التحريم
٢٨٩، ٢٥٣	١٢	{وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا...}	التحريم
١٠١	٣٤	{يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ}	عبس
٢٢، ٢١، ١٨	١	{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}	العلق
٢٠	١، ٢، ٣	{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾	سورة الكوثر

ثانياً: فهرس الأحاديث الشريفة

م	طرف الحديث	الصفحة
١	((أبايعك على أن تعبد الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتتأصح المسلمون...))	١١٨
٢	((اتقوا النار ولو بشقّ تمرّة))	١٨٩
٣	((إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل))	١٤٩
٤	((إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه))	٢٨٩، ٥٥
٥	((إذا وضعتم موتاكم في القبور فقولوا بسم الله وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله...))	١٩
٦	((أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المئين، ومكان الإنجيل المئاني...))	١٦، ٦٢، ١٠٠، ١٢٧، ١٥٢، ١٧٦، ١٩٣، ٢١٨، ٢٤٥
٧	((أغلق بابك واذكر اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، وأطفيء...))	٢٠
٨	((ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله فقام رجل من الأنصار فقال أنا يا رسول الله...))	٧٦
٩	((إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى...))	١٤٥
١٠	((إن أحببتهم قسمت ما أفاء الله عليّ...))	٧٦
١١	((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))	١٨٨
١٢	((إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته...))	٩١
١٣	((إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر...))	١٨٨

م	طرف الحديث	الصفحة
١٤	((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرّق نخل بني النضير وقطع، وهي البؤيرة، ..))	٦٩
١٥	((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنين ..))	١١٥
١٦	((إن لله تسعاً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة))	٢١
١٧	((إن لي أسماء، أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا ..))	١٣٣
١٨	((أنزلت عليّ آناً سورة فقرأ ..))	٢٢
١٩	((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))	٥٥
٢٠	((أنه نهى أن يُقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر، ولكن تفسّحوا وتوسّعوا، ..))	٣٨
٢١	((أوفعلته قال نعم، قال فلا تعد إليه))	٤٧
٢٢	((أي عرى الإيمان _ أظنه قال _ أوثق قال الله ورسوله أعلم، قال الموالاة في ..))	١١٨، ٥٣
٢٣	((آية المنافق ثلاث إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوّتمن خان))	١٤٥، ١٨٧
٢٤	((خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه ..))	١٦٦
٢٥	((دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، ..))	٢١٣
٢٦	((الروحة والغدوة في سبيل الله أفضل من الدنيا وما فيها))	١٤٣
٢٧	((سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يُغفر له))	٢٣
٢٨	((ضع يدك على المكان الذي تألم من جسدك وقل	٢٠

م	طرف الحديث	الصفحة
	بسم الله ثلاثاً، وقل سبع ..))	
٢٩	((...فجاءه الملك فقال اقرأ، قال ما أنا بقاريء، فأخذني فغطّني الثالثة ثم أرسلني فقال...))	٢٤
٣٠	((فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر حتى جمعهم ونزلت فيهم ..))	١٢٥
٣١	((فقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ..))	١٢٦
٣٢	((.....فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين))	١٧٣، ١٧٤
٣٣	((فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه))	١٦٧
٣٤	((قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدني ما سأل، فإذا ..))	٢٤
٣٥	((قدمت فتيلة بنت عبد العزى على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا ضباب ..))	١١١
٣٦	((كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)	٢٣
٣٧	((كان يقرأ المُسَبِّحات قبل أن يرقد، ويقول إن فيهن آية خير من ألف آية))	١٢٨، ٦٢
٣٨	((كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد، ويقول إن فيهن آية خير من ألف آية))	١٥٢، ١٩٣
٣٩	((كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ألم تنزيل السجدة، وهل أتى على الإنسان ..))	١٥١، ١٧٥
٤٠	((كلكم راع ومستول عن رعيته، والإمام راع ومستول عن رعيته، والرجل راع في ..))	٢٨٧

م	طرف الحديث	الصفحة
٤١	((كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم ..))	٢٦١
٤٢	((كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه سورة الجمعة))	١٤٩، ١٥٧
٤٣	((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل..))	١٦٩
٤٤	((لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاضم وقال بقوتي صرعته..))	١٩
٤٥	((لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله))	١٧٠
٤٦	((الله أفرح بتوبة عبده من أحكم سقط على بعيه وقد أضله في أرض فلاة))	٢٦٦
٤٧	((اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها))	٩٩
٤٨	((لو أن أحداكم إذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان ..))	١٩
٤٩	((لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء))	١٥٧
٥٠	((مثل المؤمن الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت))	١٧٠، ١٨٩
٥١	((من أحبَّ الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان))	١١٨، ٥٤
٥٢	((من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ..))	٦٢، ٥٩
٥٣	((نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة، بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من ..))	١٦٦
٥٤	((نُصرت بالرعب مسيرة شهر))	٦٧

م	طرف الحديث	الصفحة
٥٥	((والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق أحد منكم لسال بكم الوادي ناراً))	١٥٠
٥٦	((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقلت يا رسول الله آمنا بك وبما جئت ..))	١٢٢
٥٧	((يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله، قالت ألم تسمع ما قالوا قال فقد ..))	٣٥
٥٨	((يا غلام سمّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك))	١٩
٥٩	((يدخل عليكم الآن رجل قلب جبار وينظر بعيني شيطان، فدخل عبدالله بن نبتل ..))	٤٣
٦٠	((يسرو ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا))	٢٩٩

ثالثاً: فهرس الأعلام:

م	العلم	رقم الصفحة
١	ابن الأعرابي	١
٢	ابن العربي	١٧٣-١٠٧-١٠٤-٣٥
٣	ابن كيسان	٢٦٠
٤	عثمان بن أبي العاص	١٩
٥	عراك بن مالك	١٦٢
٦	العرياض بن سارية	١٩٣-١٥١-١٢٨-٦٢
٧	عوف بن مالك الأشجعي	٢٢٦-١٩٢
٨	معقل بن يسار	٦٢-٥٩
٩	وائلة بن الأسقع	-١٢٧-١٠٠-٦٢-١٦ -١٩٣-١٧٦-١٥٢ ٢٤٥-٢١٨
١٠	يزيد بن أبي حبيب	٣٧

رابعاً: فهرس المراجع:

- ١- أحكام القرآن، للقاضي محمد بن عبدالله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، المتوفى ٥٤٣هـ، مراجعة وتحقيق: عبدالقادر محمد عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٤ .
- ٢- أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، المتوفى ٤٦٨هـ، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح _ الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩٢ .
- ٣- أسرار ترتيب القرآن، لعبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المتوفى ٩١١هـ الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: ١ .
- ٤- أسرار التكرار في القرآن، المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبرهان، لمحمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، المتوفى ٥٠٥هـ، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، الناشر: دار الفضيلة، عدد الأجزاء: ١ .
- ٥- أيسر التفاسير لكلام العلي القدير، لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم_ المدينة المنورة، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٥ .
- ٦- الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي المتوفى: ١٣٩٦هـ، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.
- ٧- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى ٧٥١هـ، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية_ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م، عدد الأجزاء: ٤ .
- ٨- الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المتوفى ٩١١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتب، سنة النشر ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، عدد الأجزاء: ٤ .

- ٩- الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المتوفى ٨٥٢هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية_بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، عدد الأجزاء: ٨ .
- ١٠- الإكليل في استنباط التنزيل، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المتوفى ٩١١هـ، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، الناشر: دار الكتب العلمية_بيروت، ١٤٠١هـ_١٩٨١م، عدد الأجزاء: ١٠ .
- ١١- بحوث في أصول التفسير ومناهجه، أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، أستاذ الدراسات القرآنية، كلية المعلمين بالرياض، الناشر: مكتبة التوبة.
- ١٢- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المتوفى ٨١٧هـ، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية_لجنة إحياء التراث الإسلامي_القاهرة، عام النشر: (ج١-٢-٣، ١٤١٦هـ) (ج ٤-٥-١٤١٢هـ) (ج ٦، ١٣٩٣هـ)، عدد الأجزاء: ٦ .
- ١٣- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المتوفى ٧٤٥هـ، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر_بيروت، طبعة عام ١٤٢٠هـ، عدد الأجزاء: ١٠ .
- ١٤- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المتوفى ٧٩٤هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ_١٩٥٧، عدد الأجزاء: ٤ .
- ١٥- تحفة المودود بأحكام المولود، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى ٧٥١هـ، تحقيق: عبد القادر الأرئوط، الناشر: مكتبة دار البيان_دمشق، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ، عدد الأجزاء: ١ .
- ١٦- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، لجمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، المتوفى: ٧٦٢هـ، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: ٤ .

١٧- تفسير أسماء الله الحسنى، لإبراهيم بن السري بن سهل أبي إسحاق الزجاج، المتوفى ٣١١هـ، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار الثقافة العربية، عدد الأجزاء: ١

١٨- تفسير أسماء الله الحسنى، لأبي عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، المتوفى ١٣٧٦هـ، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الناشر: الجامعة الإسلامية_المدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٢ .

١٩_ تفسير ابن عطية، المسمى المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، المتوفى ٥٤٢هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية_بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٠- تفسير السعدي، المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لأبي عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، المتوفى ١٣٧٦هـ، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، عدد الأجزاء: ١ .

٢١- تفسير القرآن العظيم، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم، المتوفى ٣٢٧هـ، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز_السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.

٢٢- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المتوفى ٧٧٤هـ، تحقيق: سامي محمد سلامة، الطبعة الثانية ١٤٢٠، الأجزاء: ٨ .

٢٣- تفسير القرآن الكريم، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى ٧٥١هـ، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، بإشراف الشيخ: إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال_بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٤- التحرير والتنوير، "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، المتوفى ١٣٩٣هـ، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٣٨٤هـ، عدد الأجزاء: ٣٠

٢٥- التفسير الكبير، المسمى مفاتيح الغيب أو تفسير الرازي، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، المتوفى ٦٠٦هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ، عدد الأجزاء: ٣٢ .

٢٦- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر- دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ .

٢٧- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، الطبعة الأولى، تاريخ النشر (ج ١-٢-٣-٤-٥) ١٩٩٧م (ج ٥-٦ ١٩٩٨م).

٢٨- التفسير والمفسرون، للدكتور محمد السيد حسين الذهبي، المتوفى ١٣٩٨هـ، الناشر: مكتبة وهبة- القاهرة، عدد الأجزاء: ٣، والجزء الثالث هو نقول وجدت في أوراق المؤلف بعد وفاته ونشرها د. محمد البلتاجي.

٢٩- جامع البيان في تأويل القرآن= تفسير الطبري، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، المتوفى ٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٤ .

٣٠- الجامع الصغير وزيادته، لأبي عبد الرحمن محمد بن ناصر بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني، المتوفى ١٤٢٠هـ، الناشر: المكتب الإسلامي، عدد الأجزاء: ٢ .

٣١- الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المتوفى ٦٧١هـ، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ١٠ و ٢ للفهارس.

٣٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المتوفى ٩١١هـ، الناشر: دار الفكر- بيروت، عدد الأجزاء: ٨ .

- ٣٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المتوفى ١٢٧٠هـ، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية_بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، عدد الأجزاء: ١٦ .
- ٣٤- الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري، المتوفى ١٤٢٧هـ، الناشر: دار الهلال_بيروت، (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: ١
- ٣٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ، عدد الأجزاء: ١
- ٣٦- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، المتوفى ٢٧٥هـ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة المصرية_صيدا_بيروت، عدد الأجزاء: ٤ .
- ٣٧- سنن الترمذي. لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى، المتوفى ٢٧٩هـ، الناشر: شركة مكتبة البابي الحلبي_مصر، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ_١٩٧٥م، عدد الأجزاء: ٥ .
- ٣٨- سنن الدارقطني، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن نعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، المتوفى ٣٨٥هـ، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، وحسن عبد المنعم شلبي وعبد اللطيف حرز الله وأحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة_بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ_٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ٥ .
- ٣٩- السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، المتوفى ٤٨٥هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية_بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ_٢٠٠٣م .
- ٤٠- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، المتوفى: ٧٤٨هـ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ، عدد الأجزاء: ٢٥ (٢٣ مجلدان فهارس)

- ٤١- شعب الإيمان ، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، المتوفى ٤٨٥هـ، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بمومباي- الهند، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١٤ (١٣ مجلد ومجلد للفهارس).
- ٤٢- صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي أبو حاتم الدارمي البستي، المتوفى ٣٥٤هـ، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي المتوفى ٧٣٩هـ، حققه وخرج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة_ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ١٨ .
- ٤٣- صحيح البخاري، لمحمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم) ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: ٩ .
- ٤٤- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المتوفى ٢٦١هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي_ بيروت، عدد الأجزاء: ٥ .
- ٤٥- صحيح وضعيف سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، المتوفى ١٤٢٠هـ، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية المجاني، من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة في الإسكندرية.
- ٤٦- صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع_ القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٣ .
- ٤٧- غرائب القرآن ورغائب الفرقان= تفسير النيسابوري، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، المتوفى ٨٥٠هـ، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية_ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، عدد الأجزاء: ٦ .
- ٤٨- فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، المتوفى ١٣٠٧هـ، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر_ صيدا_ بيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ١٥ .

٤٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، المتوفى ٨٥٢هـ، الناشر: دار المعرفة_بيروت عام ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: ١٣ .

٥٠- فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، المتوفى ١٢٥٠هـ، الناشر: دار ابن كثير_ دار الكلم الطيب_ دمشق_بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: ٦ .

٥١- فصول في أصول التفسير، للدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، تقديم د. محمد صالح الفوزان، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ، عدد الأجزاء: ١ .

٥٢- في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، المتوفى ١٣٨٥هـ، الناشر: دار الشروق_بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، عدد الأجزاء: ٦ .

٥٣- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل = تفسير الزمخشري، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، المتوفى ٥٣٨هـ، الناشر: دار الكتاب العربي_بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، عدد الأجزاء: ٤ .

٥٤- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي بدر الدين، المتوفى ٧٣٣هـ، تحقيق د. عبد الجواد خلف، الناشر: دار الوفاء_المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ_١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١ .

٥٥- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، المتوفى ٧١١هـ، الناشر: دار صادر_بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: ١٥ .

٥٦- لطائف الإشارات = تفسير القشيري، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، المتوفى ٤٦٥هـ، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب_مصر، الطبعة الثالثة .

٥٧- مباحث في التفسير الموضوعي، للأستاذ الدكتور مصطفى مسلم، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ_٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ١ .

٥٨- مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المتوفى ١٤٢١هـ، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن، دار الثريا، الطبعة الأخيرة ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ٢٦ .

٥٩- مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، المتوفى ٧١٠هـ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب_ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ_ ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٣ .

٦٠- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المتوفى ٩١١هـ، قرأه وتممه: د. عبد الحسن بن عبد العزيز العسكر، الناشر: مكتبة دار المناهج للنشر والتوزيع_ الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، عدد الأجزاء: ١ .

٦١- المراسيل، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، المتوفى: ٢٧٥هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ، عدد الأجزاء: ١ .

٦٢- مسند أبي داود الطيالسي، لأبي داود بن الجارود الطيالسي البصري، المتوفى ٢٠٤هـ، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: درا هجر_ مصر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ_ ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٤ .

٦٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المتوفى ٢٤١هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ_ ٢٠٠١م .

٦٤- مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي التميمي السمرقندي، المتوفى ٢٥٥هـ، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع_ السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ_ ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٤ .

٦٥- موسوعة فضائل سور وآيات القرآن- القسم الصحيح، للشيخ محمد بن رزق بن طهوني، الناشر: دار ابن القيم للنشر_ الدمام، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، عدد الأجزاء: ٢

٦٦- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي أبو حاتم الداراني البستي، المتوفى ٣٥٤هـ، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي _ حلب، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

٦٧- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، المتوفى ٤٠٥هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية _ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ _ ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٤ .

٦٨- المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني، المتوفى ٣٦٠هـ، تحقيق: حمدي بن عبد الحميد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية _ القاهرة، الطبعة الثانية، عدد الأجزاء: ٢٥ .

٦٩- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، المتوفى ٦٧٦هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي _ بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ، عدد الأجزاء: ١٨ في ٩ مجلدات.

٧٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، المتوفى ٨٨٥هـ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٢٢ جزء.

٧١- الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، المتوفى ٣٣٨هـ، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، الناشر: مكتبة الفلاح _ الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، عدد الأجزاء: ١ .

٧٢- النكت والعيون = تفسير الماوردي، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، المتوفى ٤٥٠هـ، تحقيق: السيد بن عبد المقصود ابن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية _ بيروت، عدد الأجزاء: ٦ .

* المواقع الالكترونية:

١- شبكة الألوكة الشرعية / www.alukah.net/sharia/0/47912/

٢- موسوعة النابلسي www.nabulsi.com/blue/ar/te.php?art

خامساً: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	ب
أسباب اختياري للموضوع	ت
أهمية الموضوع	ت
مصطلحات الدراسة ومنهج البحث	ث
الدراسات السابقة	ث
خطة البحث	ج
التمهيد	١
الباب الأول: السور الثلاث الأولى من الجزء الثامن والعشرين	
الفصل الأول: سورة المجادلة	
المبحث الأول: بين يدي السورة	١١
المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها	١٢
ثانياً: سبب نزولها	١٣
المطلب الثاني: أولاً: موضوعها	١٥
ثانياً : فضلها	١٦
ثالثاً : مناسبتها لما قبلها	١٦
المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة	١٨
المطلب الأول: أولاً: البسملة (فضلها)	١٩
ثانياً: تفسيرها	٢٠
ثالثاً: هل هي آية من كل سورة أم لا ؟	٢٢
المطلب الثاني: الظهار وكفارته، وتهديد الله للكافرين، الآيات (١-٦)	٢٦
المطلب الثالث: إحاطة علم الله بكل شيء، وأدب مناجاته صلى الله عليه وسلم، الآيات (٧-١٣)	٣٢
المطلب الرابع: موالاة الكفار وعاقبتها، الآيات (١٤-٢٢)	٤٢

٥٠	المبحث الثالث: مقاصد سورة المجادلة وتوجيهاتها
٥١	المطلب الأول: سعة علم الله تعالى وإحاطته بكل شيء
٥٣	المطلب الثاني: الولاء والبراء
٥٥	المطلب الثالث: النهي عن إيذاء الناس حسياً ومعنوياً

الفصل الثاني: سورة الحشر

٥٨	المبحث الأول: بين يدي السورة
٥٩	المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها
٦٠	ثانياً: سبب نزولها
٦١	ثالثاً: الظروف التي نزلت فيها
٦٢	المطلب الثاني: أولاً: موضوعها
٦٢	ثانياً: فضلها
٦٣	ثالثاً: مناسبتها لما قبلها
٦٤	المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة
٦٥	المطلب الأول: إجلاء بني النضير، وحكم الفيء، الآيات (١-٧)
٧٣	المطلب الثاني: فضل المهاجرين والأنصار، وخذلان المنافقين لليهود، الآيات (٨-١٧)
٨٣	المطلب الثالث: تقوى الله، وكتابه، وأسماءه الحسنى، الآيات (١٨-٢٤)
٩٠	المبحث الثالث: مقاصد سورة الحشر وتوجيهاتها
٩١	المطلب الأول: قوة الله وقدرته وعظمته
٩٣	المطلب الثاني: الأمر بالتفكير، والاستعداد للجزاء
٩٤	المطلب الثالث: الأمر بمحبة السلف الصالح، وتطهير القلب من الأدران

الفصل الثالث: سورة الممتحنة

٩٦	المبحث الأول: بين يدي السورة
----	------------------------------

٩٧	المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها
٩٨	ثانياً: سبب نزولها
٩٩	المطلب الثاني: أولاً: موضوعها
٩٩	ثانياً: الظروف التي نزلت فيها
١٠٠	ثالثاً: فضلها
١٠٠	رابعاً: مناسبتها لما قبلها
١٠١	المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة
١٠٢	المطلب الأول: النهي عن موالاة الكفار، ثم ذكر قصة إبراهيم عليه السلام، الآيات (١-٧)
١١٠	المطلب الثاني: أحكام علاقة المسلمين بالكفار، وأحكام النساء المهاجرات، الآيات (٨-١٣)
١١٧	المبحث الثالث: مقاصد سورة الممتحنة وتوجيهاتها
١١٨	المطلب الأول: النهي عن موالاة الكفار وموادتهم
١٢٠	المطلب الثاني: عدل الإسلام
١٢١	المطلب الثالث: تربية النفوس
الباب الثاني: السور الثلاث الثانية من الجزء الثامن والعشرين	
الفصل الأول: سورة الصف	
١٢٤	المبحث الأول: بين يدي السورة
١٢٥	المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها
١٢٥	ثانياً: سبب نزولها
١٢٧	المطلب الثاني: أولاً: موضوعها
١٢٧	ثانياً: فضلها
١٢٨	ثالثاً: مناسبتها لما قبلها
١٢٩	المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة
١٣٠	المطلب الأول: تسبيح الله، والجهاد دفاعاً عن الدين، ثم ذكر قصة

	موسى وعيسى عليهما السلام، الآيات (٩-١)
١٣٧	المطلب الثاني: أسس التجارة الربحية، الآيات (١٤-١٠)
١٤١	المبحث الثالث: مقاصد سورة الصف وتوجيهاتها
١٤٢	المطلب الأول: الحث على الجهاد ونصرة دين الله
١٤٤	المطلب الثاني: العاقبة للحق وأهله
١٤٥	المطلب الثالث: النهي عن الكذب في الأقوال والأفعال

الفصل الثاني: سورة الجمعة

١٤٨	المبحث الأول: بين يدي السورة
١٤٩	المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها
١٤٩	ثانياً: سبب نزولها
١٥١	المطلب الثاني: أولاً: موضوعها
١٥١	ثانياً: فضلها
١٥٢	ثالثاً: مناسبتها لما قبلها
١٥٣	المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة
١٥٤	المطلب الأول: تسبيح الله، ومهمة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ضرب مثل لليهود، الآيات (٨-١)
١٦٠	المطلب الثاني: من أحكام صلاة الجمعة، الآيات (١١-٩)
١٦٤	المبحث الثالث: مقاصد سورة الجمعة وتوجيهاتها
١٦٥	المطلب الأول: تميّز الأمة الإسلامية
١٦٨	المطلب الثاني: وجوب العمل بالعلم، والأمر بذكر الله

الفصل الثالث: سورة المنافقون

١٧٢	المبحث الأول: بين يدي السورة
١٧٣	المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها

١٧٣	ثانياً: سبب نزولها
١٧٥	المطلب الثاني: أولاً: موضوعها
١٧٥	ثانياً: فضلها
١٧٦	ثالثاً: مناسبتها لما قبلها
١٧٧	المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة
١٧٨	المطلب الأول: خصال المنافقين، والرد عليهم، الآيات (١-٨)
١٨٤	المطلب الثاني: توجيهات للمؤمنين، الآيات (٩-١١)
١٨٦	المبحث الثالث: مقاصد سورة المنافقون وتوجيهاتها
١٨٧	المطلب الأول: فضح صفات المنافقين
١٨٩	المطلب الثاني: تحذير المؤمنين من صفات المنافقين
الباب الثالث: السور الثلاث الأخيرة من الجزء الثامن والعشرين	
الفصل الأول: سورة التغابن	
١٩١	المبحث الأول: بين يدي السورة
١٩٢	المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها
١٩٣	ثانياً: فضلها
١٩٤	المطلب الثاني: أولاً: موضوعها
١٩٤	ثانياً: مناسبتها لما قبلها
١٩٦	المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة
١٩٧	المطلب الأول: من مظاهر قدرة الله وعلمه، ثم تذكير بقصة قوم كفروا بربهم، وإنكار المشركين للبعث وعقابهم، الآيات (١-١٣)
٢٠٥	المطلب الثاني: توجيهات للمؤمنين، الآيات (١٤-١٨)
٢١٠	المبحث الثالث: مقاصد سورة التغابن وتوجيهاتها
٢١١	المطلب الأول: بيان عظمة الله وقدرته وحكمته
٢١٣	المطلب الثاني: بيان رحمته سبحانه وتعالى بالمؤمنين
الفصل الثاني: سورة الطلاق	

٢١٦	المبحث الأول: بين يدي السورة
٢١٧	المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها
٢١٨	ثانياً: فضلها
٢١٩	المطلب الثاني: أولاً: موضوعها
٢١٩	ثانياً: مناسبتها لما قبلها
٢٢١	المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة
٢٢٢	المطلب الأول: من أحكام الطلاق والعدة والسكنى والنفقة، الآيات (٧-١)
٢٣١	المطلب الثاني: تحذير المعاندين، ووعد المؤمنين، والتذكير بقدرة الله، الآيات (١٢-٨)
٢٣٥	المبحث الثالث: مقاصد سورة الطلاق وتوجيهاتها
٢٣٦	المطلب الأول: بيان أحكام الطلاق
٢٣٨	المطلب الثاني: الأمر بتقوى الله والتزام حدوده

الفصل الثالث: سورة التحريم

٢٤١	المبحث الأول: بين يدي السورة
٢٤٢	المطلب الأول: أولاً: اسمها وترتيبها
٢٤٢	ثانياً: سبب نزولها
٢٤٥	المطلب الثاني: أولاً: موضوعها
٢٤٥	ثانياً: فضلها
٢٤٦	ثالثاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها
٢٤٧	المبحث الثاني: الدراسة الإجمالية للسورة
٢٤٨	المطلب الأول: قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع بعض أزواجه، ثم نداء للمؤمنين والكافرين، الآيات (٨-١)
٢٥٧	المطلب الثاني: أمر النبي بجهاد الكافرين والمنافقين، ثم ضرب مثلين

	لنساء كافرات، ومثلين لنساء مؤمنات، الآيات (٩-١٢)
٢٦٢	المبحث الثالث: مقاصد سورة التحريم وتوجيهاتها
٢٦٣	المطلب الأول: بيان مكانة النبي صلى الله عليه وسلم
٢٦٥	المطلب الثاني: الأمر باتقاء عذاب الله وعقوبته
	الفصل الرابع
	المقاصد والأهداف العامة للجزء الثامن والعشرين
٢٦٩	المبحث الأول: بيان عظمة الله تعالى، ومكانة نبيه صلى الله عليه وسلم، في الجزء الثامن والعشرين
٢٧٠	المطلب الأول: بيان عظمة الله وقدرته وسعة علمه
٢٧٣	المطلب الثاني: مكانة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام
٢٧٧	المبحث الثاني: التشريعات والأحكام في الجزء الثامن والعشرين
٢٧٨	المطلب الأول: التشريعات والأحكام في حق الفرد
٢٧٨	أولاً: آداب المجالس وحفظ الأسرار
٢٧٩	ثانياً: الولاء والبراء
٢٨٠	ثالثاً: الأمر بالتقوى
٢٨٢	رابعاً: الحذر من أساليب الشيطان
٢٨٤	المطلب الثاني: التشريعات والأحكام في حق الأسرة
٢٨٤	أولاً: حكم الظهار
٢٨٤	ثانياً: أحكام الطلاق
٢٨٥	ثالثاً: حكم من حرّم على نفسه امرأته أو طعاماً
٢٨٦	رابعاً: لا تحلّ مؤمنة لكافر
٢٨٦	خامساً: وجوب تعليم المسلم لأسرته وتربيتهم
٢٨٨	المطلب الثالث: التشريعات والأحكام في حق المجتمع
٢٨٨	أولاً: علاقة المسلمين بالكفار
٢٨٨	ثانياً: حكم الفبيء

٢٨٩	ثالثاً: حكم التتاجي
٢٨٩	رابعاً: أحكام صلاة الجمعة
٢٩٠	خامساً: الأمر بالجهاد
٢٩١	سادساً: اليهود والمنافقون
٢٩٣	المبحث الثالث: الأساليب التربوية في الجزء الثامن والعشرين
٢٩٤	المطلب الأول: الترغيب والترهيب
٢٩٦	المطلب الثاني: ضرب المثل للاعتبار بمن سبق
٢٩٨	المطلب الثالث: بثُّ روح الأمل في النفوس
٣٠٠	المطلب الرابع: "النساء" في الجزء الثامن والعشرين
٣٠١	الخاتمة
٣٠١	أهم النتائج
٣٠٣	التوصيات
٣٠٤	فهرس الآيات القرآنية
٣٢٧	فهرس الأحاديث الشريفة
٣٣٢	فهرس الأعلام
٣٣٣	فهرس المراجع
٣٤٢	فهرس الموضوعات



مجلس أمناء الجامعة الإسلامية العالمية بجمهورية مصر العربية فرع جامعة التضامن الفرنسية العربية بالنيجر

تقرير لجنة تحكيم ومناقشة رسالة علمية

اسم الباحث / عبد الرزاق عبد المجيد السرحان / الجنسية / سوري

تخصص : دراسات إسلامية / قسم / التفسير وعلوم القرآن

عنوان الرسالة: "دراسة تحليلية لمقاصد وأهداف الجزء الثامن والعشرين"

لنيل درجة / الماجستير بتاريخ : 2017 / 8 / 29 م

☐ نوع المناقشة : مباشرة	☒ عن بعد	☐ معادلة أطروحة
☐ نظام الدراسة : بحث فقط	☒ بحث بمهدي	☐ بحث تكليفي

هذا وقد أوصت اللجنة الأكاديمية بالجامعة الإسلامية العالمية بـ :

☒ قبول الرسالة والتوصية بمنح الدرجة العلمية وكان التقدير " ممتاز " .

☐ قبول الرسالة والتوصية باستكمال أوجه النقص دون الحاجة لمناقشتها وكان التقدير .

☐ عدم قبول الرسالة مع توضيح أسباب الرفض .

أعضاء اللجنة :

رئيسا مشرفا

عضوا مناقشا

عضوا مناقشا

١- فضيلة الأستاذ الدكتور / هبة عوف عبد الرحمن

٢- فضيلة الأستاذ الدكتور / صباح طنطاوي عبد الحميد

٣- فضيلة الأستاذ الدكتور / الحسنين عبد الفتاح الشافعي

مدير الجامعة

د. ياسر مكي عبد المنعم

مدير الدراسات العليا

د. محمد رفيع الإسلام

VU POUR LA LEGALISATION



وزارة خارجية جمهورية مصر العربية
مكتب التصديقات والخدمات القنصلية للمواطنين
ديوان الوزارة
رقم التتبع: ٢٢٢٢٢٢٢٢
تاريخ: ١٥/١١/٢٠١٧
نصدق على صحة الخاتم والتوقيع ونواش
دور ادبي مسئولية فيما يختص بمختبر ومحتويات الوثيقة
البريد الجوي
جدة

خبرك عبد

